العدد ٩٥ - محرم ١٤٠٤ - نوفمبر ١٩٨٣م

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
ملتقى الابداع العربي والثقافة الانسانية

● ٢٢ مليون جنيه تحت أقدام أفقر زعيم في العالم

● أرض تتشقق.. وقارات تتحرك.. ولكن إلى أين؟

● وعام آخر.. قصيدة جديدة بقلم محمد الفريد العيسى



قصة أجمل حرف في كل لغات العالم

من وحي لقاء الدوحة



التعاون الخليجي والبحث عن نهج جديد في العمل العربي المشترك

بقلم الدكتور
محمد جابر الأنصاري

ما مر على العرب فى السنوات الاخيرة من تجارب قاسية فى اكثر من ساحة عربية يتطلب جهودا مضاعفة لتقديم تجارب وانجازات ايجابية ـ بالمقابل ـ تمثل فى مجموعها بداية الرد العربى ، ولو على المدى البعيد ، فى وجه الهجمة المركزة التى تعرَّض ويتعرض لها الوجود العربى .

واذا كانت الأوضاع والامكانات العربية فى شكلها الراهن لا تسمح برد مباشر على الهجمات المعادية ، فان ساحة الوطن العربى الكبير باتساعها وتنوع امكاناتها ووفرة فرص التحرك والعمل فيها ، تتيح لأطراف وجهات عربية عديدة امكانية المبادرة لتوفير قواعد مستقبلية فى مشرق الوطن العربى ومغربه ينطلق منها الرد العربى الشامل عندما تحين ساعته التاريخية المناسبة .

ثم ان هذه المبادرات ، فى المناطق العربية التى لم تصلها شراسة الهجمات المعادية بعد ، اصبحت اكثر من حتمية لحماية هذه المناطق ذاتها على المدى القريب ، بل والعاجل ، لان العدوان بطبيعته سريع العدوى والانتشار من مكان الى اخر اذا لم تتوفر المناعة الحصينة العاجلة ، لكسر حدة الهجمة المستشرية فى هذا الموقع او ذاك من الساحة العربية .

والاستراتيجيا بطبيعتها لا تعرف الفراغ ولا تعترف به ولا ترحم من يبقون فيه .

انها كالضغط الجوى المرتفع المندفع بقوة الى مناطق الضغط المنخفض ليجتاحها برياحه واعاصيره وطوفانه .

وعندما لا تكون فى الساحة العربية قوى ذات ثقل استراتيجى ذاتي يملأ الفراغ ، فان مراكز الضغط الاستراتيجى الخارجية تندفع بشراسة وسرعة لتملأ الفراغ ، دون أدنى توقف .. إلى ان تبرز فى وجهها القوى العربية المؤهلة لوقف الاجتياح على ارضية الواقع الصلب وعلى تضاريسه ذاتها ، وليس باية صيغ او حلول يوفرها هذا الطرف الدولي او ذاك ، وتحاولها هذه الدبلوماسية المهدئة أو تلك ..

وسيبقى قانونا ثابتا فى الحياة العربية والتجارب العربية ، ان العمل من اجل التوحيد وتكتيل القوى هو المدخل الذى

لا مفر منه ـ مهما حاولنا غيره ـ لمواجهة حالات التردي والضعف التي نعاني منها .

كان التوحيد هو الهدف الأسمى لهذه الأمة منذ فجر تاريخها وسيبقى التوحيد هو سبيلها الوحيد للخلاص اليوم وفي المستقبل ، مهما استشرت عوامل التفريق وازدهرت تجارة الصراعات والمعارك الجانبية وشاعت في الجو اوهام الكيانات الطائفية والتجزيئية التي سيكون الراكضون وراء سرابها هم اول المحترقين بها كما بدا يتضح ..

واذا كان مبدا التوحيد الراسخ في عمق هذه الامة يرفض التجزئة ويقاومها ، فان منطق العصر ، عصرنا هذا ، عصر التكتلات الكبرى يرفض ايضا منطق التجزئة ويستصغرها ويستصغر الواقعين في أوهامها والمتمترسين خلف حواجزها الخانقة .

يقول الدكتور زريق في كتابه « معركة الحضارة » :

● « ان حياة هذا العصر لا تحتمل من تضؤل أبعادهم الكيانية ، اي الذين لا يفكرون إلا بانفسهم او بحيهم او عشيرتهم او طائفتهم او مدينتهم او قُطرهم .

إن هذا العصر هو عصر الأبعاد المتسعة المزدادة إتساعا في كل مجال .. فعلينا أبناء الشعوب العربية أن نكتسب هذه العقلية المتميزة بالأبعاد المتسعة ... فاذا عجزنا عن هذا ، وظلت اهتماماتنا محصورة بدوائرنا الضيقة ، واقمنا سدوداً وحدوداً تفصلنا بعضنا عن بعض .. اقمنا الدليل على اننا لسنا حقاً خليقين بتحديات هذه الحياة . »

●●●

والتوجه الحالي في منطقة الجزيرة العربية والخليج العربي نحو اقامة كيان توحيدي اكبر هو توجه نحو هذه الأبعاد المتسعة التي تتخطى السدود والحدود فضلا عن كونها استجابة للتحدي المحدق بالأمة العربية ككل وبالخطر المحيط بهذه المنطقة على وجه الخصوص .

وهذا الخيار التوحيدي هو الخيار الوحيد الممكن امام دول المنطقة وشعوبها ،



سمو الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني
ولي العهد ووزير الدفاع
زيارة ناجحة إلى البحرين

لا بل هو الخيار الحتمي الذي لابد منه ، لان كل ما عداه لن يكون في مستوى الارتفاع الى المسئولية التي وضعتها التحديات على عاتق عرب هذه المنطقة .

ومنذ فجر التاريخ ، وقبل عصر البترول بقرون طويلة ، كانت هذه المنطقة مهد العرب وموئل الاسلام . والتجزئة لا تليق بمنطقة هذه صفتها وهذه مكانتها . وبقاء هذه المنطقة مجزاة في العصر الحديث سيجعل التوجه نحو الوحدة العربية في المناطق العربية الاخرى ناقصا وغير مكتمل بينما سيؤدي تحقيقها هنا .. في مهد العروبة ومهبط الرسالة الى احياء الحوافز لتحقيقها في المناطق العربية الأخرى ، كما اثبت التاريخ في تجاربه الحية السابقة .

وهذا هو المنطلق الذي يجب ان تنطلق منه في اعتقادناحركة التوحيد في الجزيرة والخليج ، إذا ارادت ان تحتفظ بينابيعها صافية نقية ومستمدة من عمق تاريخها ووجدانها العربي الاسلامي .

فمنطقة الجزيرة والخليج ليست بترولا . وليست فوائض ومشروعات وفرص عمل . انها في التحليل النهائي عروبة واسلام بهما تبقى ، وبدونهما تضيع .

واذا تاكد هذا المنطلق ، المتصل بالينابيع الأصلية لوجودنا ، تنتفي شبهة الاقليمية التي يخشى البعض ان تشوب التوجه نحو التقارب الخليجي ، كما تسقط المخاوف القائلة بان هذا التقارب هو رهن بهذه الاستراتيجية الدولية او تلك .

وايا كان الأمر ، فان المتغيرات العالمية قد بدات تؤثر في ميدان البترول والفوائض والناحية الاقتصادية ككل ، والرصيد الوحيد الباقي والذي سيبقى رغم تلك المتغيرات هو رصيد العروبة والاسلام الذي عاشت به المنطقة عصور العسر واليسر على حد سواء . وهو الرصيد الذي لا يمكن ان تؤثر فيه السوق العالمية ولا التقلبات الدولية .

●●●

ومن هذا المنطلق .. منطلق إقامة كيان توحيد في منطقة عربية هي مهد العروبة والاسلام يمكن لهذا النموذج التوحيدي ان يشع ويصبح مثالا وقدوة للاشقاء في كل بقعة عربية ، بحيث تتقارب كل مجموعة من البلاد العربية المتجاورة والمتكاملة جغرافيا وبيئيا في منظومة عربية طبيعية ، حتى اذا تماسكت هذه المنظومات في اطارها الجغرافي الطبيعي ، سعت الى التقارب فيما بينها على الصعيد القومي الشامل ككتلة عربية واحدة .

وهذا التوجه نحو تجمعات متجانسة اكبر فاكبر هو استجابة لمنطق العصر كما هو استجابة ذاتية لدى العرب لمنطق التوحيد ، كما المحنا .

يقول الشيخ احمد زكي يماني ، في ندوة جامعية مشتركة انعقدت بالبحرين مؤخراً ،

التعاون الخليجي

والبحث عن نهج جديد في العمل العربي المشترك

شارحاً ظاهرة التوجه نحو التجمعات الكبيرة عالمياً وعربياً :

● « ان العصر الذي نعيشه اخذ يتسم بطابع التجمعات السياسية ، وسيكون ذلك صفة القرن القادم ، المميزة له ... وكما راينا الولايات المتحدة الامريكية ، نوشك ان نرى الولايات المتحدة الاوروبية . وقد نرى بالتدريج تجمعاً لشعوب امريكا اللاتينية . والوحدة الافريقية التي لا تزال شعاراً سياسياً قد تتحول بالتدريج لوحدة اقتصادية وسياسية ان لم تتجمع كل افريقيا ، فقد تنتظم حلقات معينة فيها . اما القارة الهندية ، فقد تدفعها رياح الصين الى تجمع فدرالي اذا زادت وطأة الخطر الأصفر .. وقد نراها شبه قارة متميزة سياسياً مثل استراليا ».

بعد هذه التقدمة العامة ينتقل الشيخ يعقاني الى الوضع الخاص للأمة العربية ، فيقول : « اما الأمة العربية التي نجحت اصابع الشرق والغرب في تمزيق حلمها الكبير في الوحدة الشاملة ، فقد بدأت تتجمع في حلقات منفصلة في البداية ، مترابطة في النهاية .

ومجلس التعاون لدول الخليج العربية واحد من حلقاتها . ووادي النيل حلقة اخرى ، تتلوه حلقة المغرب العربي الكبير . ولو عطل المحاق السياسي ولادة الهلال الخصيب ، فان سنة التطور وقوانين الطبيعة قد لا تحجبه طويلاً .

وهذه الحلقات المختلفة قد تترابط تدريجياً تحت حلقات أوسع من دائرة كل واحدة منها . فحلقة الجزيرة العربية اذا نشأت ترتبط بحلقة مجلس التعاون لدول الخليج العربية بهمزة وصل هي المملكة العربية السعودية . والمملكة ايضاً حلقة وصل وارتباط مع حوض البحر الأحمر ووادي النيل وما يمتد جنوبه من دول عربية . ومهما حاولت الصهيونية العالمية وقف التطور التاريخي ، وتقطيع اوصال الأمة العربية المحيطة باسرائيل الى دويلات يحكمها المذهب أو العرق ، فان ظواهر الأمور تدل على أن نجاحها إن تحقق ، سيكون في التأجيل وليس في تعطيل الالتحام والتكوين » (١)

وهذا يعني ان اسلوب تحقيق الوحدة العربية قد يختلف ويطرأ عليه بعض التعديل تبعاً للظروف ، ولكن هدف الوحدة النهائي يبقى كما هو لا تراجع عنه رغم شراسة المعوقات .

ولقد جرب العرب في الماضي عدداً من الأساليب والوسائل لبلوغ الوحدة كأسلوب الجامعة العربية ، وأسلوب الالتفاف حول بلد قيادي واحد تتحقق على يديه الوحدة الشاملة بصيغتها المركزية .

غير ان حدة الصراع الدولي في المنطقة العربية بموقفها الحساس في قلب العالم جعل تحقيق الوحدة الشاملة التي تقلب الموازين الدولية بين عشية وضحاها امراً في غاية الصعوبة . وهذا يفسر حدة الهجمة التي تعرضت لها مصر عندما كانت تقود حركة الوحدة الشاملة ، كما يفسر حرص الكثير من القوى الاجنبية الكبرى على ابقاء العزلة وتطويل امدها بين مصر والعرب اليوم ، كي لا يعود المد العربي الواحد كما حدث عشية حرب السويس وحرب اكتوبر .

في ظل هذه الظروف الصعبة والمعوقات الشائكة لا يجوز ان يفقد العرب أملهم في وحدتهم ويتخلوا عنها كهدف مصيري ، ولو بعد حين .

وفي المرحلة الراهنة فان العمل الوحدوي على صعيد الوحدات الطبيعية الأربع التي يتألف منها الوطن العربي يبدو هو الأسلوب الواقعي المتدرج الذي يمكن أن يخدم قضية الوحدة الكبرى على المدى البعيد ، دون أن يثير المزيد من شراسة القوى الدولية ضد العرب في وقت يحتاجون فيه لاسترداد الانفاس واعادة تجميع الطاقات واستيضاح معالم الرؤية .

ولابد من إزالة اللبس الذي احاط بفكرة تحقيق الوحدة عن طريق البدء بتوحيد الكتل الجغرافية الأربع التي يتكون منها الوطن العربي (وهي الهلال الخصيب ووادي النيل والجزيرة العربية والمغرب) فلقد نسبت هذه الفكرة - على الأشهر - في تاريخ الفكر العربي الحديث الى انطون سعادة صاحب الفكرة القومية السورية الذي دعا الى توحيد سورية الطبيعية الكبرى ، بمعزل عن نطاق الوحدة العربية ، والى انصراف كل كتلة جغرافية في العالم العربي الى شئونها الخاصة ، على ان يتم النظر في انشاء جبهة لهذه الكتل الاربع في المدى البعيد ان استدعت الظروف ذلك .

وطبيعي ان تثير هذه الدعوة بشكلها هذا حفيظة الداعين للوحدة العربية على اساس عربي شامل .

غير ان الاسلوب في حد ذاته ، اذا كان خاضعاً لهدف الوحدة العربية الشاملة ، يمكن الأخذ به كطريقة عمل وحدوي بمعزل عن الدعوات الاقليمية والمشاريع الغامضة التي رفعت شعاره او تسترت به في مراحل سابقة .

ولقد وجدت في دراستي لتاريخ الفكر الوحدوي ان بعض المفكرين العرب ذوي النزعات الوحدوية الصادقة قد دعوا للأخذ بهذا الأسلوب ، كمدخل عملي متدرج للوحدة الشاملة دون أن يرتبط ذلك لديهم بأية اغراض اقليمية او انعزالية .

فالمرحوم الدكتور نبيه امين فارس ، استاذ التاريخ العربي المعروف دعا الى الأخذ بهذا الأسلوب بعد الحرب العالمية الثانية وظل يدعو اليه بوضوح وصراحة حتى اثناء اشتداد الميل للأخذ بأسلوب الوحدة الشمولية المركزيــة في فترة الخمسينات . (٢)

وقد كان في رايه ان تبدأ خطوات وحدوية جادة بين اطراف كل وحدة من الوحدات الطبيعية الاربع ، على أن يقوم اتحاد فدرالي مرن بين تلك الوحدات بعد انشائها ، يحمل اسم « الولايات العربية المتحدة » أو « الدول العربية المتحدة »

واذا كان للتطورات الاتحادية الراهنة من مغزى في مختلف المناطق العربية ، فانها تأتي اليوم مصداقاً لهذه الرؤية في التدرج الوحدوي .

فبعد قيام مجلس التعاون لدول الخليج العربية بفترة قصيرة انتعشت الجهود الاتحادية فى المغرب العربى الكبير ، كما تواصلت خطوات التكامل بين مصر والسودان فى اطار وحدة وادى النيل .

وبالنسبة للهلال الخصيب ، فكما قال الشيخ يماني ، اذا كان المحاق السياسي قد عطل ولادته فان سنة التطور وقوانين الطبيعة قد لا تحجبه طويلا .

وهذا يعني ان انشاء مجلس التعاون قد خلق ديناميكية اتحادية في المناطق العربية الاخرى وولد قوة دفع توحيدي لدى الاشقاء العرب الآخرين ، كل في وحدته الطبيعية ، الأمر الذي ينفي الانطباع القائل بان التعاون الخليجي ظاهرة اقليمية هدفها العزلة . والجهود السعودية والخليجية فى تحقيق التقارب بين المغرب والجزائر ،وتسهيل التفاهم بين سوريا ولبنان تقوم دليلا على ان هموم التعاون الخليجي هى هموم عربية قبل كل شيء .

ثم ان هذا الاسلوب في التعاون ياتي فى غياب اية خطة للعمل العربي المشترك ليقدم بديلا جديدا لمسيرة هذا العمل ، ليس في منطقة الخليج والجزيرة فحسب ، وانما في كل منطقة عربية يرغب اهلها في تكثيف جهودهم تمهيدا لاضافتها الى بوتقة العمل المشترك عندما تتكامل الحلقات العربية الأربع وتصبح مؤهلة لوضع استراتيجية موحدة . وبلاشك فان التعاون بين اربع كتل عربية كبيرة متوازنة واثقة من نفسها سيكون افضل من محاولة تحقيق التفاهم بين اكثر من عشرين كيانا عربيا صغيرا تتجاذبها مختلف العوامل والمؤثرات والرياح الدولية كما اتضح من التجارب السابقة في اطار الجامعة العربية وغيرها

ان المنهج الجديد لا ياتي لاعاقة اي خطة عمل عربي مشترك او لعرقلة اي جهد جماعي قائم . لقد جاء في غياب ذلك كله ليعوّض عن هذا الغياب بمحاولة جديدة مفتوحة امام العرب اجمعين في مختلف مناطقهم .

ولكن حتى يصح هذا التحليل والاستنتاج لابد من التحقق من امرين :

أولهما : ان التعاون والتقارب بين اطراف كل منطقة عربية هو ترابط وحدوي حقيقي لا انفصام له وليس مجرد تجمع سياسي فوقي خاضع لظروف عابرة واعتبارات طارئة . وهذا يستدعي ويحتم وضع اسس وقواعد موضوعية وثابتة لعطيات التعاون والتكامل والوحدة . هذه مسالة جوهرية لابد من التاكيد عليها بوضوح تام . لأن التجارب العربية السابقة شهدت محاولات تقاربية كثيرة حملت شعار الوحدة ولكنها انتهت بانتهاء الظروف المؤقتة التي املتها . ولم يعد لدى العرب من متسع للاستمرار في مثل هذه المحاولات اكثر من ذلك في هذه الظروف العصيبة .

وثانيهما : ان التوحيد داخل كل منطقة عربية من الوحدات الاربع ملتزم ، في منطلقاته الأساسية ، ونواياه وخططه ، بالخط القومي العربي الشامل ، وبالمصالح العليا للامة العربية كافة واحدة ، وباستقلال عن اية مؤثرات خارجية او اي ايحاء دولي ، لأن ما ياتي بايحاء دولي يذهب بايحاء دولي اخر .

بعد تاكيد هذين الامرين الجوهريين ، والتاكد منهما ، فان النهج الجديد في العمل العربي المشترك لن يجد إلا كل ترحاب ودعم من الشعوب العربية وقواها المخلصة وقد يكتب له التاريخ ليكون نهج الانقاذ من التردي الراهن .

●●●

ونحن إذا عاينا صورة التعاون الخليجي عن كثب ، بمناسبة لقاء الدوحة التي ينتظر ان يكون حاسما بكل المعايير ، فإننا نجد رصيد الانجازات التوحيدية كبيرا بالقياس لعمر التعاون الخليجي ، لكنا نجد ان حجم التحديات والمخاطر ما يزال كبيرا ايضا ولابد من جهد غير اعتيادي لتزيد كفة الانجازات والبناء على كفة التحدي والخطر . وتحقيق هذه النتيجة ليس مسالة اجتهادية وانما قضية مصيرية وحتمية .

وهذا يتطلب ان ننظر ــ كقيادات وشعوب ــ بعينين مفتوحتين الى جانبي الصورة ، جانب الانجازات وجانب المحاذير ، بشكل متوازن دون اغراق في التفاؤل يضخم الانجازات ويخفي المحاذير ، ودون اغراق ــ ايضا ــ في السلبية والتشاؤم بحيث نقلل من انجازاتنا المتحققة ونضخم من صورة المحاذير بما لا يخدم الثقة بالنفس .

والاحتفاظ بالتوازن في هذين الأمرين ، وبين هاتين النظرتين ليس سهلا ، لكنه ممكن التحقيق اذا احتفظنا بالصدق مع النفس ، والجراة في النظر الى الحقيقة ، واحترمنا حرية الراي والبحث والزمنا انفسنا بالتفكير الموضوعي الذى ينظر دائما وابدا الى وجهي الصورة وجانبي الحقيقة ليوازن بينهما .

من هذا المنطلق نجد من المناسب في هذا الموضوع التذكير بالمعايير الموضوعية الخمسة التي طرحها الدكتور سعد الدين ابراهيم ، استاذ علم الاجتماع بالجامعة الامريكية بالقاهرة ، كاساس لتقييم عملية التنمية الشاملة باقطار الخليج في ضوء خطة التكامل فيما بينها :

يقول : « الفهم الشامل لعملية التنمية يمكن ترجمته اجرائيا في خمس مسائل رئيسية تخص بلدان الخليج ، وإن كانت تنطبق ايضا على بقية الوطن العربي . هذه المسائل الخمس هى :

١ ــ المسالة الوطنية : التى تعنى فى سياق التنمية الشاملة المحافظة على الاستقلال الوطنى ، أو تقليص الهيمنة الأجنبية المباشرة وغير المباشرة ، ويندرج تحتها ما يسمى بالامن القومى بمعناه الواسع .

التعاون الخليجي

والبحث عن نهج جديد في العمل العربي المشترك

٢ ـ المسالة الاجتماعية : التى تعنى عمليات واليات اعادة التوزيع التى تعظم من المساواة الحقيقية فى الدخول والخدمات وتربط ربطا محكما بين قيم العمل والأداء والجزاء .

٣ ـ المسالة الاقتصادية : التى تعنى توسيع القاعدة الانتاجية والطاقة البشرية العاملة من اهل البلاد ، وتنويع كل منهما بحيث يقل الاعتماد على الخارج الى ادنى حد ممكن سواء فى استيراد السلع والخدمات ، او فى استيراد الطاقة البشرية .

٤ ـ المسالة السياسية : والتى تعنى هنا فتح وتوسيع قنوات المشاركة .. بحيث تتوفر فرص هذه المشاركة لكل من يرغب او يقدر على المشاركة من الافراد والقوى الاجتماعية فى الخليج .

٥ ـ المسالة الحضارية : وتعنى المحافظة الخلاقة على هوية الخليج العربية بشريا وثقافيا والتى هى مهددة الآن بخطرين : اولهما خطر التحجر الانتقائى وثانيهما خطر التشوه التغريبى والآسيوى .

وهناك مسالة سادسة تشترك فيها اقطار الخليج مع غيرها من الاقطار العربية وهى المسالة القومية او الوحدوية .

ويخلص د . سعد الدين ابراهيم الى القول : « هذه المسائل جميعا تهم الخليج وتهم الوطن العربى كله . لكنها اكثر حدة فى الخليج . والتلكؤ او التردد فى التعامل معها هو الذى يجعل اقطار الخليج مستهدفة ومهددة .. » (٣) .

وإذا كان لقاء الدوحة سيعالج قضايا الساعة المطروحة امامه ، فان مناسبة هذا اللقاء التاريخىباهميّة ، وما هو منتظر منه يتطلب ان تتحول منطقة الخليج والجزيرة الى جامعة مفتوحة تعالج وتبحث وتناقش كل قضايا المصير بفكر مستنير وصدر رحب وحماسة مخلصة لتكون هذه التوعية الشاملة بمثابة القاعدة الوطنية الصلبة للقاء المنتظرة .

وبلاشك فان افضل القرارات السياسية هى التى تكون مستندة الى خلفية فكرية وثقافية عميقة وشاملة لان هذه الخلفية هى صمام الامان لسلامة القرار السياسي .

ومع موضوعات القرار السياسي كالمضي قدما فى توحيد اجهزة التعاون ومؤسساته وكالعمل على درء الاخطار للحدقة ، فإنّا نامل ان يعطى اللقاء توجيهاته للجهات المختصة بمعالجة القضايا الأساسية ذات البعد الاجتماعى والثقافى والحضارى كترشيد عملية التنمية الشاملة ، ومعالجة دور المراة فى الانتاج والحياة الاجتماعية والحد من تاثير الهجرة الاجنبية ، وتحديد مسئوليات المواطن ودوره فى الانتاج والدفاع عن الوطن ، ولجم الاستهلاك المفرط والجرى وراء الربح التجارى المبالغ فيه دون رؤية وطنية وعلمية سليمة ، وكذلك توسيع قاعدة المشاركة فى البناء الاتحادى واعطاء المزيد من الاهتمام بدور الفكر والبحث العلمى فى رسم معالم الطريق .

ان المعالجة السليمة والدائبة لهذه القضايا الاساسية هى الدرع الواقى الذى يوفر للقرار السياسي فعاليته وثماره المرجوة .

ومع تكامل أجهزة التعاون ومؤسساته ، فانا نامل أن تكون من نتائج لقاء الدوحة انشاء امانة او هيئة مشتركة للثقافة والفكر والبحث العلمى من رجال الكلمة فى المنطقة وفى الوطن العربى تكون مهمتها تقوية روابط الفكر بين اجزاء المنطقة والمناطق العربية الأخرى فى المشرق والمغرب ، مع التفرغ لبحث القضايا ذات البعد الاجتماعى والحضارى التى ترتبط ارتباطا وثيقا بالوجود القومى فى المنطقة وبضمانة تاصيله وحمايته وتطويره .

وبعد .. فلعله من صدف التاريخ ذات المغزى ان ينعقد لقاء الحسم الاتحادى الخليجى فى قَطَر البلد الذى انطلقت منه اولى دعوات الوحدة الخليجية منذ سنين وكانت مبادرته الرائدة فى الدعوة الى السوق الخليجية المشتركة اساس الاتفاقية الاقتصادية الموحدة التى تعتبر من ابرز منجزات التعاون الخليجى اليوم .

واذا كان المراقبون يطرحون توقعات وتحليلات متباينة بشان نتائج اللقاء ، فانا نقول ببساطة وثقة إن الروح التى تميز بها اللقاء القطرى ـ البحريني بمناسبة زيارة سمو ولى العهد الشيخ حمد بن خليفة ال ثاني للبحرين هى الروح التى ستسود لقاء الدوحة وتضمن نجاحه ، فهى روح عربية مخلصة لا يمكن إلا ان تنجح باذن الله .

د . محمد جابر الانصارى

هوامش

١ ـ راجع محاضرة : « العالم فى القرن الواحد والعشرين : منطقة الخليج العربى » للشيخ احمد زكى يمانى ضمن محاضر « ندوة التصورات المستقبلية لجامعة الخليج العربى » بتاريخ ٩ ـ ١٤ مايو ١٩٨٣ بدولة البحرين .

٢ ـ راجع : نبيه امين فارس ، دراسات عربية (١٩٥٧) ص ١٠٤ وتراجع ايضا بهذا الصدد دراسات الدكتور عبد الرحمن البزاز فى الدولة الموحدة والدولة الاتحادية .

٣ ـ راجع محاضرته بعنوان « العالم الثالث ومنطقة الخليج العربى فى القرن الحادى والعشرين» ـ ضمن محاضر ندوة التصورات المستقبلية لجامعة الخليج العربى المشار إليها فى هامش رقم (١) .

جزء خاص

بمناسبة الدورة الرابعة للمجلس الأعلى لمجلس التعاون لدول الخليج العربية صفحة ٧٩





.. وعامُ آخر

شعر: محمد الفهد العيسى

أمَرَّ عامُ أَمْ مئين سنونِ
لستُ أدري "هبّلتني" ظنوني

كيف أدري وحندس الليل عندي
مثلما الرَّأْدُ في الضُحى في عيوني

أُمسيات تشابهت وشهور
جُنَّ شوقي وجُنَّ منها حنيني

شاب فيها من الفراق زمان
قد ألمَّتْ ندوبه في جفوني

حسب نفسي من العذاب ادّكار
لوصالٍ لمنهلٍ للفتون

لهف نفسي على انثيال صباح
زغردت "بالهلا" بأُندى اللحون

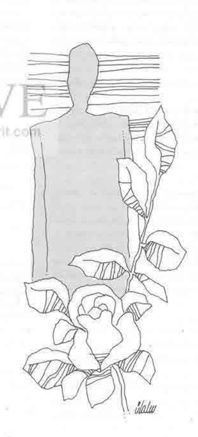
أقبلت يضوع منها شذاها
قَبْلها .. قَبْلها .. كبوح الشجون

اشرقتْ تلملم "الفل" غِمْرًا
من شذاها معطر بالفنون

لهف نفسي على زمان وصال
ضاع كالحلم في ضباب السنون

آهِ يا نفس فرقتنا الليالي
قبل ريِّ العِطاش ....

"يا هلا" فدتك نفسي سلاما
من حفيظٍ على الهوى .. من أَمينِ



خواطر تسرّ الخاطر



بقلم: زكريا تامر

مَنْ حَابَى خصمه غُلِب

قال رجل فى غناء طيب : « وددت ان جميع اعضائى مسامع اسمع بها » .
فقال المدعو زكريا تامر : « لماذا لا احسد الاصم إذا كان مغنونا مشانق غير منظورة واذا كانت مغنياتنا بقايا ضفادع مصابة بالزكام الدائم ؟ » .

قال احد الحكماء العرب : « الأصدقاء نفس واحدة فى اجساد متفرقة » .
فقال المدعو زكريا تامر : « لا صديق حاليا للاديب الأصيل إلا اللحد وحده » .

قالوا : « كل صناعة تحتاج الى ذكاء إلا الكتابة فانها تحتاج الى ذكائين : جمع المعانى بالقلب ، والحروف بالقلم » .
فقال المدعو زكريا تامر : « من اختار حرفة الكتابة الصادقة التى لا تجامل ولا تنافق ، لا يحتاج إلا الى ذكاء واحد : أن لا يحفر قبره بقلمه » .

قال أبو الحسن العامرى يصف العجب : « هو ظن الانسان بنفسه انه على الحال التى يحب أن يكون عليها من غير أن يكون عليها » .
فقال المدعو زكريا تامر : « العجب هو ان يتمكن اديب عربى من العيش براس مرفوع منذ لحظة خروجه من بطن امه وحتى لحظة غيابه فى باطن الأرض » .

قال حكيم : « ان الشجاعة والكرم اخوان كما ان الجبن والبخل اخوان ، ودليلهما ان الشجاع يجود بنفسه ، فاحرى ان يجود بماله ، والبخيل يبخل بماله فكيف يجود بنفسه ؟ » .
فقال المدعو زكريا تامر : « يجود الشجاع بنفسه وماله فى سبيل قومه ، فيسارع البخيل الى المتاجرة بتضحية الشجاع ، فيربح الشجاع قبرا فخما اذا كان ذا حسب ونسب ، ويربح البخيل ثروة جديدة بلا تعب والتباهى بانه ذاك الذى يذكر محاسن الموتى » .

قال أبو حفص بن برد الأصغر : « المواد كالبحر ، والقلم كالغوص ، واللفظ كالجوهر » .
فقال المدعو زكريا تامر : « المداد دم ، والقلم سكين ، واللفظ هو الجريمة المرتكبة » .

قال ابو حيان التوحيدي يصف شاعرا : « يطير بعيدا ويقع قريبا ، ويسقي من قبل أن يغرس » . فبهت المدعو زكريا تامر ، وقال متسائلا بحيرة : « وهل كان ادونيس يعيش ايام كان ابو حيان التوحيدي حيا ؟ » .

قال أبو حيان التوحيدي يصف كاتبا : «إذا صدق فهو مهين ، واذا كذب فهو مشين » .
فقال المدعو زكريا تامر بثقة : « ما قيل يدحض الشائعات المغرضة الزاعمة ان ابا حيان التوحيدي ميت ، وتثبت انه حى يعرف معظم الكتاب العرب المعاصرين » .

سئل اعرابى : « الشمس احسن أم القمر ؟ » .
فقال : « القمر احسن والشمس اجهر » .
وسئل المدعو زكريا تامر السؤال نفسه فقال بحنق : « هذا سؤال لا يساله الا من لم يعرف مطاردة القوت اليومى ليل نهار » .

دخل ابو العتاهية على الفضل بن الربيع يعزيه فى ابنه ، فقال له : « الحمد لله الذى جعلنا نعزيك به ، ولا نعزيه بك » .
ودخل المدعو زكريا تامر على الكاتب زكريا تامر ، فقال له : « الحمد لله الذى لن يجعلك تحيا اكثر من عشر سنوات ، فتكف انذاك عن أن تكون شاهدا أصم ابكم ، مرغما على الانتحاب بغير دموع » .

قال أبو بكر القومى : « معاناة الضر والبؤس اولى من مقاساة الجهال والتيوس . والصبر على الوخيم الوبيل أولى من النظر الى محيا كل ثقيل » .
ففقد المدعو زكريا تامر القدرة على الكلام اعجابا وتقديرا ، واكتفى بأن هز رأسه موافقا بحماسة .

قالوا قديما : « ما تعاظم احد على من دونه الا بقدر ما تصاغر لمن فوقه » .

فلم يفه المدعو زكريا تامر بكلمة واحدة ، وتصنّع انه لم يسمع شيئاً ، وحملق الى ما حوله بنظرات وجلة .

قال أبو سليمان المنطقي : « اللهم ارنا الحق حقا ثم هيئنا لاتّباعه ، وارنا الباطل باطلا ثم هيئنا للإعراض عنه » .

فقال المدعو زكريا تامر بخشـــــــوع : « آمين » .

الكتاب .. غفـر الله لناشره وموزعـه وناقـده

الكتاب ، ذلك الكائن العجيب الذي يستطيع في ان واحد أن يكون ماء ونارا ، هو في وطن الملايين العربية مهمل منبوذ مضطهد مخنوق محاصر خاصة اذا كان جاداً نافعاً مخلصاً نزيهاً ، بعيداً عن الفضائح والاثارة الجنسية والعقائدية واستغلال الشعارات السياسية ، فالكتاب الحسن الحظ ، المدعوم اعلامياً واعلانياً ، لا يبيع في السنة الواحدة اكثر من خمسة آلاف نسخة .واذا باعها فعلا ، فالقوانين الصادرة وغير الصادرة لن تنجح في منع اصحاب دور النشر من اطلاق النار والزغاريد احتفالا وتخليداً لذلك الحدث الفريد الجلل ، فما هي الاسباب التي تجعل من الكتاب الجاد في وطننا العربي يتيماً دامع العينين لا يؤبه لصراخه المستغيث المتوسل ؟

يقال ان الاسباب تكمن في سيادة الأمية وسوء التوزيع المقصود او غير المقصود .

ويقال إن الاسباب ترجع الى الدور المضحك المبكي المضلل الذي يقوم به النقاد في الحياة الثقافية ، فهم يروجون للعملة الرديئة ، ويقدمون نهيق الحمار على انه أروع من موسيقى بتهـــوفن وفاجنر وسيبيليوس.

ويقال ايضا إن الاسباب لها صلة وثيقة بارتفاع اسعار الكتب ، وهذا الارتفاع قد ساهم دون ريب مساهمة فعالة في تقليل عدد القراء خاصة وان قراء الكتب الجادة هم في معظم الأحيان من ذوي الدخل المحدود ، ولكن غلاء أسعار الكتب له ما يبرره ، فاسعار الورق واجور الطبع قد ازدادت ، وبات الكتاب حتى اذا بيع بسعر الكلفة فقط فان سعره سيكون باهظا ومرهقا لجيوب القراء.

وما دام القضاء على الأمية ليس عملا ينجز في يوم أو يومين ..

وما دام سوء التوزيع ينبع من محاولة لتكريس الثقافة بين البلدان العربية ، وهي محاولة مدعومة من قبل قوى داخلية وخارجية لا يمكن الخلاص منها الا بعد خوض معارك دامية ..

وما دام ايقاظ ضمائر النقاد مهمة مخفقة سلفا ، وتشبه محاولة من يعتزم الصعود الى القمر مستخدما قدميه فقط ..

لذا فان الوسيلة الوحيدة المتاحة حاليا لترويج الكتاب العربي الجاد هي تقديمه للقراء باسعار رخيصة تمكنهم من الحصول عليه دون ان يتضاءل خبزهم .

ومن البديهي ايضا ان تكون الجهات الحكومية المسؤولة عن الشؤون الثقافية ، والتي تاتي الأموال المخصصة لها من الضرائب التي يدفعها المواطنون ، هي الجهات المرشحة لتحقيق هذه المهمة .

والمتفحص لاعمال هذه الجهات سيخلص الى نتيجة مفادها ان ثمة جهات تطبع الكتب النافعة وتقدمها للقراء باسعار رخيصة ، غير ان ثمة جهات اخرى لا تطبع الكتاب الا بعد ان تتاكد من انه لا يستحق ان يقرا وحين تبيعه بسعر زهيد فهدفها مساعدة أصحاب البقاليا الصغيرة على الحصول على ما يحتاجون اليه من ورق باسعار رمزية ، تنفيذاً للشعار القائل إن الثقافة للجميع

مستشرقون وسيّاح لامواطنون

في بلادنا العربية التي يقال إنها تخوض يومياً حرباً على اعدائها ، مقدمة الدليل تلو الدليل على الطاقات الايجابية والامكانات التي يملكها اناسها العاديون ..

في بلادنا العربية الرائعة الجميلة الصابرة المقاتلة ، تعيش فئة من المتعلمين ترغم على حمل مدية اطول من رمح ، والبحث عن حفيد اول من أنشأ مدرسة ، فتلك الفئة جوفاء متعالية مضللة ، وجذورها في ارض الواقع او هي من خيوط العنكبوت ، ولكنها تتصف بمكر يساعدها على الظهور في مظهر الفئة المتميزة المثقفة الجادة للغاية ، الحرة التفكير والعمل ، والتي لا تداهن ولا تنـــاور بل تقـــول الحق دائما من غير ان تخشى مشنقة او سجنا او سيارة ملغومة .

ولكن الصدام مع الواقع يكشف الوجه الحقيقي لتلك الفئة ، فاذا هي متاهبة للزحف الف سنة وراء مغنم تافه ، وتقبل بتقبيل الارجل لا الأيدي بغية الحصول عليه .

ولعل اسوأ ما تقوم به تلك الفئة هو ما تفعله يوم تقرر ان تفكر ثم تكتب عن الانسان العربي واوضاعه ومشكلاته وازماته ، متخذة وضع الطبيب الوحيد الأوحد القادر على ايجاد الدواء الشافي فاذا هي لا تقدم الا السم .

وثمة كتاب لواحد من تلك الفئة ، اشتمل على آراء تصلح لأن تكون وثيقة تعبر بلسان مبين عن موقف من الانسان العربي لا يختلف عن موقف الاذاعة الاسرائيلية ، وهو موقف يحاول ان يصور الانسان العربي كمية بائسة من اللحم تخلو من الارادة والوعي ، فرداً في قطيع محروما من القدرة على التطور والتطوير ، معاديا للتغيير ، محافظا على الجمود ، رافضا للحياة .

يقول مؤلف الكتاب ، لتسع فوه : «ماضي الجنون اذا كان العقل قانعا بالموت محافظا على الجمود ، اي اذا كان التفكير السائد يعد الشغف بالحياة او بالحرية ضربا من الجنون » .

ويقول مؤلف الكتاب : « الوجدان العربي اليوم هو على الغالب عار من أدنى ثقة مبدئية بنفسه ، فهو على قناعة تامة بان جميع الانوار تاتي اليه من الخارج ، وان جميع ما يصدر من داخل نفسه انما هو ظلام . ان الافراد في غالبية مجتمعاتنا العربية لا يعيرون أدنى اهتمام لما يجيش في صدرهم من مشاعر او خواطر او ميول او نزعات او صبوات او احلام او امان ، فهي قد تكون للعبث او للتخيل ، ولكنها قطعاً ليست للتحقيق ، يستبعدونها من حياتهم العملية الجادة والمسؤولة استبعاداً مبدئيـــا قاطعاً ، اما الانوار الحقيقية فيجدونها في النظم المسنونة والسبل المرسومة والواجبات والمحرمات المقررة والتي يتقيدون بها بحذافيرها » .

ويقول مؤلف الكتاب : « من المفترض الثابت في هذا الوجدان هو ان وجوده هو وجوده كمرؤوس ، كتابع لمرجع خارجي ، وهو لا يتصور الوجود الا على انه تبعيـــة لسلطة قائمة » .

ومن المؤكد ان افضل تعقيب على مثل هذه الآراء هو ان أميا أصيلا خير من متعلم مزيف ، وان جاهلا يموت واقفا خير من عالم يمشي على أربع ، ويحض غيره على الاقتداء به .

منذ ٣٥ عاما وقعت هذه الجريمة

اغتيال الكونت برنادوت


الكونت برنادوت

بقلم: عصام شريح

الارهاب والقتل لدى بني صهيون، ليس حالة طارئة، او اسلوبا مرحليا، او نداء مؤقتا من نفس حاقدة للانتقام، او غير ذلك من اشكال وصور العنف والقتل المعروفة، فحسب، بل هو إضافة إلى هذه الأشكال والصور التى قد تراود الخيال، جزء اساسي من النظرية الصهيونية، التى ترى فى الارهاب والقتل ـ الفردي والجماعي ـ الوسيلة « المثلى » و « الأجدى » لتحقيق الهدف الأصلي، الا وهو « عودة الشعب المختار » إلى « أرض الميعاد » وتجميع الستة عشر مليون يهودي المشتتين فى العالم ضمن كيان واحد، حدوده « من الفرات الى النيل » !

● كان الاغتيال شاهداً على أن الأرهاب جزء لا يتجزأ من النظرية الصهيونية

● شامير كان احد الثلاثة الذين اطلقوا النار على برنادوت

هناك مئات الخطب والتصريحات والاحاديث والوثائق التى تثبت كون الارهاب الاداة والوسيلة التى يعتمدها الصهاينة لتحقيق حلمهم الصهيونى الاسود ، فمؤسس الصهيونية « تيودور هرتسل » ، قال كلاماً واضحاً جداً فى هذا المجال : « لنفترض مثلا ، اننا نريد أن نطهر بلداً (فلسطين) من الوحوش الضارية (العرب) .. طبعا ، لن نحمل القوس والرمح ، ونذهب فرادى فى إثر الدببة ، كما كان الأسلوب فى القرن الخامس فى أوروبا بل سننظم حملة صيد جماعية ضخمة ومجهزة ، ونطرد الحيوانات ، ونرمي فى وسطهم قنابل شديدة الانفجار » .

أما « جابوتنسكي » فيربط بين الغاية والوسيلة بشكل محكم ، لا انفصال فيه بين الاثنتين ، حيث يقول : « إن التوراة والسيف انزلا علينا من السماء » ، ومثل هذا التجديف والادعاء كثير لدى قادة الصهيونية ، سواء الأموات منهم أم الاحياء . إن مناحيم بيجن يقول ايضا متفلسفا : « انا احارب .. اذن انا موجود .. كن اخى وإلا ساقتلك » . وفى الحقيقة ، فان تركيز قادة الصهيونية باستمرار على العنف والارهاب كوسيلة لتحقيق فكرة « الشعب المختار ، فى أرض الميعاد » ، ليس سوى صدى لما جاء فى التوراة ـ « المحرفة » ، حول الموضوع ، ولسنا هنا فى مجال عرض ما جاء فى التوراة بشان الارهاب ، لكننا نكتفى بالاشارة الى عبارة واحدة تشكل فى راينا عنوانا عريضا لمسالة الارهاب الصهيونى ، وهذه العبارة جاءت على لسان « يهوه » ، وهى تدعو الى استخدام اسلوب الابادة الجماعية لسكان فلسطين القدماء من غير اليهود : .. واما مدن هؤلاء الشعوب السبعة ، التى يعطيك الرب إلهك نصيبا ، فلا تستبق منها نسمة ما ، بل تحرمها تحريما ، كما امرك الرب إلهك » !!

نعتقد ان هذه المقدمة عن الارهاب الصهيونى ، كافية لفهم السلوك الارهابى « لاسرائيل » ، سواء على الصعيد الجماعى كمجزرة دير ياسين ، ثم مجازر قبية وكفر قاسم وقطاع غزه .. وانتهاء بمجزرة صبرا وشاتيلا فى بيروت ، أو على الصعيد الفردى ، كاغتيال اللورد موين فى القاهرة ، واغتيال القادة الفلسطينيين الثلاثة فى بيروت : محمد يوسف النجار وكمال عدوان وكمال ناصر ، واغتيال قادة فلسطينيين اخرين من امثال محمود الهمشري ، وماجد ابو شرار (فى باريس ـ وروما) .. الخ .

وفى نطاق الارهاب ضد الافراد ، نشير بصورة خاصة الى اغتيال الوسيط الدولى الكونت فولك برنادوت ، فى ١٧ ايلول (سبتمبر) ١٩٤٨ ، والذى مرت الذكرى الخامسة والثلاثون لاغتياله فى الشهر قبل الماضى . وبالنظر الى ان اغتيال برنادوت ، يشكل نموذجا متميزا للارهاب الصهيونى ضد الافراد ، باعتبار انه ليس اغتيالا للشخص فحسب بل باعتباره اغتيالا للافكار التى يحملها هذا الشخص ، فسوف نعيد رسم سيناريو الاغتيال ، والاسباب « الفكرية » الكامنة وراء قتل الصهاينة للكونت برنادوت .

برنادوت .. تاريخ ومهمة

الكونت فولك برنادوت ، سياسي وعسكرى سويدي ، ولد عام ١٨٩٥ ، وقد تحدر برنادوت من اسرة ملكية عريقة ، فهو نجل الأمير اوسكار اوغست ، وابن شقيق الملك غوستاف الخامس ، اما اسم اسرته المالكة السويدية هذا ، فقد جاء نسبة الى المارشال الفرنسي الاصل « برنادوت » ، والذى تولى عرش السويد فى عام ١٨١٨ ، باسم « كارلوس الرابع عشر » . وقد تلقى الكونت فولك برنادوت تعليمه فى مدرسة التدريب العسكرى للضباط فى كالبرغ ، وتزوج من فتاة امريكية فى عام ١٩٢٨ ، وفى العام ١٩٣٣ ، عين ضابطا فى الجيش السويدي برتبة كوماندور جنرال[1] ، ثم لم يلبث ان تخلى عن هذه الوظيفة ، لكى يصبح رجل اعمال فى العاصمة السويدية « استكهولم » ، وبعد ذلك بفترة قصيرة ، عين نائبا لرئيس منظمة الصليب الاحمر السويدية ، حيث قام بدور الوسيط بين « هملر » ـ الرجل الثانى فى النظام النازى الالمانى ، من جهة ، وبين بريطانيا والولايات المتحدة الامريكية من جهة اخرى وذلك عندما طلبت المانيا الصلح مع هاتين الدولتين ، دون روسيا ، فى نيسان (ابريل) ١٩٤٥ .

وفى آذار (مارس) ١٩٤٨ ، قبل برنادوت عرضاً من منظمة الأمم المتحدة ، ليقوم بدور الوسيط فى الصراع العربى ـ الصهيونى .

وقد بدا برنادوت مهمته بالتنقل بين العواصم العربية ، للتعرف على وجهة نظر الزعماء العرب انذاك بالنسبة للحل الممكن للقضية الفلسطينية ، فزار لهذا الغرض كلا من دمشق والقاهرة وعمان وبيروت ، كما اجتمع مع الامين العام لجامعة الدول العربية عبد الرحمن عزام باشا ، واجتمع أيضاً بـ « بن غوريون » فى تل ابيب ، وبعد مراجعة مستفيضة للآراء المتضاربة ، والضغوط الدولية المختلفة من الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا والاتحاد السوفيتي ، توصل برنادوت إلى قناعة ، بان اى قرار يمكن اتخاذه بشان مستقبل فلسطين ، يجب ان ياخذ بعين الاعتبار ، مطامع اليهود فى فلسطين ، وآراء القادة العرب المتباينة احيانا ، وللمصالح الاستراتيجية لبريطانيا ، ومطالب الولايات المتحدة الامريكية وضغوطها لصالح الصهاينة ، ونتائج الحرب بين اليهود والجيوش العربية ، واخيرا سمعة منظمة الامم المتحدة . وانطلاقا من هذه القناعة ، وضع الكونت برنادوت مقترحاته لحل القضية الفلسطينية ، وقد قامت تلك المقترحات على أساس اعادة النظر فى القرار الذى اصدرته الامم المتحدة فى عام



١٩٤٧ ، بتقسيم فلسطين الى دولتين : عربية ويهودية ، على أسس الاعتراف سلفا بقيام « اسرائيل » ، كامر واقع لا مناص من الاقرار به ، بشرط إدخال بعض التعديلات على الأراضي والحدود .

أسباب الاغتيال

يجمع كل الذين تناولوا جريمة اغتيال برنادوت بالبحث ، على ان الرجل قد ذهب ضحية « سياسة التوازن » التى انتهجها فى وضع مقترحاته ، فقد كانت هذه المقترحات التى وضعها فى ٢٧ حزيران (يونيو) ، ورفعها فيما بعد الى الأمم المتحدة ، تصلح اساسا لتسوية سلمية حسب اعتقاده . اما مجمل هذه المقترحات فهى التالية :

١ ـ ان يقوم اتحاد عربى ـ يهودي ، بين الاجزاء المخصصة للعرب فى فلسطين (بعد ضمها للاردن) ، وبين الاجزاء المخصصة لليهود .

٢ ـ ان يكون كل من الكيانين الفلسطيني واليهودي مستقلا فى شؤونه الادارية والداخلية وسياسته الخارجية .

٣ ـ ان يضم النقب الى الكيان الفلسطيني (وقد كان بموجب قرار التقسيم مخصصا لليهود) .

٤ ـ ان تضم القدس الى الكيان الفلسطيني (وقد كانت بحسب قرار التقسيم دولية) ، على ان يكون لليهود فى المدينة المقدسة ، بلدية مستقلة استقلالا ذاتيا .

٥ ـ ان يضم الجليل الغربى او بعضه الى الكيان اليهودى (وقد كان حسب قرار التقسيم عربيا) .

٦ ـ اعتبار ميناء حيفا بما فيها مصفاة تكرير النفط القريبة منها ، وكذلك مطار مدينة اللد ، منطقتين حرتين .

٧ ـ الاعتراف بحق النازحين من عرب فلسطين ، فى العودة الى ديارهم دون قيد او شرط ، مع استعادة ممتلكاتهم ، ثم تحديد الهجرة اليهودية وتقييدها بالقدرة الاستيعابية للقسم اليهودى من فلسطين .

وقد بادر العرب الى رفض مقترحات برنادوت ، لانها تعترف بتقسيم فلسطين ، وبقيام « دولة صهيونية » على اجزاء واسعة من ارض فلسطين المغتصبة ، اضافة الى انها تفسح فى المجال امام استعمار اقتصادي يهودى فى الكيان الفلسطيني المقترح .

اما « الحكومة الاسرائيلية المؤقتة » برئاسة « بن غوريون » فقد رفضت مقترحات برنادوت بشدة ، وقد القى الدكتور دوف جوزيف ، الحاكم العسكرى اليهودى للقطاع الغربى من القدس انذاك ، الضوء ، على اسباب رفض الصهاينة لهذه المقترحات ، وبالتالى تدبيرهم عملية اغتيال برنادوت ، فقد قال جوزيف هذا فى كتاب وضعه باسم « المدينة المخلصة » ، ان مقترحات برنادوت كانت مبنية على أسس غير سليمة اطلاقا .. ومن السهل فهم الصدمة التى لم تصب « الحكومة المؤقتة » فحسب ، وانما جميع اليهود دون استثناء ، فقد وصفت تلك الحكومة المقترحات بشأن القدس بانها « كارثة » .. وقد كتب احد المعلقين الصحفيين اليهود قائلا : « لماذا لم يستطع الكونت برنادوت ، فهم مشاعر اليهود ، التى جرحتها توصياته بعمق ، وخاصة ما يتعلق منها بالهجرة ومستقبل القدس » !!

اغتيال برنادوت

فى هذا الجو من التعبئة النفسية ضد برنادوت ، وضعت عصابة صهيونية اطلقت على نفسها « جبهة ارض الأجداد » خطة لاغتيال الكونت برنادوت ، والتخلص من افكاره ومشاريعه بالنسبة لمستقبل فلسطين ، وقد وقعت عملية الاغتيال على الشكل التالى :

كان برنادوت قد وصل إلى مطار قلنديا القريب من القدس ، قادما من دمشق بتاريخ ١٧ أيلول (سبتمبر) ١٩٤٨ ، لاجراء مباحثات مع الحاكم العسكرى للقطاع اليهودى من القدس الدكتور دوف جوزيف بشان امور تتعلق بالهدنة التى كانت قائمة انذاك بين العرب والصهاينة ، وقد اعدت سيارتان لنقله مع مرافقيه من المطار الى المدينة التى كان يخيم عليها شبح الحرب وآثار الدمار ، وكان بصحبة برنادوت فى السيارتين عدد من مساعديه هم ممثله الشخصى الجنرال السويدى « ا . ج . لندستروم » والكولونيل الفرنسى سيرو واللفتنانت كولونيل فلاس ، والميجر دي غير والمس قسل ، وممثل الصليب الأحمر الدولى ، ثم انضم الى السيارتين عدد من السيارات اليهودية ، ثم انطلقت القافلة ، بحيث كانت السيارة التى تقل الوسيط الدولى فى المؤخرة .

يقول الجنرال لندستروم الذى كان يجلس الى جانب برنادوت فى السيارة : « لقد اجتزنا المنطقة المحايدة الى الخطوط اليهودية دون وقوع اى حادث ، حيث عبرنا نقاط المراقبة ، وتغلغلنا فى المدينة ، لكن فى القطمون ، اوقفنا من قبل سيارة جيب يهودية عسكرية ، كانت تعترض الطريق ، وبداخلها رجال يرتدون الزى العسكرى اليهودى ، وعندما توقفنا ، رايت شخصا يتقدم مسرعا من سيارة الجيب نحونا ، ولم اعر ذلك اهمية تذكر ، ذلك لانني اعتقدت

اننا امام نقطة تفتيش ، ومهما يكن من أمر ، فقد وضع هذا الجندى اليهودى بندقيته الرشاشة فى فتحة النافذة المفتوحة من جهتى فى السيارة ، واطلق النار مباشرة على الكونت برنادوت ، والكولونيل سيرو ، وسمعت فى نفس الوقت طلقات عديدة من جهات اخرى مختلفة ، ثم سادت حالة من الفوضى ، وفى هذه الأثناء ، هرع ضابط الارتباط اليهودى نحو سيارتنا ، وطلب من « بيرغلى » الذى يقود سيارتنا ، والذى كان خارج السيارة فى تلك اللحظة ، ان يتبعه بالسرعة الممكنة ، لكن الجندى اليهودى كان مايزال يطلق النار .. وسقط الكولونيل سيرو فى المقعد الوراثى ، وايقنت انه مات اما الكونت برنادوت ، فقد انحنى الى الامام فظننت للوهلة الأولى ، انه كان يحاول الاحتماء من الرصاص ، وسالته : هل انت جريح ؟؟ ، فاوما براسه وسقط الى الخلف ، فساعدته على التمدد على مقعد السيارة ، لكننى تحققت حينئذ من انه قد أصيب اصابة بليغة ، فقد كانت هناك بقعة من الدماء على ثيابه وحول قلبه بصورة خاصة .. وفى هذا الوقت ، كان ضابط الارتباط اليهودى يحث « بيرغلي » على الاسراع باتجاه مستشفى « هداسا » ، وهناك سالت الطبيب عما اذا كان بامكاننا عمل شىء ، فاجاب : لقد فات الأوان .. ؟! » .

ويمضى الجنرال لندستروم معقبا : « ان انطباعى عن الحادث يجعلنى مقتنعا ، بان عملية الاغتيال كانت مدبرة ، وقد خطط لها بعناية تامة ، فالموقع الذى اوقفت فيه السيارة ، كان قد اختير بدقة ، وكان من الواضح ان الأشخاص الذين اقتربوا من قافلة السيارات ، لم يكونوا على معرفة ودراية فى اية سيارة كان الكونت برنادوت فحسب ، وانما كانوا على معرفة ودراية دقيقتين بالمكان الذى كان يجلس فيه برنادوت فى السيارة التى كانت تقله » .

لقد اغتيل الوسيط الدولى الكونت فولك برنادوت مساء ذلك اليوم الأسود ، حيث صرعته ست رصاصات ، استقرت احداها فى قلبه ، اما الكولونيل سيرو ، فقد أصيب بسبع عشرة رصاصة ، توفى فى اثرها على الفور . ويضيف شهود عيان رافقوا برنادوت فى رحلته الأخيرة الى القدس ، وقدموا شهاداتهم عن الحادث الى الأمم المتحدة ،


كمال ناصر


كمال عدوان


ماجد ابو شرار

أن النار اطلقت كذلك على خزان المياه فى سيارة الكونت ، وعلى عجلات السيارة ، وكان المقصود من ذلك ، إعاقة السيارات عن اللحاق بسيارة الجناة ، التى ولت الادبار ، واختفت تماما ، وفى الصبلح الباكر من التاسع عشر من ايلول (سبتمبر) ١٩٤٨ ، نقل جثمانا برنادوت وسيرو ، الى ميناء حيفا ، حيث القى مساعدو برنادوت النظرة الاخيرة عليه ، قبل نقله الى مسقط راسه فى بلده السويد ، حيث دفن هناك .

القتلة .. من هم ؟

تبين فيما بعد ، من خلال رسالة وجهت الى وكالة الأنباء الفرنسية ، ووزعت على عدد من السفارات ، ان منظمى عملية الاغتيال هم جماعة تطلق على نفسها اسم « هازيت موليديث ـ اى « جبهة ارض الاجداد » الصهيونية ، وذكرت مصادر الشرطة الاسرائيلية ، ان هذه الجبهة المزعومة ، ما هى إلا عصابة « شتيرن » الارهابية ، وقد جاء فى الرسالة بالنص : « .. ومع اننا نعتبر جميع مراقبى منظمة الامم المتحدة ، افراداً فى قوة احتلال اجنبية ، ليس لها الحق فى التواجد على « ارضنا » ، فان قتل الكولونيل الفرنسى سيرو ، يعود الى خطأ لا يغتفر ، فقد ظن رجالنا الضابط الجالس الى جانب الكونت برنادوت ، العميل البريطانى اللاسامى الجنرال لندستروم » . وقد نشرت صحيفة «افتونبلات » السويدية ، تحقيقا واسعا فى

تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩٨٢ ، اكدت فيه ان هناك وثائق تؤكد ان اسحق شـــامير كان واحدا من ثلاثة ارهابيين صهاينة ، اطلقوا النار على الكونت برنادوت وقالت الصحيفة ، ان هناك ما يثبت ان مناحيم بيجن ، اشترك مع ثلاثة آخرين فى وضع خطة الاغتيال ، واوردت الصحيفة تصريحا لرئيس الحكومة السويدية اولوف بالمه ، قال فيه : « إن السويد لا يمكنها ان تنسى مهما طال الزمن ، ان وزير خارجيـــة اسرائيل الحالى (اسحق شامير) ، كان وراء جريمة اغتيال الكونت فولك برنادوت » واردفت الصحيفة السويدية قائلة ان اسحق بيرتنسكي ، وهو اسم شامير الأصلى ، قد اعترف امام الحكومـــة الاسرائيلية المؤقتة فى عام ١٩٤٨ ، انه قرر مع زملائه ، التخلص من الوسيط الدولى السويدى ، لانه كان « متعاطفا مع العرب » ولان برنادوت كان يتمتع بشخصية قوية وجذابة ، تستطيع التأثير على سير الأحداث ، مما اعتبره الصهاينة ضـــاراً بهم .

وعلى اية حال ، فان جريمة اغتيال برنادوت ،ماتزال شاهدا بين الاف الشواهد على حقيقة الارهاب الصهيونى ، باعتباره الوجه الآخر لمقولة « الشعب المختــار » المخرفة ، وباعتباره ليس اداة ووسيلة لتحقيق النظرية الصهيونية ، وانما الاداة والوسيلة .

عصام شريح

حول قضية الشورى في الإسلام :

ما قيمة الرأى الذي يتوصل إليه أهل الشورى ؟

بقلم : الدكتور عبد الحميد إسماعيل الأنصاري

قد لا تشكل اهمية الشورى خلافاً بين الباحثين فى العصر الحديث ، فالأخذ بالأسلوب الشورى ضرورة لتقدم الأمة ورقيها ، ولايجاد المناخ الحر الذى تنشط فيه الطاقات وتبدع ، وضمانة لاستقرار الحكم وحمايته .

والشورى ـ فى حد ذاتها ـ تشكل احدى الدعامات الأساسية التى يرتكز عليها ديننا الاسلامى الحنيف . قال الله تعالى مخاطباً نبيه الكريم « وشاورهم في الأمر » (١) ، وفى آية اخرى امتدح سبحانه وتعالى المؤمنين بصفات اساسية منها ان امرهم شورى بينهم فقال عز وجل : « والذين استجابوا لربهم واقاموا الصلاة . وامرهم شورى بينهم ، ومما رزقناهم ينفقون » (٢) .

ومن هاتين الآيتين ، ومن تطبيق الرسول صلى الله عليه وسلم لمبدأ الشورى استدل العلماء على اهمية الشورى وضرورتها ، وجعلوها قاعدة اساسية من قواعد نظام الحكم فى الاسلام .

وعلى هذه القاعدة اتفق الباحثون ، لكننا لا نجد مثل هذا الاتفاق حول قضية « الزام الشورى » أو «نتيجة الشورى» .

وبعبارة أكثر وضوحاً : ما قيمة الرأى الذى يتوصل إليه أهل الشورى بعد المناقشة ؟ هل هي ملزمة للجهات التنفيذية أم غير ملزمة ؟

وهذه القضية كانت محل خلاف بين فقهائنا ـ رحمهم الله ـ وان كان الفكر السياسى ـ عامة ـ والاسلامى ـ خاصة ، قد تطور لصالح إلزامية الشورى . وكنا نظن ان المسالة قد حسمت ، حتى قرانا فى الآونة الاخيرة فى بعض الصحف اليومية ، فتاوي لبعض العلماء يرون ان الشورى غير ملزمة فراينا من المناسب ان نعرض حججهم للنقاش ـ فيما ياتي ـ توصلا إلى الرأى الصواب .

الحجة الأولى : وخلاصتها ان الحاكم فى الاسلام موضع ثقة المسلمين وهو الأمين عليهم ، خاصة وقد توافرت فيه شروط الامانة والصلاح والكفاءة ، وقد جاء باختيار سليم من قبل المسلمين . وعلى ذلك فالشورى غير ملزمة له .

وهذه الحجة مستند الشيخ محمد متولى الشعراوي ، والذى يعتبر من أبرز المدافعين عن هذا الرأى ، إذ يقول :

« والشورى لا تلزم الحاكم المسلم الذى بايعته الأمة الاسلامية ببيعة ايمانية لأن الحاكم حين ينال ثقة الأمة على اساس دينى يكون متحملا للامر باكمله ، مسؤولا عنه امام الله وامام الرعية » (٣) .

وفى صحيفة الأهرام فى عددين متتاليين (٤) يرد الشيخ على منتقديه ، فيقول : « ان الحاكم المسلم وان كان غير معصوم ، فكذا المشير غير معصوم ، فما الذى يرجح رايا غير معصوم على رأى غير معصوم ؟ » .

ويضيف «ان الحق مع الحاكم لانه اختير ببيعة إسلامية ، شهدت له بانه الأعدل والأمثل والأوثق والأمن ، وتلك حيثيات لا توجد فى اى مشير» . ومن قبله ، ذهب الدكتور حسن هويدى الى أن عدم إلزامية الشورى لا يعنى الاستبداد والتسلط ، (لأن الحاكم المسلم مقيد بدستور الشريعة ، وحوله رقابة العلماء تذكره وتسدده وتحذره ، ولانه يتمتع إجمالا بتقوى الله) . (٥)

وقد سبقت الشيخ والدكتور ، جماعة شباب سيدنا محمد «صلى الله عليه وسلم» إذ نقرأ فى دستورها «منهاج الدعوة» . «إن للامام بعد الشورى ان يختار ما يراه فى تقديره محققاً للخير ، متفقاً مع المصلحة العامة» . وجاء فى مبررات هذا الرأى (٦) : إن اختيار الامام إنما قام على إيمان اهل الحل والعقد بكفايته ، وثقتهم فى دينه وامانته ، واطمئنانهم الى رجاحة رايه وثاقب فكره .

والامام بحكم إحاطته بما لا يحيط به الآخرون ، من الظروف والعوامل والاسرار ، يستطيع ان يكون اكثر من غيره إدراكاً للمصلحة وتقديراً للسبيل الموصل اليها .

واخيراً نجد الدكتور عبد الحميد متولى ـ الفقيه الدستورى الكبير ـ يحاول ان ينفى الخشية من الحكم المطلق او الحكم بالهوى على اساس ان الحاكم مقيد باحكام الشريعة ، وبجواز عزله عند امن الفتنة .


الشيخ متولى الشعراوى


عبد القادر عودة


د . احمد كمال ابو المجد


الشيخ محمد رشيد رضا

الحاكم .. والقواعد الموضوعية

وهذه الحجة ومبرراتها تناقش فى ضوء الاعتبارات التالية :

اولا ـ ان اشتراط الصفات الشخصية من العلم والكفاءة والصلاح او توافرها فيمن يتولى السلطة ـ على اهميته ـ لا يحول دون التسلط ، إذ ان معرفتنا بالضعف البشرى وخبرتنا بطبائع النفوس تمليان علينا أن لا نكتفى بهذه الضمانات الشخصية .

فالحاكم انسان معرض للخطأ والنسيان وقابل للتأثر بالميول والأهواء وخاضع للتقلبات النفسية والمزاجية ، وهى امور ، تؤثر ـ بلاشك ـ على اتخاذه القرار السليم .

وقد علمتنا التجارب ان الارتكان على حسن نوايا الحاكم او كفاءته امر لا يمكن الاطمئنان اليه ، فالسلطة مفسدة ، والسلطة المطلقة مفسدة مطلقة ، وللسلطة اغراءاتها الشديدة إلا على من عصم ربك وذلك قليل او نادر ، والنادر لا يبنى عليه حكم .

وقد ان لنا أن نتعظ من احداث تاريخنا الماضى والمعاصر ، وان نتعلم من تجارب الأمم فى انماط الحكم، إن الاطمئنان الى توافر المعيار الشخصى فى الحاكم والاكتفاء به مغامرة غير مأمونة على مستقبل الأمة وعلى شخص الحاكم نفسه ومن هنا كنا فى حاجة الى وجود قواعد موضوعية ثابتة ادعى الى الطمأنينة تتمثل فى وجود المؤسسات التنظيمية حول الحاكم تراقبه وتلزمه بقراراتها مع وجود الرقابة العامة المستنيرة ووجود الصحف الحرة .

ثانياً : ان الحاكم وان حسنت نواياه وكان رائده الصالح العام قد يقع فى الخطأ والجور ، بحكم قصوره الانسانى ، فقد يتخذ قراراً خاطئاً بناء على معلومات غير دقيقة او خاطئة ، او لعدم وضوح فى الرؤية او للتسرع والحماس ، او لعدم التدقيق ، او لعدم اقتناعه او لعدم فهمه او لمحدودية قدرته العقلية او لرد فعل معين ، وهذا حاصل وكثير .

والرسول صلى الله عليه وسلم ـ وهو من هو ـ كان يجتهد فى المسائل التى اذن بالاجتهاد فيها فكان يصيب ، وقد يخطىء ويأتى الوحى مصححا ، فكيف بمن هم دونه ؟!

ثالثا : واما القول بوجوب حسن الظن فى ولى الأمر لتوافر الثقة والنزاهة فيه فهذا مسلم ، ولكن القضية ليست قضية ثقة من عدمها ، بل الثقة موجودة ، وحسن الظن قائم ، ولكن أمور الدول لا تبنى على حسن الظنون وتوافر النزاهة فحسب ، وقواعد الحكم والسياسة لا تقوم على النيات الطيبة وحدها ، والمصالح العامة لا يجوز تركها اكتفاء بالوعود من قبل الحاكم وبالدعوات الصالحات منا .

فالحاكم انسان زائل والأمة كيان باق فلابد من قواعد واضحة تحدد الاختصاصات والعلاقات .

رابعاً : ومع ذلك ومع توافر حسن النية ، فاذا صح ان ينفرد الحاكم باتخاذ القرار فى مسائل خاصة ، فليس من الحكمة ولا من حسن السياسة والتدبير ان تكون له سلطة الانفراد باتخاذ القرار فى الأمور المتعلقة بالمصالح العامة ... لماذا ؟ لأن الخطأ فى الأمر الأول يسير ويمكن تداركه بينما الخطأ فى الأمر الثانى جسيم بالنسبة للضرر الذى يلحق بالمجموع وقد لا يمكن تداركه ... وما اكثر القرارات الفردية التى اودت بمصائر الأمم او ادت الى نكبات وكوارث . فهل من باب السياسة الشرعية الرشيدة ان نترك أمرنا العام معلقا بارادة فرد ؟ وهل من الصواب ان يبقى مصير أمة مرهونا باجتهاد فرد ـ مهما بلغ اجتهاده ـ ؟ مع ان جماعة المسلمين ما استحقوا ثناء القرآن إلا لأن امرهم العام شورى بينهم .

خامساً : اننا نطلب فى متولى السلطة امورا فوق طاقته حين نفوضه سلطة الانفراد بالقرار فى الأمر العام ، فالقرارات العامة تحتاج الى خبرات وتخصصات عديدة نظراً لتشابك الاختصاصات وتعقد امور الحياة ، ولأن لهذه القرارات جوانبها المختلفة وانعكاساتها المتعددة على شتى امور المجتمع ، مما يستلزم تضافر جهود اهل الخبرة وتشاورهم .

فهل من المصلحة الانفراد بالقرار بناء على اجتهاد فردى قد يكون اساسه الهام فكرى فى لحظة صفاء ؟!

سادساً : واما تساؤل الشيخ الشعراوى عن سبب ترجيح رأى اهل الشورى على رأى الحاكم مع انتفاء العصمة عن الطرفين فيجيب عنه الدكتور محمد سعاد جلال ، بقوله : (٨)

« كلا ، إن الحاكم يكون فرداً ، وأما المشير فانه يكون الأمة كلها ممثلة فى أعضاء المجلس ، والأمة لا تجتمع على ضلالة ، فالأمة معصومة من الخطأ فى مقابلة عدم عصمة الامام ـ ولا نعنى بالعصمة ـ العصمة الشرعية التى يتكلم عنها الأصوليون فى باب الاجماع ـ وإنما عصمة ثابتة بحكم العقل ، فان العادة جرت بان اتفاق اهل الشورى او اكثرهم على رأى ، هو عصمة معتبرة ، ولا يمكن بحكم التجربة ونظر العقل ان يترجح عليها حكم فرد هو الحاكم اصلا » .

ماقيمة الرأي الذي يتوصل إليه أهل الشورى ؟

ونحن بدورنا نؤكد ان رأى اهل الشورى راجح على راى الحاكم الفرد مهما كانت حيثياته ، لأن رأى الجماعة اقرب الى الصواب ، وقد ايد ذلك كل من حكم العقل ودليل النقل ، فاما حكم العقل فيقضى ـ حسب نظرية الاحتمالات ـ ان صواب الجماعة اكثر من صواب الفرد وهو امر يوضحه الأستاذ محمد اسد ، بقوله :

«إن احتمال وقوع الجماعة فى الخطا اقل من احتمال وقوع الفرد ، لأن الفرد مهما كان تقيا ذكيا حسن النية ، فاحتمال تاثره بميوله الخاصة كبير بعكس مناقشة جماعة لمسالة معينة واستعراضها من جميع زواياها ، فاحتمال وقوعهم فى الخطا سيقل الى ادنى حد ممكن» (٩) .

واما دليل النقل . فالاسلام دين الجماعة ، والجماعية نزعته وروحه وقد وضح تاييد الشرع لمبدا الاغلبية فى حث الرسول صلى الله عليه وسلم فى احاديث كثيرة يقوي بعضها بعضا ، على اتباع راى الجماعة او الاكثرية مثل (يد الله مع الجماعـــــة) (لا تجتمع امتى على ضلالة) (ما راه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن) .

يقول الأستاذ عبد القادر عودة ـ رحمه الله :

« وربما صح ان ياتى راى الأكثرية خاطئا ، وراى الاقلية صوابا ولكن هذا نادر والنادر لا حكم له ، والمفروض شرعا ان راي الاكثرية هو الصواب ، مادام كلهم يبدى رايه مجردا لله ... واساس ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم (لا تجتمع امتى على ضلالة) و (يد الله مع الجماعة) فالله يسدد دائما خطى الجماعة ويوجهها الى الراي السديد» . (١٠)

ويقول الأستاذ الشيخ محمد رشيد رضا ـ رحمه الله ـ فى تعليقه على حادثة أسرى بدر : «ومنه يعلم ان ما شرعه الله تعالى من العمل براي الأكثرية ، فسببه انه هو الامثل فى الامور العامة» (١١) .

فحيث لا دليل او نص ، يكون راى الجماعة هو ميزان الحق ، يوضحه قول الدكتور احمد كمال ابو المجد :

«إن الاسلام يجعل الوزن الأكبر لراى الجماعة ، جاعلا منه دليلا على الحق وشاهدا له عند انعدام المعيار الموضوعى ، الذى يكشف الحق فى ذاته ... ومن هذا الايمان براي الجماعة انبثقت قاعدتان هامتان : اولاهما قاعدة الشورى فى نظام الحكم ، والأخرى : قاعدة الاجماع كحجة شرعية» (١٢) .

وقد يقال ان الجماعة ايضا تخطىء وإن الفرد قد يكون اصوب رأيا . وهذا مسلم ، لكنه قليل ، والعبرة بالغالب والاكثر .

وإن تخطىء الجماعة فانها تتحمل مسئولية خطئها وان يخطىء الفرد فما ذنب الامة ان تجنى ثمار قراراته الخاطئة . وكيف تعاقب فيما لا ذنب لها ، والاية تنص (ولا تزر وازرة وزر اخرى) ؟ وكيف يقال ـ حينئذ ـ ان الحاكم معذور فى الخطا الاجتهادى ؟ فهل يذهب هو بالأجر وتذهب الامة بالوزر ؟

يقول الدكتور محمد سعاد جلال :

«وعلى فرض احتمال خطا الامة ، فاننا نرى ان خطا الامة اهون من خطا الحاكم بمراحل ، لأن الامة حين تخطىء تخطىء فى ملكها ، ولا تعتبر معتدية على نفسها ، اما الحاكم إذا اخطا فانه يخطىء فى ملك غيره ويعتبر معتديا على حق غيره» (١٣) . ولان تخطىء الجماعة فانها تتعلم من اخطائها وتكسب من تجاربها وذلك اسلوب قويم فى تربية الامة وبلوغها مرحلة النضج .

يشير الشيخ محمد ابو زهرة الى هذا المعنى بقوله :

«وخير للجماعات ان تخطىء فى راى تبديه وهى حرة من ان تفرض عليها اراء صائبة ، فان صوابها يكون مقترنا بارهاق نفسى وضغط للارادة وذلك اشد ضررا فى تكوين الامم» . (١٤)

ومحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف أن الجماعة على خطا فيما راوه من الخروج فى احد ـ للرؤيا التى راها ـ ولم يرض صلى الله عليه وسلم ان يفرض عليهم رايه الصائب . والسؤال هنـــا لماذا ؟ (١٥) .

سابعا : واما القول بان الحاكم مختار ببيعة إيمانية شهدت انه الاوثق والاصلح ، وعلى هذا فالحق معه . فيرده الدكتور عبد الله ابو عزة بقوله :

«إن رئيس الدولة الاسلامية يجرى اختياره عادة من بين زعماء الامة وقادة الراى فيها ، وهو عندما يتم اختياره لا يكون فريدا او عملاقا بين اقزام ، بل يكون واحدا من بين نخبة يتقارب افرادها تقاربا شديدا فى مستواهم ، فاذا ما رفع من بينهم ونصب فى مركز الخلافة او الامارة ، فان مقدرته العقلية لن تزيد ، وسيظل من حوله يقاربونه وستظل حصيلة ارائهم اكبر من حصيلة رايه هو منفردا» (١٦) .

ويقول الدكتور محمد سعاد جلال :

«إن حقيقة البيعة انها مرسوم صادر من الامة بتوظيف شخص مختار فى موضع النيابة عنها بحكم توزيع الاختصاص فيما لا تستطيع ان تباشره بنفسها ، وهى على صفة الاجتماع ، وهو لا يعطى بهذه البيعة اى ميزة ترتفع بذاته عن بقية افراد الشعب باكثر من حق وظيفته ، فلا يكتسب صفة مقدسة او شبه مقدسة ، ولذا قال ابو بكر لما تولى الخلافة «وليت عليكم ولست بخيركم» فاذا كان الامر كذلك ، فليس فى طبيعة عقد البيعة ما يجعل الحاكم على الراى الحق ، فى مقابلة اراء الامة دائما» . (١٧)

ماذا عن المسائل المستجدة ؟

ثامنا : واما القول بان الحاكم مقيد بالشريعة ، فلا خشية من الحكم بالهوى او الحكم المطلق ، فمردود بان النصوص الشرعية التى خوطب بها المكلفون إما ان تكون قطعية فلا تحتمل الخلاف ، وإما ان تكون ظنية الدلالة وهنا المجال واسع لتعدد الآراء والاختلاف ، وموضوعات الشورى المتعلقة بامور السياسة والحكم والادارة إنما وردت فى القران والسنة على وجه الاجمال او العموم ومن هنا فالاختلاف حاصل وواقع بين الحاكم ومجلس الشورى فما الحكم ، وكل يدعي ان الحق معه وانه الاقرب الى الكتاب والسنة ؟

ومن ناحية اخرى ، ماذا عن المسائل المستجدة والقضايا التى لا نجد لها نصا شرعيا محددا ، وهى المسائل التى تدخل فى باب السياسة الشرعية او المصالح العامة ، والتى تتعدد فيها الافهام والانظار ؟

ونتساءل مع الدكتور عبد الله ابو عزة :

«كيف يظهر الصواب من الخطأ عندما يختلف اهل الشورى ورئيس الدولة حول قضية لا نص فيها ولا دليل واضح من كتاب او سنة ؟ وإذا لم يكن راى اغلبية اهل الشورى المفروض انهم كبار اهل الراى فى المجتمع الاسلامى ، إذا لم يكن رايهم هو الدليل الترجيحى على الصواب ، فما الدليل ؟ نعم ، فما هو المعيار المرجح حين ينعدم الدليل وتغمض القضية وتتباين الاجتهادات ؟

نعم ان المظنون برئيس الدولة ان يختار الأصوب حين يتضح صوابه ، وفى هذه الحالة فان المظنون فى كل فرد من مجلس الشورى ان يختار الأصوب ـ اى حين يكون الصواب بينا ... ولكن ما هو معيار الصواب حينما يعوزنا الدليل وينعدم الوضوح ؟ (١٨) .

وما ادرانا ان الحاكم غير الملتزم بالاغلبية قد اتخذ قرارا صائبا من غير تاثر بمحاباة او هوى .

فالنصوص الشرعية ـ إذ لم تكن الاغلبية مبدأ مسلما به ـ لا تقيد الحاكم ولا يفيدنا القول بان الحاكم ملتزم بالشريعة ـ لان العدول عن الاغلبية سيحرر الحاكم من قيد تستخدمه الأمة للحيلولة دون التسلط او الانحراف . ولذلك فنحن نرى ان التقيد بالاغلبية هو احد القيود الفعالة فى الشريعة الاسلامية وان الالتزام بالشريعة لا يتم على الوجه المطلوب إلا إذا التزم الحاكم بنتيجة الشورى . واما النصائح والمواعظ ـ لوحدها ـ فما اقل جدواها لمن هم فى السلطة ؟!

يقول الأستاذ الشيخ محمد عبده ـ رحمه الله ـ :

«إن نصوص الشريعة لا تقيد الحاكم بنفسها ، فانها ليست إلا عبارة عن معان احكام مرسومة فى أذهان ارباب الشريعة وعلمائها ، او مدلولا عليها بنقوش مرقومة فى الكتب ، ولا يكفى فى تقييد الحاكم بها مجرد علمه باصولها ، بل لابد فى ذلك من وجود اناس يتحققون بمعانيها ويظهرون بمظاهرها» (١٩) .

واما رقابة العلماء واهل الصلاح حول الحاكم فلا تجدى ما لم يكن لرايهم الوزن او الثقل اللازم . وما لم يكن رايهم ملزما .

وصحيح ان للتسلط او الانحراف اسبابا كثيرة ولكن غياب الشورى الملزمة احد الأسباب الرئيسية .

تاسعا : واما القول بان مبدأ عزل الحاكم يحول دون التسلط ، فيناقش بانه مبدأ جميل ، ولكن هل يسهل تنفيذه خاصة مع الضوابط الفقهية كاشتراط امن الفتنة وعدم ترتب فساد اكبر ؟

وكيف يمكن تقرير هذا الأسلوب والمخالف لا يرى إلزام راى اهل الشورى ؟ فضلا عن انه لا يحسن اللجوء اليه إلا للضرورة او وجود مسئولية جسيمة ، فهل بعد مراعاة هذه الضوابط والشروط ، يعد هذا المبدأ ضمانا كافيا ؟

وهكذا .. ننتهى الى رفض القول بعدم الزام الشورى للحاكم بحجة توافر شروط الكفاية والعلم والأمانة فيه ، إذ ان التسليم بهذه الحجة ، قد تكون ذريعة الى التسليم بنظرية المستبد العادل ولكن تحت اسماء شريفة ، ومهما اختلفت الأشكال فيجب ان لا ننخدع بها لأن المضمون واحد .

ولهذا ينتهى استاذنا الدكتور يوسف القرضاوى ، الى القول :

« إننا نتبنى القول بوجوب الشورى ، وبان نتائجها ملزمة مادامت صادرة من اهلها ، فى محلها ، وحسب امتنا ما لاقت من الطغاة والمستبدين . اما حكاية المستبد العادل الذى لا ينهض بالشرق غيره ، كما قيل ، فهى مرفوضة ، إذ لا يجتمع العدل والاستبداد ، فالعادل لا يكون مستبدا ، والمستبد لا يكون عادلا ، وكيف يكون عادلا من يرى نفسه عليما بكل امر ، وحكما فى كل قضية» (٢٠) .

ويؤكد هذا المعنى الدكتور حسان حتحوت ، فيقول :

«كنت فى تلمذتى اردد مع جيلى قول الافغانى ان الشرق فى حاجة الى مستبد عادل ، والآن تغيرت نظرتى ، فايقنت ان المستبد لا يمكن ان يكون عادلا ، وان امور الشعوب لا يمكن ان تحملها كتفا مستبد ، ولا تحملها إلا الشعوب ، وإن دولة تعقم فلا تنجب إلا رجلا هو الكفء الوحيد على تسيير امورها ، لا يمكن لها ان تجد مكانا بين الدول إلا فى الدرك الاسفل» (٢١) .

د. عبد الحميد اسماعيل الانصارى
كلية الشريعة / جامعة قطر

هـــــوامـــــش

(١) ال عمران ١٥٩ .
(٢) الشورى ٣٨ .
(٣) الشورى والتشريع ص ١٧ ـ دار ثابت ـ القاهرة .

(٤) الاهرام ٧/٧/٨٢ و ٥/٧/٨٣ .
(٥) الشورى فى الاسلام ص ٢٥ ـ المنار الاسلامية ط ٧٥ .

(٦) ص ١٥٧ عن «الدعوات الاسلامية المعاصرة ، ما لها وما عليها» للأستاذ جمال البنا ، وراجع ملاحظاته القيمة ... ومن المهم ان نشير الى تاثير العلامة المودودى فى التفكير السياسى للجماعة ، خاصة فيما نقلوه من كتابه (نظرية الاسلام السياسية) حيث يرى الأستاذ المودودى ان للحاكم الحق فى ان يوافق الاقلية او الاغلبية او ان يخالف راى المجلس كله . ويلاحظ ان الكتاب فى اصله كان محاضرة القيت فى ١٩٣٩ ، ولكن المودودى ـ رحمه الله ـ تجاوز هذا الراى ، ففى محاضرته (تدوين الدستور الاسلامى) ١٩٥٢ ، جعل الشعب هو الحكم فى النزاع بين الحاكم والمجلس ، وحبذ ان تكون الحكومة تابعة للمجلس . (راجع نظرية الاسلام وهديه ص ٢٧٦) .

(٧) مبادىء نظام الحكم فى الاسلام ص ٦٦٧ ، المعارف ١٩٦٦ .
(٨) صحيفة الجمهورية القاهرية ١٢/٩/٨٢ .

(٩) منهاج الاسلام فى الحكم ص ٨٨ .
(١٠) الاسلام واوضاعنا السياسية ص ١٦٢ .
(١١) تفسير المنار ٩٩/١٠
(١٢) نظرات حول الفقه الدستورى والاسلام ص ٥٣ .

(١٣) الجمهورية ١٢/٩/٨٢ .
(١٤) المجتمع الانسانى فى ظل الاسلام ص ١٥٧
(١٥) راجع الاجابة البليغة للاستاذ سيد قطب ـ رحمة الله ـ فى تفسيره القيم فى ظل القرآن ٤/ ١٢٠ .
(١٦) مقال «الشورى ام الاستبداد» مجلة المجتمع الكويتية ديسمبر ٧٠ العدد ٤١ .

(١٧) الجمهورية القاهرية ١٢/٩/٨٢ .
(١٨) من مقال «الشورى ام الاستبداد ؟» المجتمع الكويتية ، ديسمبر ١٩٧٠ العدد ٤١ .

(١٩) الفكر السياسى للامام محمد عبده : عبد العاطى محمد احمد ، ص ١٩١ ، الهيئة المصرية العامة ١٩٧٨ .
(٢٠) مجلة «الأمة» القطرية محرم ١٤٠٢ ، نوفمبر ٨١ .
(٢١) مجلة «العربى» الكويت مارس ٨٣ .

أذهــــــان بـــلا حــــــدود "1"

الذين يطيرون فى الهواء والذين يحلمون بما يحدث لهم فى الغد وغير ذلك من الظواهر الخـــارقة فى النفس والطبيعة والحيـــاة .... ما حقيقتها وما مدى صدقها وكيف ينظر إليها العلم الحديث ؟!



اذكر جيداً عندما كنت فى الحادية عشرة من عمرى ، او فى أولى ثانوى بالنظام القديم اننى كنت شغوفاً الى اقصى حد باحدى مجلات الاولاد التى كانت تصدر فى ذلك الحين . كانت هذه المجلة تصدر صباح كل خميس ، وكنت اقضى الليلة السابقة فى شوق دائم انتظاراً لصدورها فى الصباح ، وعندئذ اكون فى الشارع فى ساعة مبكرة جداً لاحصل على مجلتى المحبوبة .

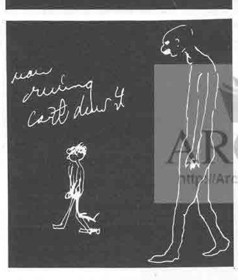
وصباح ذات خميس ، استيقظت مبكراً وقلت لاختى وهى طفلة ايضاً كانت تشاركنى نفس الاهتمام بالمجلة : لقد حلمت اننى اشتريت المجلة وكان فيها كيت وكيت ومضيت أصف صورة الغلاف ومغامرات شخصيات المجلة الشهيرة ، فالقرد بيانكى يفعل كذا ، وابن جحا يفعل كيت ، والكشاف الباسل يبدا مغامرة جديدة ضد عصابة تهريب ، وهكذا .

ونزلت الى الشارع بعد ان إزدردت طعام الافطار ، واشتريت المجلة ، ولدهشتى الشديدة وجدت على غلافها نفس الصورة التى رايتها فى الحلم ، وازدادت دهشتى عندما فتحت صفحاتها واخذت اقلب فيها حين طالعتنى نفس الموضوعات التى رايتها فى المنام ، كاننى كنت اقراها اثناء نومى على سريرى بالفعل ، فدق قلبى بشدة وسارعت الى اختى واريتها المجلة وما فيها من موضوعات حدثتها عنها .. فابدت هى ايضاً دهشتها الشديدة لذلك .

هذه القصة اغامر بروايتها فى صدر هذا المقال عن « البارا سيكلوجى او ما وراء علم النفس » لعلمى انها قد تثير شكوك كثيرين من القراء ، او قد اتهم على الاقل باننى متحيز للباراسيكلوجى ومن ثم يكون حديثى عنه غير محايد او موضوعى ، وهو شعور يكفى اى قارىء لان يضع « الدوحة » جانباً او يقفز من هذا المقال الى غيره . والحقيقة اننى اكتب عن هذه الظاهرة من معسكر المتشككين المتروين .

ومن حق كل قارىء ان يشك فى هـــذه القصة وامثالها ، بل ان والدىّ وغيرهما من الكبار حين حدثتهم بهذا الحلم الغريب واريتهم المجلة لاثبت صدق كلامى ، ابتسموا ، ولم يصدقوا ، ولم تشفع لى شهادة اختى باننى حدثتها عن الحلم قبل





رسم يرجع الى عام ١٨٤٥ يبين ستة اشخاص يتطلعون الى معرفة مستقبلهم عن طريق التنويم المغناطيسى وكانت الظواهر الباراسيكلوجية قد بدات تشغل اهتمام الناس فى اوربا بشدة منذ منتصف القرن التاسع عشر .

بعض الرسوم الناجحة التى استطاعت فيها مارى سنكلير ان تقترب من الاصل الى حد كبير . كانت لها ايضا رسوم فاشلة واخرى احرزت نجاحا جزئيا .

شراء المجلة ، واعتقدوا جميعا اننا نهزل !

هذه القصة تذكرتها مبتسما وانا اقرا قصيدة للشاعر كولردج يقول فيها :

ماذا لو اخذتك سنة من النوم
وماذا لو حلمت انك ترتقى فى السماء
الى مكان عال به جنة من الزهور
وماذا لو قطفت منها زهرة
ثم استيقظت من نومك
لتجد الزهرة بين اصابعك ؟ !

واحمد الله على اية حال اننى لم استيقظ من نومى لاجد المجلة فى يدى ، والا اصبح الامر خطيرا ، بل ان شارحى كولردج يصفون هذه القطعة بانها محض خيال شاعر ، ولم يتصور احد منهم بالطبع انه قد يعبر عن تجربة حقيقية !

تجارب السيدة سنكلير

وعندما اخذت اقرا فى الباراسيكلوجى وجدت ان ما حدث لى ، اى حلم الطفولة ، يشبه على نطاق ضيق تجربة السيدة سنكلير . هذه السيدة هى زوجة الروائى الامريكى اوبتون سنكلير الذى عاش فى عشرينات هذا القرن وكان كاتبا تقدميا على شاكلة مارك توين وشتاينبك .

وقد اكتشفت الزوجة فى نفسهامقدرة غريبة ، هى انه فى امكانها ان ترسم اى شكل مرسوم داخل مظروف مغلق ، ويصف سنكلير فى كتابه « التخاطب الذهنى » قصة هذا الاكتشاف فيقول ان زوجته كانت تعانى المًا شديدًا من مرض اصابها ، فتعلمت ان تفرض سيطرتها الذهنية على هذا الألم ، وذلك بان كانت تسترخى تماما ، وتجرد ذهنها من كل الافكار ، فيما عدا فكرة

واحدة تركز عليها ، ثم تطور اهتمامها بالقوى النفسية عندما تعرفت الأسرة على شاب يدعى « جان » كان يؤدى أعمالا ذهنية ومادية غريبة بما فى ذلك رفع جسمه فى الهواء ، وانشأت السيدة سنكلير علاقة قوية مع « جان » .. بل يمكن القول انها تتلمذت على يديه . وذات صباح قالت السيدة سنكلير انها حلمت انها تلقت من « جان » سلة صغيرة من الزهور الحمراء والبنفسجية ، ثم امسكت قلماً وورقة ورسمت سلة الزهور . وبعد قليل فوجىء الزوجان سنكلير بدق على الباب ، وكان القادم رسولا من « جان » يحمل نفس سلة الزهور التى رأتها السيدة فى المنام !

وخلال العامين التاليين رسمت السيدة سنكلير ٢٩٠ رسماً كمحاولة لمضاهاة رسوم مختلفة قام بها زوجها وسكرتيره وآخرون ثم وضعوها دون ان تراها داخل مظاريف مغلقة ، وجاءت بعض هذه المحاولات صوراً طبق الأصل ، أو بالتحديد عد الزوجان سنكلير ٦٥ محاولة ناجحة تماما ، و ١٥٥ محاولة احرزت نجاحاً جزئيا ، والباقى أى ٧٠ محاولة فاشلة .

وتعرض سنكلير وزوجته للسخرية والازدراء من الكثيرين ، وبخاصة من زملائه الـــذين كتب احـــدهم مقالا فى صحيفة بعنوان «سنكلير يقترب من الجنون» ، ورد سنكلير على اعتراضاتهم مستخدما كل ما فى استطاعته من الفصاحة قائلا «إننى لا اريد ان اؤمن بالتليباثى ، إننى لا اعرف ماذا يمكن ان اصنع به ، ولا اعرف الى اية وجهة من الكون سوف يحملنى ، إننى افضل تماما ان اكرس كل وقتى لعملى .. باختصار ليس هناك فى هذا العالم اى سبب يدعونى لهذا الاهتمام سوى ايمانى الجازم بان التليباثى حقيقة ، واخلاصى للصدق يحتم على ان اقول ذلك» .

اما اليوم ، بعد ستين عاما على هذه الاحداث ، إذا قدر لسنكلير ان يرد على منتقديه لن يكون محتاجاً لكل هذه الفصاحة ليدفع عن نفسه تهمة السير نحو الجنون ، فان الكثيرين اصبحوا يؤمنون بصحة التليباثى وغيره من ظواهر الباراسيكولوجى وحتى الغربيين انفسهم يدرسونه فى المعامل . حكى لى مهندس غربى التقيت به فى القاهرة منذ سنوات انه كان فى شبابه يعمل فى احد المناجم الغربية ، وذات صباح قرر عدم الذهاب الى العمل بدون اى سبب على الاطلاق ، فلم يكن مريضا او متوعك المزاج ، ولم يكن من عادته الامتناع عن العمل ، علاوة على ما فى ذلك من مساءلة وجزاء ، وفشلت زوجته فى اقناعه بتغيير قراره الغريب ، وفى نفس هذا اليوم حدث انهيار فى المنجم وقتل جميع من فيه من العمل والمهندسين



تخصصت مارى سنكلير فى قراءة اذهان الآخرين لترسم نفس الرسوم التى رسموها ووضعوها فى اظرف مغلقة .

وكان غيابه مدعاة للشك حتى انهم استدعوه للتحقيق ، واضاف المهندس الغربى بعـــد الانتهاء من قصته : ان كل كتابات المفكرين الكبار لا تفسر ما حدث !

اهتمام علمي

لقد اصبح الباراسيكلوجى الآن ، ذلك الفرع من علم النفس الذى يهتم بالتليباثى وغيره من القدرات النفسية ، فرعا مستقلا من العلوم ، وفى عام ١٩٦٩ حصلت رابطة الباراسيكلوجى ، وهى رابطة دولية تضم كبار المشتغلين بهذا العلم ، على عضوية «الرابطة الأمريكية لتقدم العلوم» ، وهى هيئة علمية على مستوى رفيع ، وكتبت العالمة الانثروبولوجية الشهيرة مارجريت ميد تؤيد انضمام الباراسيكلوجيين قائلة «إن تاريخ العلوم مليء بالعلماء الذين يبحثون فى ظواهر لا تؤمن بجدواها المؤسسات القائمة ولكن تثبت صحتها فيما بعد .. اننى اقترح التصويت فوراً الى جانب انضمام الرابطة» . وأسفر التصويت عن انضمام الرابطة باغلبية ستة الى واحد

لقد اصبح العلم اليوم اكثر تسامحا إزاء الكثير من الأشياء التى كان يرفضها رفضا باتا من قبل ، وبالرغم من التقدم العلمى الجبار الذى اتاح لنا سيطرة ما كنا نحلم بها على قوى الطبيعة إلا ان هناك مجالات معينة داخل انفسنا لم يستطع العلم ان يقتحمها ، بل يقف عاجزاً امام أسوارها ، وهذا العصر الذى أصبح فيه الوجود البشرى نفسه مهدداً بسبب سبق التقدم العلمى على التقدم الضميرى للانسان ، بدأ الكثيرون من الناس يفتشون عن بدائل لهذه النظرة العلمية العقلانية الى العالم ، وبدأت الثقافات والفلسفات تثير اهتماما جـــديداً متزايـــداً بعد ان كانت تعتبر بالأمس القريب نوعاً من الخرافات ، وبـــدأ النـــاس يتساءلـــون اترانا ونحن نسافر سريعا هكذا قد نسينا شيئاً خلفنا ؟ شيئا هاما ونافعا سواء فى اعماق نفوسنا او فى مناطق بدائية ومتخلفة فى هذا العالم ؟

فـــى عـــام ١٩٧٣ نظمـت رابطـــة الباراسيكلوجى بنيويورك مؤتمراً دوليا فى لندن تحت عنوان «الباراسيكلوجى والانثربولوجى» ، وكانت ذروة المؤتمر ورقة بعنوان «المساهمة الافريقية» قدمها عالم اجناس انجليزى يدعى ادريان بوشير كان هو نفسه طبيباً ساحراً بالمعنى الافريقى .

فقد عاش ادريان بوشير سنوات طويلة



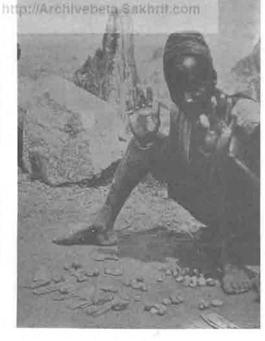
علماء الباراسيكلوجى والانثربولوجى فى لندن عام ١٩٧٣ . ويبدو فى الصورة ادريان بوشير عالم الاجناس الذى تحول الى طبيب ساحر فى قبائل جنوب افريقيا (الاول من اليسار فى الصف الخلفى) .

بين رجال القبائل الافريقيين فى جنوب افريقيا حتى منحوه شرف اخوتهم ، ثم سمحوا له باجتياز الدرجات الاثنى عشر التى تؤهله كى يكون طبيباً على طريقتهم اى سانجوما ، ويقول بوشير ان الاسرار والطقوس السحرية التى يؤدونها ليست مجرد خرافات ، وإنما هى نفس الظواهر التى يبحثها علم الباراسيكولجى فى معامل الغرب اليوم مع فارق واحد هو ان الغربيين ينظرون الى هذه الظواهر بعين الشك ، اما رجال القبائل فانهم يقبلونها كحقائق مسلم بها .

والحكايات عن القوى النفسية الخارقة لهؤلاء الاطباء فى افريقيا تنهـــال على مسامع العالم منذ فتحت افريقيا للتجارة والاستكشاف فى القرن التاسع عشر ، ومن امثلتها هذه الحكاية الغريبة التى قصها صياد وتاجر انجليزى يدعى د. لسلى واوردها فى كتاب طبع فى ادنبرة عام ١٨٧٥ .

يقول لسلى انه اخرج تابعيه من صيادى الافيال المحليين فى مهمة صيد ، وامرهم بالحضور للقائه فى موعد معين ومكان محدد ، ولكنهم لم يظهروا ، ولم يعرف ماذا حدث لهم ، فذهب يستشير طبيباً افريقياً ، فساله هذا عن عدد صيادیه الغائبين واسمائهم ، ثم اشعل ثمان ركات من النار بعددهم والقى فيها ببعض الجذور والاعشاب التى اخرجت دخانا كثيفا ، وابتلع جرعة من الدواء ، ودخل فى غيبوبة .

وبعد حوالى عشر دقائق ، افاق من غيبوبته ، واخذ ينقب فى رماد كل نار ويبلغ لسلى ماذا حدث لصياديه كل منهم على حدة . احدهم مات بالحمى وفقدت منه بندقيته ، والثانى قتله فيل ولكن بندقيته استعادها فرد اخر من المجموعة ، والثالث قتل اربعة افيال وانتزع انيابها ، ولكن الناجين من المهمة لن يعودوا قبل ثلاثة اشهر ، وسوف يسلكون طريقا اخر غير المتفق عليه . وبعد ثلاثة اشهر عاد الصيادون وتاكد لسلىمن صحة كل كلمة قالها الطبيب الافريقى !



قارىء المستقبل الافريقى يقرأ قواقعه وعظامه التى نثرها امامه كما يفعل الغجر المتجولون فى كل انحاء العالم . كان الرحالة الاوربيون الاوائل يحتقرون مهاراتهم باعتبارها خرافات وشعوذة ، ولكن بدا العلماء يدركون انهم يتمتعون بمهارات باراسيكلوجية اعظم مما يتصور اى باحث .

والمتشككون فى الباراسيكلوجى يقولون ان مثل هذه الحكايات لا يمكن ان تكون حقيقية ولا يمكن ان تثبت شيئا ، وكلنا نعلم كم تخدع الحواس وتخون الذاكرة ، وذهن الانسان تواق للعجائب والغرائب والمثيرات ، وهو يفقد مقدرته على النقد ، ويخدع بسهولة إذا قابل شيئاً من ذلك ، وقد قيلت ملايين القصص المثيرة عن الغرائب والاشباح التى هزت المستمعين حول مواقد النار فى مختلف عصور التاريخ ، واليوم تظهر حكايات الباراسيكلوجى لتفعل نفس الشىء بقارئى الكتب والمجلات فى هذا العصر العلمى .

ولكن هذا الموقف الرافض بداءة لم يعد موقفاً علميـــاً مناسبـاً ، فان على العلم ان يرفض بالدليل تماماً كما عليه ان يقبل بالدليل ، والرافضون للباراسيكلوجى لا يقدمون دليلا يدعم رفضهم بل هم فى اغلب الأحوال يرفضون المضى فى دراسة الظاهرة وفحص تجاربها ، مع ان تطبيقات الباراسيكلوجى او المعرفة خارج الحواس اصبحت من حقائق الحياة اليومية التى يعرفها كل انسان ، فكثيراً ما تذكر شخصاً غاب عنك زمناً طويلا ثم تجده فجاة امامك ، او تفكر فى انسان معين فيرن عليك جرس التليفون ، أو تردد اغنية قديمة ثم تفتح الراديو أو التليفزيون فتجدها مذاعة ، وفى مثل هذه الأحوال يقول الانسان لنفسه او لصاحبه «لابد ان عندى تليباثى فقد كنت افكر فيك» ، ولكننا لا نهتم بالمعنى اكثر من ذلك فقد تعودنا ان نؤمن باكتساب معارفنا وتجاربنا عن طريق الحواس .. والحواس فقط .

إن مثل هذه الظواهر غير العادية اصبحت تخضع للتجارب المعملية اليوم ، فى كل الدول المتقدمة فى الغرب والشرق على السواء ، وإن كان الرافضـــــون والمتشككون لا يتزحزحون كثيرا عن موقفهم ويقولون ان الاوهام القديمة يمكن ان توجد ايضاً فى المعامل الحديثة ، إلا ان الموقف من البارا سيكلوجى اصبح الآن اكثر تسامحا عما كان عليه منذ ٤٠ او ٥٠ عاماً ، ومع ذلك لايزال مجال الدراسات البارا سيكلوجية ملبداً بالعواطف وعدم الثقة والغموض بحيث يصعب على الانسان المحايد ان يستريح الى نظرة واضحة .

علم النفس الغيبى

إن البارا سيكلوجى او علم النفس الـذى يهتم بما هو خـــارج الحـــواس يمكن تقـــسيـمه الى نــــوعين رئيسيين : ظواهر ذهنية يجمعها تعبير «الادراك خارج مجال الحواس» وتشمل التخاطر (التليباثى) والاستبصار وقراءة الاثر والتنبؤ بالمستقبل وادراك الماضى . وظواهر جسمانية يجمعها تعبير «القدرة النفسية على التحريك» او «الاستحراك النفسى» وتشمل تحريك الاشياء بالقوة النفسية والسباحة فى الهواء ، وتجسيد المادة ، ونزع المــادة ، والطب النفسى



العرافة الأمريكية الشهيرة جين ديكسون تمسك بكرتها البللورية التى تستخدمها فى محاولة قراءة المستقبل . تنبأت جين ديكسون بوفاة غاندى ومصرع جون كيندى .



تجربة فى تحريك الاشياء بقوة الذهن .. تبدو الكرة مرتفعة فى الهواء .

التخاطر

ويعنى انتقال الافكار من شخص (الراسل او الوسيط) الى شخص اخر (المستقبل او المتلقى) بدون استخدام وسائل الاتصال الحسية ، وهو شكل من اشكال « الادراك خارج مجال الحواس » وله تطبيقات كثيرة فى الحياة اليومية إلا ان صحته لم تثبت نهائيا بعد ، ولكن اجريت تجارب معملية على التخاطر باستخدام اوراق «الكوتشينة» واحرزت نجاحا ملحوظاً ، ويفتح التخاطر مجالا كبيراً امام العلاقات الانسانية إذا امكن السيطرة على اسراره واستخدامه بسهولة ، ويقول الصحفى المصرى مصطفى امين انه جرب التخاطر بنجاح مع شقيقه التوام على امين اثناء وجود الأول فى السجن ، والثانى فى لندن .

الاستبصار

وهــو رؤية أو ســماع اشياء بعيدة بدون استخدام الحواس ، واحيانا ما يختلط الامر بين الاستبصار والتخاطر ، ففى حــالة الطبيب الأفــريقى التى اوردتها فيما سبق قد تكون معرفة الساحر بمصير صيادى الافيال راجعة الى التخاطر بينه وبين احد الصيادين الناجين وليس الى جلاء الرؤية النفسية . ومن اشهر حالات الاستبصار فى تراثنا الاسلامى تحذير الخليفة عمر بن الخطاب لأحد قواده فى ساحة المعركة من وجود العدو خلف الجبل . وكان الخليفة حينئذ يصلى بالناس فى المدينة ، وتلقى القائد التحذير على بعد مئات الأميال وعمل بموجبه .

قراءة الأثر

وهى حالة خاصة من الاستبصار يستطيع فيها الوسيط ان يتلقى معلومات عن شخص او شىء عن طريق الاتصال ببعض متعلقات هذا الشخص او الشىء ، وكثيراً ما تستخدم الملابس او الخواتم او الصور الفوتوغرافية فى قراءة الأثر لمعرفة مكان شخص غائب او شىء ضائع مثلا . وهذا الأسلوب من الباراسيكلوجى معروف فى مناطق كثيرة من العالم العربى وبخاصة السودان حيث يبرع السودانيون فى فن قراءة الأثر . وتلجأ بعض اجهزة

البوليس حتى فى الدول الراقية الى قراءة الأثر للمساعدة فى الكشف عن الجرائم .

معرفة المستقبل والماضى

وهى العرافة التى يكثر فيها المدعون والدجالون ومع ذلك فان بعض الحالات تثير اهتماما خاصا ، ومن اشهرها حالة العراف الفرنسى الشهير نوستراداموس الذى عاش فى القرن السادس عشر (١٥٠٣ ـ ١٥٦٦) ، وبالرغم من انه نظم افكاره شعرا باسلوب رمزى غامض إلا ان المتحمسين له يقولون انه اشار إلى ظهور نابليون وهتلر والهجوم الذرى على هيروشيما وناجازاكى ، وتخلى الملك ادوارد الثامن عن العرش ، ومصرع جون وروبرت كنيدى كما يقال انه اشار إلى حرب عالمية ثالثة تبدأ فى الصين ، وبالرغم من ان كتاب افكار نوستراداموس المعروف باسم «القرون» قد وضعته الكنيسة فى قائمة الكتب الممنوعة من التداول فى عام ١٧٨١ إلا ان هذا الكتاب ظل يطبع بانتظام طوال الاربعمائة سنة التالية لتاليفه ، وفى اثناء الحرب العالمية الثانية كان هذا الكتاب يستخدم لاغراض الدعاية من جانب الحلفاء والمحور على السواء . فقد كانت الطائرات الالمانية تلقى فقرات من الكتاب فوق فرنسا لاضعاف الروح المعنوية للفرنسيين ، ورد الحلفاء بالقاء الفقرات التى تناسبهم على المدن الالمانية !

وهناك حالة السيدة الأمريكية جين ديكسون التى قالت فى عام ١٩٥٦ بان «الحملة الانتخابية القادمة ١٩٦٠ سيكسبها ديموقراطى وانه سوف يغتال اثناء رئاسته» وقد عادت هذه السيدة قبل اسابيع من اغتيال الرئيس كيندى الى التحذير من قيامه بزيارة الجنوب لان هذه الزيارة ستكون مميتة له .

اما الحديث عن الماضى فيصعب التاكد من صحته لعدم امكان التحقق فيه بين المعرفة اللاحسية والمعرفة العادية ، ولكن يحدث فى حالات كثيرة ان يتاكد شخص ما من صدق قراءة ماضيه من جانب عراف لا يعرف عنه شيئا . وفى حالات نادرة جدا تحدث رجعة فعلية الى الماضى فيشعر صاحب التجربة انه رجع فى الزمن الى عصر مضى ، ويخيل له انه يرى الاشياء ويسمع الاصوات التى كانت تحدث فى ذلك المكان فى الماضى . وقد زعمت سيدتان انجليزيتان زارتا قصر فرساى بفرنسا عام ١٩٠١ انهما شاهدتا فى حدائقه وممراته الحراس بملابسهم التقليدية ونفس ما كانت عليه المبانى والاثاث منذ مائتى عام !



الوسيط البريطانى كولين إيفانز يجرى بنجاح واضح تجربة للارتفاع فى الهواء فى جلسة عامة عقدت فى قاعة كونواى بلندن عام ١٩٣٨ .

تحريك الأشياء بالطاقة النفسية

وهذه الحركة تاتى انطلاقا من «هيمنة الذهن على المادة» ، وبعض الذين يدعون امتلاك هذه القدرة او الطاقة النفسية يستطيعون رفع الاشياء المادية الصغيرة كالكرات الحديدية والشوك والملاعق وتركها معلقة فترة فى الهواء بمجرد تركيز الذهن عليها ، ومثل هؤلاء الاشخاص يدربون قدراتهم هذه ويقومون بعروض امام الجماهير ومن اشهرهم يورى جيللر الذى ادى عروضا كثيرة فى التليفزيون البريطانى وأمام علماء . وهؤلاء المحترفون يكثر فيهم الدجالون ولا يمكن تقدير افعالهم باكثر من تقدير مهارة الحواة الذين يقدمون عروضا مشابهة على خشبة المسرح . ولكن يحدث احيانا ان تنبعث طاقة التحريك لدى اشخاص عاديين فى ظروف خاصة ، كحالة رجل من كاليفورنيا جاءه ذات ليلة ـ بعد يومين من وفاة زوجته ـ شعور قوى بوجودها معه فى الغرفة ، فقال : «إذا كنت هنا حقا وفى استطاعتك ان تسمعينى قدمى علامة على ذلك» . ولم يكد ينطق هذه الكلمات حتى فوجىء بوقوع «عربة موديل» ثقيلة بحصانين من المعدن الى الارض من حيث كانت مستقرة على منضدة منذ ١٢ عاما لم يحركها احد . هل حدث ذلك بفعل زوجته او بطاقته هو على تحريك المادة او بسبب طبيعى ؟ مسالة مفتوحة للنقاش، ولكن هنك شواهد متراكمة عن هذه الظاهرة بما فى ذلك القدرة على إيقاف الساعات وتشغيلها بلا سبب ظاهر ، وسقوط اللوحات المعلقة على الحائط ، وقذف الصحون والاوانى فى الغرفة ، وغير ذلك من الظواهر التى تعزى فى نظر العامة الى ان البيت مسكون بالاشباح ، وقد يكون السبب الحقيقى هو وجود طاقة تحريك الاشياء لدى بعض سكان المنزل وخاصة من الاطفال . كما ان بعض علماء الاثار لا يستبعدون ان تكون هذه الطاقة قد استخدمت كليا او جزئيا فى بناء المعابد والاهرامات القديمة التى يستحيل على التكنولوجيا المعاصرة انشاء مثيلاتها فى الوقت الحاضر .

استحضار الأشياء

وهو نوع من ظاهرة التحريك بالطاقة النفسية ، قدرة على تحريك شىء من مكان الى مكان اخر ، او استحضار شىء من مكان بعيد فى لحظات ، واكبر مثل لهذه القدرة ما يحدثنا به القران الكريم عن سليمان والاتيان بعرش بلقيس : « قال يا ايها الملا ايكم ياتينى بعرشها قبل أن ياتونى مسلمين . قال عفريت من الجن انا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وانى عليه لقوى امين . قال الذى عنده علم من الكتاب انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك » .. (النمل ٣٨ ـ ٤٠) والملاحظ هنا ان الاتيان بالعرش لم يكن من فعل الجن ، وانما من فعل إنسى « عنده علم من الكتاب » والمشهور لدى المفسرين المسلمين انه اصف بن برخيا وهو ابن خالة سليمان . ويمكن ان يقال ان هذا الرجل كانت لديه هذه الطاقة النفسية على استحضار الاشياء ونقلها فى لحظات

وفى العصر الحديث اشتهر عن الشيخ طنطاوى ، وهو احد الصوفيين المعروفين فى مصر ، القدرة على استجلاب الأشياء . وكان الفنان يوسف وهبى يؤكد مرارا انه شهد بنفسه احد الاشخاص يستجلب صينية عامرة باطايب الطعام من مطعم معين بعد ان بعث بالثمن بنفس الطريقة ، وقد حدث ذلك اثناء وجودهما فى قطار الصعيد !

السباحة فى الهواء

هى القدرة على الارتفاع بالجسد من فوق

سطح الأرض وبقاء الشخص معلقاً في الهواء أو سابحاً فيه بعض الوقت بالرغم من الجاذبية الأرضية ، وهناك حكايات كثيرة عن هذه المقدرة .. ومن اشهر هذه الأمثلة - وان كانت محل خلاف - ذلك العرض الذى قدمه البريطاني دانييل دوجلاس هيوم امام شهود من المشاهير في لندن عام ١٨٧٢ حين ارتفع بجسده وسبح في الهواء خارجاً من نافذة في الدور الثالث ثم عاد طافياً في الهواء عبر نافذة في غرفة اخرى وقد قام بريطاني آخر يدعى كولين ايفانز بعرض مشابه للارتفاع في الهواء اثناء جلسة حضرها الكثيرون في قاعة كونواى بلندن عام ١٩٣٨ والتقطت صور فوتوغرافية للعرض .

الطب الروحي

وله تاريخ طويل يشمل معجزات الشفاء التي قام بها السيد المسيح ، واليوم لا تقتصر مزاولة هذا الطب على ذلك ، وانما يزاوله ايضاً اشخاص ليست لهم صفة دينية يدعون القدرة على شفاء الأمراض واجراء العمليات الجراحية دون استخدام المبضع ، وينتشر هذا النوع من العلاج خاصة في الفلبين والبرازيل حيث يقصدهما الزائرون من مختلف انحاء الأرض للبحث عن العلاج الناجع لامراضهم المستعصية . كما تنتشر نفس الظاهرة في شرقنا العربي ، وبخاصة في مصر ، وقد ابرأت احدى المحاكم المصرية مؤخراً رجلا قدمته النيابة الى المحاكمة بتهمة الدجل والشعوذة لأنه كان يمارس هذا النوع من الطب في احد الأحياء الشعبية ، وقام الرجل بعدة تجارب في قاعة المحكمة لاثبات صدق دعواه ، وزعم انه متصل بعالم الجان ، ولكن الحكم بتبرئته استند الى عدم وجود نص في القانون يجرم ما يفعله الرجل الذى لم يثبت في حقه الاضرار بالغير .

وفي الآونة الأخيرة اجريت تجارب مماثلة على النبات ، ويقال ان النباتات التي تعرضت لقراءة الصلوات عليها نمت نمواً حسناً عن تلك التي لم تفز بذلك رغم تماثل الظروف .

وتكثر هذه المزاعم في قصص السحرة والساحرات كتلك التي تمتلىء بها « الف ليلة وليلة » . اما نزع المادة فهى الصورة العكسية اى التسبب في اختفاء المادة في مكانها ، وهى ايضاً مجال خصب للخيال القصصي . ومن امثلتها قصص « طاقية الاخفاء » التي يستطيع من يرتديها ان يسير بين الناس دون ان يروه !

وهناك قصة مشهورة عن حالة تجسيد بطلها عجل بحر إذ كان السيد بولتون طبيباً بيطرياً في حديقة الحيوان بلندن ، وكان يهتم بعلاج عجل بحر اصيب بطعنة رمح ، ولكن جهوده المكثفة فشلت في النهاية ومات الحيوان ، وبعد ايام كان السيد بولتون يحضر جلسة حين صاحت الوسيطة من داخل « كابينتها » قائلة : « خذوا هذا الوحش بعيداً انه يخنقنى » وخرج من الكابينة عجل بحر ضخم راح يجرى في انحاء الغرفة ثم ذهب الى حيث يجلس السيد بولتون وقبع بجواره عدة دقائق وبعد ذلك عاد الحيوان الى كابينة الوسيطة حيث تجرد من مادته واختفى ! وقد اكد بولتون امام إحدى الجمعيات بلندن انه يماثل تماماً عجل البحر الذى كان يعتني بعلاجه .

الطرح الروحي

تمتلىء سجلات الأطباء والأطباء النفسانيين بقصص اشخاص اشرفوا على الموت فوجدوا « انفسهم خارج انفسهم » وكان في امكانهم أن يروا بوضوح اجسادهم مسجاة على السرير بين ايدى الأطباء والأقارب بينما هم يطوفون في اجواء الغرفة بلا الم ولا خوف دون ان يفطن واحد من الموجودين الى رؤيتهم ، ثم يعودون بعد ذلك الى اجسادهم العليلة ويتماثلون للشفاء ، ويذكر بعضهم انهم كانوا يتساءلون أثناء وجودهم في هذه الحالة : أهذا هو الموت ؟ يا له من شيء لطيف !

واحياناً تكون عملية الطرح الروحي بإرادة الشخص نفسه ، وهناك ايضاً قصص كثيرة في سجلات مختلف الحضارات عن اشخاص كان في



حالة علاج بالتركيز الشديد على فتاة صغيرة بقوة وضع اليدين على الرأس .

استطاعتهم الخروج من اجسادهم ، والقيام برحلات طويلة الى اماكن بعيدة باجسامهم المضيئة الشفافة ، وقد يراهم آخرون فى هذه الأماكن النائية ، أو يرون فى مكانين فى وقت متقارب .

وقع فى يدى ذات يوم كتاب هندى مترجم الى الانجليزية يتحدث عن تجربة الخروج من الجسد الشائعة والمألوفة بين النساك والفقراء فى الهند ، والمهم فى هذا الكتاب انه لا يتحدث عن قصص هؤلاء واحلامهم وانما هو كتاب « علمى تجريبى » يعلم القارىء كيفية القيام بنفسه بهذه التجربة عن طريق سلسلة من الرياضات الروحية والجسمية المتدرجة مع الالتزام بنظام خاص فى المأكل والحياة . مما يشير الى امكان القيام بهذه التجربة اراديا ، وهو ما يأتيه المتقدمون فى رياضة اليوجا .

حدود المعرفة

ان تطبيقات الادراك خارج نطاق الحواس وكذلك القدرة على تحريك الأشياء بالطاقة النفسية كثيرة وشائعة فى كل الحضارات منذ فجر التاريخ ، وهى لا تكاد تنقطع فى حياتنا اليومية المعاصرة ، ولكن الاهتمام العلمى بهذه الظواهر بدأ منذ قرن واحد تقريبا باعتبارها قدرات نفسية مجهولة ، وقبل ذلك كانت هذه الظواهر غير مفهومة جيداً ، فكانت تعزى الى الأشباح والشياطين ، ومن الطبيعى ان مجال هذه الظواهر مفتوح على اتساعه لدخول الدجالين والمشعوذين والغشاشين من كل نوع ، وهذا ما أعطى علم النفس خارج الحواس او الباراسيكولوجى سمعة سيئة جعلت الكثيرين يرفضونه ابتداء ، ولكن مجرد سوء استخدام الشىء لا ينفى حقيقته او فوائده ، فالطب مثلا يمكن ان يمارسه الجهلاء والمدعون ، وكثيرون منهم يزاولونه بالفعل ، والفن ايضا بكل مجالاته مفتوح على مصراعيه امام الادعياء وعديمى الموهبة الفنية ، ولكن ذلك لا يقلل من قيمة الطب والفن ، ولا يدعو الناس الى الانصراف عنهما .

ان مجرد وجود الظاهرة الباراسيكولوجية لا يزال محل نزاع محتدم بالرغم من توافر علماء بارزين وهيئات علمية محترمة على دراسة هذه الظاهرة منذ اكثر من قرن . وقد اصبحت لهذه الدراسات اقسام متخصصة فى ارقى الجامعات الامريكية والأوربية ، ومع ذلك فان



رسم يعود الى عام ١٨٨٧ للوسيطة الشهيرة فلورانس كوك .

المناقشات حول هذه الظاهرة غالبا ما تأخذ شكلا عاطفيا وعصبيا ، فهى اما مرفوضة رفضا باتا او مقبولة على علاتها ، ويزيد من ذلك انها اصبحت من محاور الصراع بين المثاليين والماديين ، اى انها اصبحت مشكلة فى الفلسفة وفى السياسة ايضا . فالمثاليون يستخدمونها كعصا غليظة يدقون بها رءوس الماديين ، والماديون يغلقون ثغرتها اساسا عملا بمثلنا الشعبى « باب يأتيك منه الريح ، سده واستريح » !

وفى رأيى ان اقوى حجة يسوقها خصوم الباراسيكولوجى هى عدم امكان استخدام المنهج الاحصائى فى حساب هذه الظاهرة . يقولون هب مثلا ان شخصا قد تنبأ بان حصانا معينا سوف يفوز فى « الدربى » هذا اليوم لانه حلم بذلك فى الليلة الماضية ويفوز الحصان بالفعل ، ولكن هذا لا يثبت شيئا ، لاننا لا نعلم كم عدد الذين حلموا بفوز حصان خاسر ، بل ان مثل هؤلاء الأشخاص لا يبرزون ويقولون عن احساسهم مع انهم الاغلبية بلاشك بدليل ان معظم الناس يخسرون فى الدربى ، فكيف اذن يمكننا القول بصحة ظاهرة الادراك عن غير طريق الحواس لمجرد ان شخصا او عدة اشخاص قد تنبأوا بنتيجة سباق الدربى ؟ وقس على ذلك .

والمشكلة الرئيسية التى تثيرها هذه الظواهر الخارقة انها تبدو متناقضة مع مفهومات معينة اصبحت اساسية فى حضارتنا الحالية ، مثل مفهومنا عن الزمن والسببية والطاقة والذهن والمادة ، وبعض الناس مفتونون بهذه الحضارة ونزعتها العلمية التكنولوجية الى درجة انهم لا يتصورون امكان المساس بها . اما آخرون فانهم يفضلون لو تكون اقل مادية ، واكثر روحانية !

ان السؤال الرئيسى هو : هل توجد فعلا ظواهر باراسيكولوجية وهل يمكن الاستفادة منها فى شئون الحياة ؟ اذا قبلنا بذلك ما الداعى فى الوقت الحاضر الى ان نذهب شوطا ابعد فنتساءل كيف ؟ ولماذا ؟ وبذلك نخاطر بالارتطام ببعض مفاهيمنا التى تبدو يقينية وثابتة . ان الاعتراف بوجود اشياء خارج نطاق وجهة النظر التقليدية فى الطبيعة وعلم النفس أمر قد ثبتت جدواه بالفعل ، فاننا نتحقق منه فى الوقت المناسب عندما نستكمل ادوات بحثنا فمثلا ظاهرة تغير مواقع النجوم كانت فرضا ضروريا لصحة نظرية كوبرنيكس فى دوران الأرض حول الشمس ، وقد رفضت بشدة من جانب اصحاب وجهات النظر الثابتة وظلت محلا للنزاع والاختبار مائتى سنة حتى ثبتت صحتها نهائيا ، وكذلك جاء اكتشاف النيترونات العديمة الشحنة الكهربائية والتى لا تكاد تكون لها كثافة ، مصداقا لفرض نظرى اوجبته ضرورة علمية وكان يبدو مخالفا لقواعد علم الطبيعة الثابتة . والآن تثير نظرية « ضد المادة » مشاكل مماثلة وتبدو مخالفة لكل ما استقر عليه علم الطبيعة ، ولكنها اصبحت مما لا ينكر دون السؤال عن كيف ولماذا . فهل الأمر يختلف بالنسبة للظواهر النفسية لمجرد انها لا تتفق مع حدود ذهننا ؟ وهل هذه الحدود حقيقية ام انها من صنعنا نحن ويمكن ان تتسع وتتطور ، وعندئذ قد نفهم جوهر الظاهرة على نحو افضل ، ويصبح فى امكاننا استخدامها بما يفيد تطورنا الانسانى وحياتنا الاجتماعية ؟ .

ان ثمة شعوراً متناميا لدى ابناء هذا العصر بانه يجب ان تحدث بعض التغيرات الأساسية والجوهرية فى حضارتنا المادية الحالية إذا كان لهذه الحضارة ان تبقى وتستمر ، واهمية البارا سيكلوجى انه اصبع يشير الى اتجاه التغيير المطلوب ، ذلك الذى عبر عنه رائد الفضاء ادجار ميتشيل بقوله : « يبدو لى ان وجودنا نفسه اصبح يعتمد قبل اى شىء آخر على وجوب ايقاظ الضمير وتطوير الذهن » .

محمد العزب موسى

المقال التالى :
الادراك خارج نطاق الحواس

أخطاء لغوية معاصرة

الدكتور عبدالله العبادي
جامعة قطر

ايهما :

يقولون ايهما افضل العلم ام المال ؟
والصواب ايما افضل العلم ام المال ؟ ذلك ان الضمير لابد له من عائد يعود عليه قد تقدم ، اما لفظا ورتبة كما فى قوله تعالى (والقمر قدرناه منازل) ٣٠ يس . فالقمر قد تقدم لفظا ورتبة ، او لفظا دون رتبة كقوله تعالى : (وإذ ابتلى ابراهيم رَبُّه بكلمات) البقرة ١٢٤ . فابراهيم مفعول مقدم ورتبته التاخير عن الفاعل وهو ربه ، او رتبة دون اللفظ كقوله تعالى (فاوجس فى نفسه خيفة موسى) طه ٦٠. فموسى وهو الفاعل رتبته فى الواقع متقدمة على نفسه .

اما اذا عاد الضمير على متاخر لفظا ورتبة فان النحويين يمنعون من ذلك إلا فى اماكن محدودة لا مجال لذكرها ، فعند قولهم ايهما افضل العلم ام المال ؟ فان الضمير وهو الهاء يعود على العلم والمال ورتبتهما التاخير لان العلم بدل من اى والبدل رتبته التاخير عن المبدل منه والمال معطوف عليه .

وقد جاء عود الضمير على متاخر لفظا ورتبة فى ضرورة الشعر كقوله .

جزى ربه عنى عدى بن حاتم
جزاء الكلاب العاويات وقد فعل

فعاد الضمير فى ربه على عدى المفعول به وهو متاخر لفظا ورتبة ومن ذلك قولهم « ايهما اغنى بالفتمينات التفاح ام الموز ؟ والصواب ايما اغنى بالفتمينات التفاح ام الموز ؟ ومن ذلك قوله تعالى (ايما الاجلين قضيت فلا عدوان عليَّ) يوسف ٢٨ . فلم يقل ايهما الاجلين ، لان الاجلين متاخر لفظا ورتبة .

السمحاء :

ونجد كثيرا من الكتاب الاسلاميين يقولون فى كتاباتهم ومقالاتهم ، ومحاضراتهم « هذه الشريعة السمحاء » والصواب « الشريعة السَّمْحَة » لان « فَعْلاء » هى لمؤنث « أفعَل » كاحمر تقول فى المؤنث حمراء،وأغبر غبراء ، اما مؤنث « سَمْح » على وزن « فَعْل » فهو « فَعْلَه » « سَمْحَة » من سَمُحَ يَسْمُحُ سَمَاحَة وسُمُوحا وسُمُوحَة بمعنى جاد ، واعطى عن كرم وسخاء ، فهو سَمْحٌ وسَمِيح ، وَسَمِح ، وامراة سَمْحة ، وسَمِحَة ، وسَمِيحة وهم وهن سِمَاح ، وهم سُمَحَاء .

أشياء :

ومن الخطباء ، والمذيعين ، وبعض المحاضرين من يصرف اشياء اى ينونها فيقولون مثلا «هناك اشياءٌ كثيرة لم نذكرها» «أو تعلمنا اشياءً كثيرة» «واستفدنا من اشياءٍ كثيرة» والصواب ان اشياء من الاسماء التى لا تنصرف فيقول فى الأمثلة السابقة «هناك أشياءُ كثيرة لم نذكرها» «وتعلمنا اشياءَ كثيرة» و «استفدنا من اشياءَ كثيرة» .

قال تعالى (يا ايها الذين امنوا لا تسالوا عن اشياءَ إن تُبْدَ لكم تَسُؤكم) المائدة ١٠١ فجاءت الفتحة ملازمة لها وهى فى حالة

الجر ، وذلك من طبيعة الاسم الدى لا ينصرف.وقد اتفق النحويون على ان اشياء اسم لا ينصرف ومفرده شىء ، ولكن اختلفوا فى علة عدم الصرف ، فمنهم من راى ان اخرها اشبه اخر حمراء وصفراء .. وكثر استعمالها فلم تصرف . وهذا قول الكسائى ، ولكنهم خطاوه وقالوا يستلزم على ذلك الا ينصرف ابناء واسماء وهى بالاتفاق اسماء منصرفة.واسماء هنا جمع اسم وليس هو اسم لمفرد مؤنث كما فى قولك اسماء حضرت فانه اسم لا ينصرف للعلمية والتانيث ومنهم من قال : اصل اشياء «افْعِلاء» كما تقول «هيِّن» وأهْوناء، فكان الاصل « اشْيِئاء » على وزن « اشْيِعاع » فاجتمعت همزتان بينهما الف ، فحذفت الهمزة الاولى وهذا قول الفراء والاخفش ، وخطا كذلك هذا القول ابو اسحق ، لان «شيئا» على وزن «فعل» وفعل لا يجمع على «افعلاء» ، وقال الخليل : اشياء اسم للجمع كان اصله «شيئاء» على وزن «فَعْلاء» فاستثقلت الهمزتان فقلبوا الهمزة الاولى الى اول الكلمة فصارت اشياء على وزن «تفعاء» كما قلبوا «انوقا» الى «انيق» وفى ذلك يقول احدهم :

أشياء « لفعاء » فى وزن وقد قلبوا
وزنا لها فهى قبل القلب شيئاء
فقل لمن يدعى بالعلم معرفة
حفظت شيئا وضاعت عنك اشياء

وهذا هو مذهب سيبويه والمازنى والبصريين ، فعلى مذهب الخليل إنما ترك صرفها ، لأن اصلها «فعلاء» جمع على غير واحدة ، كما ان الشعراء جمع على غير واحدة . وقال الكسائى : اشياء : «افعال» مثل فرخ وافراخ وإنما تركوا صرفها لكثرة استعمالهم لها ، لانها شبهت «بفعلاء» وخلاصة القول ان النحويين متفقون على عدم صرف اشياء وان اختلفوا فى العلة ، فصرفها بعد ذلك خطا فاضح .



بقلم: الدكتور محمد البهي



الكرامة الإنسانية

قال الله تعالى : يا أيها الذين آمنوا : لا يسخر قوم من قوم (أى لا تحتقر مجموعة فى الأمة : مجموعة اخرى فيها .. ولا طائفة : طائفة .. ولا طبقة : طبقة .. لا يحتقر اصحاب الثراء من عداهم ممن لا يملكون المال .. ولا اصحاب العمل ممن يعملون لديهم فى أموالهم .. ولا اصحاب الثقافة : مَن سواهم من الأميين .. ولا اصحاب الجاه : مَن لا جاه له .. ولا اصحاب العصبيات : مَن لا عصبية له .. وهكذا . وينهى الله عن ان تحتقر مجموعةٌ فى الأمة : مجموعةً اخرى فيها ، عقب قوله تعالى : «وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما» . إذ يجوز ان يكون سبب القتال هو : احتقار طائفة لاخرى ، وعدم الاعتداد بحياتها وبالتالى إهمال شانها ورعايتها .

ولو ان هذه المجتمعات راعت مبدأ الاحتفاظ بالاعتبار البشرى والكرامة الانسانية لكل المجموعات فيه ماوقع اولا : اعتداء مجموعة على اخرى فى حقوقها .. ولا تقصير مجموعة فى واجباتها نحو الاخرى . ولما اجتاح عدم الاستقرار حياة هذه المجتمعات .

عسى ان يكونوا خيرا منهم .

(وسبب النهى عن سخرية فريق لفريق اخر فى الأمة هو : انه يجوز ان تكون للفريق الذى يسخر منه : ميزات وصفات فى انسانيته .. أو فى صلته بالله ، تجعله خيرا من الفريق الساخر . يجوز ان يكون الفريق الذى يخدم الأمة فى سعيها وانتاجها : فى الاموال .. والاولاد بينما الفريق الساخر : فريق معطل الطاقات .

ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن ، ولا تلمزوا انفسكم (ولا يطعن بعضكم بعضا بلسانه) .

ولا تنابزوا بالالقاب (أى لا يدعو بعضكم بعضا : بالقاب تكرهون سماعها او اطلاقها عليكم) . بئس الاسم الفسوق بعد الايمان (إذ ان ذلك يخرجكم عن صراط الايمان المستقيم . ولا شيء أكره للمؤمن : من ان يعد فاسقا وخارجا عن ايمانه ، بعد ان كان مؤمنا) ومن لم يتُبْ فاولئك هم الظالمون .

يا أيها الذين امنوا : اجتنبوا كثيراً من الظن ، إن بعضَ الظن إثم (وكما تقتضى المحافظة على الاعتبار البشرى لجميع افراد المجتمع : تجنب السخرية منهم .. وعدم الطعن باللسان

.. وعدم التنابز بالالقاب البغيضة بينهم .. كذلك تقتضى تجنب الظن فى المواقف التى تتخذ إزاء بعضهم من بعض ، فكثير من صور الظن يؤدى الى إثم ومعصية امام الله والأجدر بالمؤمنين فى معاملة بعضهم : التريث فى الحكم .. وفى اتخاذ الموقف ، حتى يتضح الواقع والحق . والاثم الذى يؤدى اليه الظن هو : إثم سوء الفهم .. او سوء التقدير .. او سوء التصرف) .

ولا تجسسوا (اى يتبع بعضكم عورات بعض بالوقوف عليها والتشهير بها) .

ولا يغتبْ بعضكم بعضا (اى لا يذكر بعضكم فى غيبة الآخر ما فيه من عيب أو نقص فان اختلق عيبا او نقصا وذكره فى غيبته كان ذلك بهتانا منه) .

«أيحب احدُكم ان ياكلَ لحمَ اخيه مَيْتا فكرهتموه ؟ (فإن سلوك اى واحد منكم مع الآخر باى سبيل مما ذكر يشبه اكل الواحد منكم للحم اخيه وهو ميت ، وعَلى كرهٍ منه . وعلى سبيل القطع لا يود واحد منكم ان ياكل لحم اخيه ، وعلى هذا النحو . كذلك ينبغى ان يتجنب الواحد منكم ما يؤذى الآخر إيذاء نفسيا : يتجنب السخرية .. والطعن باللسان .. والتنابز بالالقاب .. والظن الآثم .. والتجسس .. والغيبة . فان ايذاءه نفسيا باى منها يشبه النهش فى لحمه وهو ميت . والذى ينهش لحم ميت متعفن لا يكون انسانا بحال من الاحوال) .

«واتقوا الله ، إن الله توابٌ رحيم (فهو يغفر لكم ايها المؤمنون الآن ما كان لكم من مسلك فى حياتكم السبقة . وهى حياة الجاهلين الذين يستسيغون لانفسهم : تجريح حرمات الآخرين .. وايذاءهم معنويا فى كرامتهم واقدارهم» الحجرات : ١١ ، ١٢ .

وما ذكر هنا من سمات العهد الجاهلى فى دائرة الاعتبار البشرى ، بعيد كل البعد عن التهذيب .. وفى الوقت نفسه من عوامل التفكيك والفرقة فى المجتمع .

يسعد الدوحة أن تقدم هذه القصيدة الرائعة للشاعر العربى الجديد محمد الظاهر كما يسعدها أن تلفت انظار الحياة الادبية العربية إلى هذه الموهبة اللامعة :



شعر : محمد الظاهر



مشهد « ١ » :

الكاميرا فى حركة بانورامية ، بلقطة عادية لطفل رث الثياب يركض ويتعثر ، ثم يعاود الركض ، والكاميرا تتابعه خلال عملية الركض ، يتوقف فجأة امام تقاطع طرق .

الكاميرا فى حركة "زوم ان" سريعة جداً على اشارتي الاتجاه المثبتتين على التقاطع (صبرا ـ شاتيلا) .

لقطات متبادلة بين لقطتي : اشارتي الاتجاه ووجه الطفل النابض بالرعب .
"انتركات" بين وجه الطفل واشارتي الاتجاه . تثبت اللقطة

على الخلفية السابقة ينزل عنوان :
« صبرا تقاطع شارعين على جسد »
(محمود درويش)

● ●

غناء جماعي :

نجيءُ المدينَةَ مِنْ كُمِّ قمصانِهِمْ
ومِن صُلْبِ أرْحَامِهِمْ
لِنَقْطِفَ مِنْ جُرْحِهِمْ زَهْرَةَ الأُقْحُوانْ
ونرفعُهَا بَيْرَقاً او سِلَاحا
ونطلقُ اعضاءَنا فى الجهاتِ
طُيُوراً على الماءِ
رَفَّ حمامٍ على حاجزٍ عسكريٍّ قديمٍ
واغنيَةً ذاهِلَةْ

● ●

وصف خارجي

بين الأزِقَّةِ يَعْدو الرَّصاصُ
يَميلُ إلى القَلْبِ
بَيْنَ الثقُوبِ وَبَيْنَ النَّوَافذِ
يَعْدو
لَمْ يَبْتَكِر بَيْتَهُ بَعْدُ
لَمْ يُعْطِ مَا عِنْدَهُ للرَّصِيفِ
وَلَمْ يَضْرِبِ اللَّحْمَ بالسَّيْفِ
كَانَ صَغيراً
وَمَا زَالَ يَعْدُو
وَيَعْدُو الرَّصَاصُ
أصابعُهُ سُرَّةُ العُشْبِ
غُرَّتُهُ النَّهْرُ
والشَّمْسُ جَبْهَتُهُ القَادِمةْ

مشهد « ٢ »

الكاميرا فى حركة بانورامية ، تبدأ من برميل قمامة مثبت وسط الشارع فى طرف المخيم ، ثم تبدأ باختراق الشوارع والأزقة ، حيث نرى جثثا مبعثرة هنا وهناك ، لأطفال وشيوخ ونساء وأطفال.

تتركز الكاميرا خلال حركتها البانورامية على بعض المشاهد الرهيبة لامرأة مقتولة والى جانبها طفل ما يزال يرضع من ثديها أو امرأة حامل مبقورة البطن ، أو شباب مشلوحين بين عربات .

حركة مفاجئة للكاميرا ، باتجاه الطفل الذى يركض نحوها لتتركز بسرعة على وجهه النابض بالرعب .

تثبت اللقطة .

● ●

غناء منفرد

يا ضاربًا في الجَسَدْ
مُسْتَوْحِداً مُنْفَرِدْ
سَهْلُ المراثي دَمي
وانت جَزْرٌ وَمَدْ

● ●

وصف داخلي

هنا بَحْرُ بَيْرُوتَ
على بُعْدِ ضِلْعَيْنِ مِنْ بَحْرِ بَيْرُوتَ
بَعْضُ الغُبَارِ
وبعضُ الدَّمارِ
وبعضُ خَلاخِيلَ رَاقِصَةٍ
أدركَ الموجُ انفاسَها
فوزّعها رَمقاً رَمقاً فى بَلاطِ العَواصِمْ
وَمَا زَالَ يَعْدُو
على بُعْدِ ضِلْعَيْنِ يَعْدُو
لم يَبْتَكِرْ بَيْتَهُ بَعْدُ
ويَعْدو
لِيَقْتَلِعَ الارضَ من جِذْرِها
ويَرْسُمَها كِسْرَةً أو شَظِيَّةْ

● ●

مشهد « ٣ »

لقطة "لونغ شوت" للطفل وهو يعدو ، ماخوذة من خلف شاهدي قبرين متجاورين على شاهد القبر الأول « صبرا » وعلى شاهد القبر الثاني « شاتيلا » .

الطفل يقترب من الكاميرا وهو يركض باتجاهها حتى تصبح فى لقطة مكبرة لوجهه ، ثم تبدأ الكاميرا حركة بانورامية من وجهة نظر الطفل ، لشواهد القبور ، المكتوب عليها « صبرا » ، « شاتيلا » على التوالى .

تثبت اللقطة على وجه الطفل الخائف .

● ●

غناء منفرد

جَماجِمُنا لا تَنامْ
وَأعضاؤنا مُهْمَلَهْ
هو الخوفُ سيِّدُنا ، والسَّلامْ
وتَحْتَ عَباءَاتِنا المِقْصَلَهْ

● ●

غناء جماعي

لا تكْسِرُ الرقَبَهْ
على الترابِ القَتيلْ
إصْعَدْ إلى الهَضَبَهْ
هناك الفُ دليلْ

● ●

سلمان



مشهد « ٤ »

الكاميرا فى لقطة مكبرة على ظهر الطفل ، يأخذ الطفل بالابتعاد عنها وهو يركض حتى يختفي .
الكاميرا فى لقطة "لونغ شوت" فى مواجهة الطفل الذى يقترب منها راكضاً ، فى منطقة جبلية .
الكاميرا تتابع الطفل وهو يبحث فى المنطقة ، يصل الى خندق كبير .
لقطة مكبرة لاحدى الجثث بزى المقاتلين الفلسطينيين ، وبجانب الجثة بندقية .
الطفل يتحسس البندقية بخوف ، ثم يبدأ بالتآلف معها ، واخيراً يضمها الى صدره بحب .

● ●

غناء منفرد

يا جامِعاً أضْلُعِي
وعاقِدَ المِقْصَلَهْ
إصْعَدْ على جُثَّتي
كَيْ تُوقِفَ المَهْزَلَهْ

● ●

غناء جماعى

مُنْذُ حِينْ
كانت الأرضُ راجِعَةً من حَصَادِ السِّنينْ
فانفَجَرْ كالصَّوَاعِقْ
وانتَشَرْ كالقُرُنْفُلِ والياسَمِينْ

● ●

وصف متداخل

كان يَسْتَشْرِفُ البَحْرَ ، ينقلُ من صفْحَةِ الأفقِ ، خَيْطاً من الدَّمِّ ،
يفْضي إلى الزوبَعَهْ
ويَعْـدو
يطاردُ بَيْنَ الأزِقَّةِ طَيْرَ الرَّصاصِ
يؤالِفُهُ
ثم يَجْمَعُ أضْلاعَهُمْ وَاحِداً وَاحِداً
وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّتَهْ

● ●

مشهد « ٥ »

الكاميرا فى لقطة مكبرة لاشارتي الاتجاه المثبتتين على التقاطع : (صبرا ـ شاتيلا) .
الطفل يتقدم من الاشارتين ويعلق بندقيته عليها ، يتكيء على الاشارتين ، وينظر الى الكاميرا .

الكاميرا تقترب من وجهه ببطء ، وتتركز فى النهاية بلقطة مكبرة على عينيه .
تثبت اللقطة .

● ●

مونتاج

داخل العين اليمني الكاميرا تبدأ حركة بانورامية حول مدينة القدس ، وتتركز فى النهاية بلقطة مكبرة على قبة الصخرة .
داخل العين اليسرى ، الكاميرا فى حركة "زوم ان" نحو شاطىء البحر وقت الغروب ، والأمواج تضرب الشاطىء .
تثبت اللقطة فى العينين .

● ●

غناء جماعى

كُلُّ شَيْءٍ هَدَأْ
فَأَتَكَأْ
بَحْرُهُ ، إذ يَمُوجْ
حامِلاً بَيْتَهُ ، داخلاً فى ثَنَايا المرُوجْ
داعياً خُضْرَةَ العُشْبِ
فاكِهَةَ النَّهْرِ
مُغْتَسِلاً بالثُلوجْ

● ●

غناء منفرد

لم يَزَلْ كَمَا كَانَ
يَرْكُضُ خَلْفَ الرَّصاصِ
الرَّصاصُ يُحَاصِرُهُ
يُسَيِّجُهُ البرتقالْ
وتشربُهُ الأرضُ فى دَوْرَةٍ قادِمَهْ .

محمد الظاهر
عمان ـ الأردن

د. محمد غنيمي هلال

رائد الأدب المقارن في العربية

● ماذا أخذ الأدب الأوربي من الأدب العربي ؟

بقلم : عباس خضر

ان تاريخ الآداب العالمية يثبت ان عصور الانحطاط فيها هى العصور التي انطوت فيها الآداب القومية على نفسها ، فلاكت معانيها واجترتها حتى بليت وسمجت ، فملها كتابها وقراؤها معاً ..

ولكن .. الافادة من الآداب الأخرى لا تتم ولا تتحقق الا بالأصالة القومية ، وفاقد هذه الأصالة الذى ينغمس فى الآداب التى يعجب بها يخرج على جمهوره برطانة لا تغنى .

انتشر بفرنسا فى العصور الوسطى نوع من الأدب يسمى « الفابليو » وهو قصص شعرية كان يقصد بها التسلية والفكاهة ، تتناول الحياة اليومية ، ويعنى فيها بالسخرية من العيوب السائدة ، وقد تهدف الى اغراض خلقية .

راى بعض الدارسين أن هذا النوع من الاقاصيص اتى الى فرنسا من الشرق ومن بلاد العرب ، هذه ـ مثلا ـ اقصوصة فرنسية عنوانها « اللص الذى اعتنق ضوء القمر » تحكى أن لصا صعد منزل رجل من الأغنياء فى ليلة مقمرة ، فلما أحس به الرجل نادى زوجته بصوت خفيض وطلب منها ان تساله كيف جمع ثروته وتلح عليه فى السؤال ، ويجيبها بانه جمعها من السرقة ، وانه كان يسلك فى هذه السرقة مسلكا سحريا ، فيحمله ضوء القمر الى داخل المنزل ، فياخذ ما يبغى سرقته ، ثم يخرج سالما إذ يرفعه ضوء القمر الى الخارج ، قالت الزوجة :

ـ وما هو السحر الذى كنت تتبعه ؟

ـ هو كلمة « سول » انطقها سبع مرات .

يصغى اللص الى هذا الحديث ، فينخدع ، فينطق بالكلمة سبع مرات ، ثم يسلم نفسه إلى ضوء القمر كى يرفعه .. فيقع ، فتنكسر رجله وذراعه ، ويدركه صاحب المنزل ، فيقول اللص : لسوء حظى سمعت نصحك ، وهانـــذا اشرف على الموت .

هذه الاقصوصة وردت فى كتاب « كليلة ودمنة » لابن المقفع فى باب « برزويه » وكلمة السحر فيها « شولم » التى تحولت الى « سول » فى الفرنسية .

والتوافق بين القصتين يقطع بان الادب الفرنسي تاثر بالقصة العربية .

وقصة اخرى اثرت فى « الفابليو » الفرنسي ، وهى فارسية الأصل انتقلت الى الأدب العربى ووردت فى كتاب « المحاسن والمساوىء » وملخصها ان رئيس الكهنة الفارسى كان كلما دخل على « خسرو ابرويز » حياه قائلا : « اعطيت الخير وجنبت طاعة النساء » فغاظ ذلك «شيرين» محظية كسرى .. فدبرت له كيدا بان اهدت اليه جارية جميلة اسمها « شكدانه » وامرتها ان تغريه بجمالها ولا تستجيب له الا اذا اسرجته والجمته وركبته ، وتحدد وقتا لذلك تفاجئهما فيه سيدتها مع كسرى .

ونفذت الجارية ما امرت به .. وشاهد « خسرو » و « شيرين » الجارية راكبة رئيس الكهنة .. وهى تقول له : « خرخر » اى حمار حمار !

فلما راى رئيس الكهنة «خسرو» رفـع راسه وقال له : « هو ما كنت اقول لك فى اجتناب طاعة النساء ضربت لك المثل به كما ترى » .

اخذ الشاعر الفرنسى « هنرى دارزيلى » هذه الاقصوصة والف منها « اقصوصـة ارسطو » واستبدل ارسطو بالموبدان ، والاسكندر بخسرو . وذلك فى القرن الثالث الميلادى .

وثمة قصص اخرى كثيرة تاثر فيهـــا « الفابليو » الفرنسى بالادب العربى ، سواء منه ما كان قد ترجم من الفارسية او عربى الأصل ، اتى بكثير من ذلك الدكتور محمد غنيمى هلال فى كتابه « الادب المقارن » .

وثمة تاثير اخر ، فقد استمد الادب الأوربى موضوعات وخيالات من الآداب العربية والشرقية المترجمة الى العربية . الفت فى اوربا مسرحيات كثيرة استمدت من الف ليلة وليلة ، مثل « علاء الدين والمصباح السحرى » و « معروف اسكافى القاهرة » ومسرحية « شهرزاد » التى الفها

« موريس رافيل » سنة ١٩٠٣ م .

تبادل التاثير والتاثر :

وفى الوجه الاخر نرى تاثر ادبنا العربى الحديث بالآداب الاوربية تاثرا واســـع النطاق ، فقد نشات فيه اجناس ادبية لم تكن فيه مثل المسرحية . ودع ما يقال عن خيال الظل و « الاراجوز » وما إلى ذلك ، فالمسرحية الحديثة شيء اخر استجلب او استجلبت قوالبه من الادب الغربى . ومما نشا عندنا كذلك بتاثير الادب الغربى فن القصة ، سواء القصيرة والروايةبمعناهما الفنى الحديث .

نشات المسرحيات والروايات والقصص القصيرة فى ادبنا الحديث وتطورت حتى صارت الى ما نراها عليه الآن ، حتى تضاءلت الى جانبها مكانة الشعر الغنائى المتاصل فى الادب العربى منذ العصور القديمة ، وحتى هذا الشعر نفسه تغيرت نظمه تغيرا فنيا عميقا ، وتحولت القصيدة فى ادبنا المعاصر الى تجربة ادبية تتوافر لها الأصالة الفنية فى تعبير الشاعر عما يشعر ويؤمن به ، فى اشكال جديدة بعيدة عن محاكاة القديم ، واصبحت ذات وحدة عضوية متماسكة ، ولم يعد البيت وحدة القصيدة . وذلك كله بتاثير الادب الاوربى الذى لايجحده إلا مفكر جاهل او عارف متجاهل .

وقد امتد التاثر وتصاعد الحال بشعرنا حتى صعد الى خشبة المسرح فى مسرحيات شوقى وعزيز اباظة ، ثم عبـــد الرحمـــن الشرقـاوى وصـــلاح عبد الصبور .

فالشان فى الادب ان يتبادل التاثير والتاثر بين الامم ، لكى يكون ادبا حيا متجددا دائما. اما اذا تقوقع وانعزل فلابد ان ياسن ويتعفن . والتاثير والتاثر هو موضوع «الأدب المقارن» : العلم الذى نشا فى أوربا فى نصف القرن التاسع عشر ، وكانت له مقدمات قبل ذلك ادت الى نضجه واستوائه فى القرن التاسع عشر .

وما التاثيرات التى ذكرنا طرفا منها ، بين الآداب العربية والاوربية ، إلا مثالا من امثلة افاض فيها الدكتور محمد غنيمى هلال فى كتابه «الأدب المقارن» وقد تبين ان الدراسات المقارنة شملت كثيرا من الامم ، وخاصة امم اوربا بين بعضها وبعض .

وقد انتقلت الينا تلك الدراسات فى قلة من المؤلفات والمقالات ، حتى ظفرنا فى اوائل النصف الثانى من هذا القرن العشرين بهذا الدارس الجاد : الدكتور محمد غنيمى هلال الذى كرس كل جهده لدراسات الأدب المقارن ، وهو جهد عميق واسع الافق ، شغل الحركة الادبية فى فترة قصيرة من عصرنا هذا ، سواء فى الجامعات وفى المجال الأدبى العام .

كنت تراه ـ اذا اتيح لك ان تراه ـ ضئيل الجسم كبير الراس ، وكان شعلة متقدة ، خصب الفكر ، واسع المعرفة ، احاط إحاطة شاملة بالآداب العربية والغربية والفارسية ، وانشغل انشغالا تاما بما كان بين هذه الآداب من صلات تاثر وتاثير .

ولكن الموت الذى يحسن اختيار الاخيار اخذه وهو لايزال فى عمر العطاء الخصب ، ولم يمهله حتى يؤتى ما كان يرجى منه . فقدناه منذ خمسة عشر عاما وهو فى سن الخمسين تقريبا .

رائد الأدب المقارن :

ولد محمد غنيمى هلال سنة ١٩١٦ بقرية «سلمنت» بمحافظة الشرقية ، واجتاز مراحل التعليم حتى تخرج من دار العلوم بالقاهرة سنة ١٩٤١ ، ثم سافر الى فرنسا سنة ١٩٤٥ ، وعكف هناك على التحصيل الجاد ، حتى نال عدة شهادات من باريس ، هى دبلوم فى الفارسية من معهد اللغات الشرقية ، وليسانس الآداب ، ثم درجة الدكتوراه ، مع مرتبة الشرف الاولى .

وعاد الى مصر ، فعين مساعد مدرس بكلية دار العلوم سنة ١٩٥١ ، ورقي الى وظيفة مدرس سنة ١٩٥٢ . وفى سنة ١٩٥٦ عين استاذا مساعدا بقسم الدراسات الادبية بكلية دار العلوم .

وفى خلال ذلك حمى نشاطه فى دراسات الأدب المقارن ، وجدّ فى دعوة الجامعات العربية الى الاهتمام بهذه الدراسات ، فاسترعى الانتباه ، والتفت اليه المشرفون على الجامعة الأزهرية التى رغبت فى ان تدلى بدلوها فى دراسة الأدب المقارن ، فعينته استاذا لهذا الأدب بكلية الدراسات العربية سنة ١٩٦٤ ، فقلم باعباء هذه الوظيفة الى جانب عمله بكلية دار العلوم ، الى جانب جده ونشاطه الفائق فى التاليف والكتابة بالمجلات الأدبية ، وخاصة مجلة «المجلة» التى كانت تصدرها وزارة الثقافة بمصر .

واصطلحت عليه الأمراض ، إذ كان يعانى من نقص فى كرات الدم البيضاء ، وتوفى فى شهر يولية سنة ١٩٦٨ ، انتزعه الموت من قلمه وورقه ومراجعه ، وقطع عن ارض الأدب سيله المتدفق .

ولكن بقي لنا مما اعطى كتب خالدة ، منها «الأدب المقارن» و «الرمانتيكية» و «المدخل الى النقد الأدبى الحديث» ومن مترجماته كتاب «ما الأدب» لسارتر .

مقالاته فى مجلة «المجلة» وغيرها تحتاج الى من يجمعها فى كتاب ، لعل وزارة الثقافة تفعل .

ونرى فى كتاب «الأدب المقارن» دعوة عامة مخلصة الى ان تعنى الجامعات العربية بالدراسات الادبية المقارنة العناية الجديرة بها ، وعلى جامعاتنا ان تلحق بالجامعات الأجنبية وتنهج نهجها فى ذلك ، وهى لاتزال فى اول الطريق : طريق العناية بهذا العلم ، على حين يدرس فى المدارس الثانوية بفرنسا لا فى الجامعات فقط .

الدكتوراه وحدها لا تكفى :

وقد اخذت جامعاتنا توفد بعثات لها ، ويقول المؤلف عن هذه البعثات : «علها تكون اكثر توفيقا من سابقاتها ، فتنجح فى هذه الدراسات ، لا بحصولها على درجة الدكتوراه ، ولكن بتعمقها فى الآداب الاخرى ودراسة بعضها دراسة منهجية ، كي تعود على أساس ثقافى واسع يمكنها من القيام بهذه البحوث المقارنة فيما بعد ، ودرجة الدكتوراه فى هذا الميدان لا غناء فيها ، إذا اقتصر المبعوث عليها . وكثير من مبعوثينا قد قدموا رسالاتهم فى الأدب فى اوربا فى موضوعات مقارنة ، ولكنهم لم يهيئوا انفسهم لبحوث الادب المقارن بدراسة اداب شرقية وغربية دراسة منهجية ، وبالتعمق كذلك فى الأدب العربى لتمييز عناصره الاصيلة من عناصره الدخيلة فى ضوء تلك الثقافة » .

واقول إن الواقع المؤسف ان فى وطننا العربى ظاهرة عامة ، لا فى الأدب المقارن فقط ، بل كذلك فى غيره ، وهى الجد فى الحصول على درجة الدكتوراه ، لكى تكون لقبا براقا وسلما للصعود الى الوظائف الجامعية ليس إلا ، والقعود بعدها عن

مواصلة البحوث لذات العلم والادب ، بصرف النظر عن الدرجات و «الكراسى» .

التخصص المنقوص :

ويشير الدكتور غنيمى هلال الى واقع مؤسف ايضا فى جامعاتنا ، وهو ان المتخصصين فى اللغات الاجنبية وتدريسها لا يهمتون بدراسة الادب العربى. ويقول إن فرنسا تحتم على من يتخصص لتدريس لغة اجنبية ان تكون شهادة الادب الفرنسى من بين شهادات الليسانس التى يحصل عليها ، شانه فى ذلك شان مدرس اللغة الفرنسية تماما ، وذلك لتوثيق الصلة بين مختلف الثقافات وبين الادب القومى ، لئلا يصير غريبا عنه من يتخصص فى لغة اجنبية مهما تكن ، ولكى يصبح الادب القومى ملتقى لموارد ثقافية عالمية ، فيغنى ويكمل .

الافادة من الآداب الاخرى لا تتم ولا تتحقق إلا بالاصالة القومية ، وفاقد هذه الاصالة الذى ينغمس فى الآداب التى يعجب بها يخرج على جمهوره برطانة لا تغنى .

وعلاقة التاثر ـ فى حالة التمكن من اللغة القومية وادبها ـ بما ياخذ به من الآداب الاجنبية ليست علاقة التابع بالمتبوع ، بل علاقة المهتدى بنماذج فنية او فكرية يطبعها بطابعه ويضفي عليها صفة قوميته .

وفى الناحية الاخرى : ناحية انطواء الآداب القومية على نفسها ـ يقول : «وتاريخ الآداب العالمية يثبت ان عصور الانحطاط فيها هى العصور التى انطوت فيها الآداب القومية على نفسها ، فلاكت معانيها ، واجترتها ، حتى بليت وسمجت ، فملها كتابها وقراؤها معا» .

لا خطر على التراث :

ويذهب البعض الى ان التاثر بالآداب الاجنبية خطر على التراث والاصالة ، وليس هذا صحيحا مادمنا محيطين بتراثنا ومرتكزين على ادبنا ولغتنا ، ومادمنا ناخذ الصالح ونختار فى الحدود التى لا تطغى على اصالتنا ، وفى ذلك يقول فقيدنا هلال : «إن فى طبيعة كل ادب ، وفى خصائص اهله وتقاليدهم ، ما يقوم بمثابة حواجز تنفى ما لا يتفق من هذه التيارات مع طاقاتنا الحيوية والفنية ، فنحن ـ مثلا ـ لم ننهج مذهبا ادبيا من المذاهب الغربية بمبادئه كلها ، بل اخذنا من هذه المذاهب بعض ما نستطيع اخذه لنكمل به ادبنا» .

● اللص الذي اعتنق ضوء القمر : قصة فرنسية ماخوذة من «كليلة ودمنة»

● موضوعات وخيالات لاحصر لها استمدها الأدب الأوربي من الآداب العربية والشرقية

● التأثر بالآداب الأجنبية ليس خطراً على التراث والأصالة مادمنا مرتكزين على أدبنا ولغتنا

والواقع ان ثمة من فعلوا ما يحذر منه هلال ، فجروا وراء الغرب معصوبى العيون عما لا يلائمنا وما لا يتفق مع طبيعتنا ، فكان ما ذهبوا اليه مثل المخلفات التى تتجمع على سطح المصفاة ولا تنزل منها ، فتذهب مع القمامة ..

والواقع كذلك انه يقابل هؤلاء المتطرفين ادعياء التجديد ، متطرفون اخرون جامدون يزعمون انهم حريصون على القديم وان لا قيمة للجديد . ومن حسن الحظ ان التصادم بين المعسكرين يتمخض غالبا عن بقاء الاصلح خاليا من شوائب المتطرفين .

دانتى اخذ منا .. :

ومن النظرات الصائبة التى تضمنها كتاب الادب المقارن فى مجال التاثر والتاثير بين الآداب ما راه المؤلف من تاثر الشاعر الايطالى «دانتى» فى ملحمته «الكوميديا الالهية» بمصادر عربية ، وقد فند آراء المعارضين لهذا التاثر ، واستند فى إثباته الى كتابين ، احدهما لمستشرق ايطالى هو « تشيرولى » والاخر لمستشرق اسبانى « منيوس ستدينو » واكتشف هذان المستشرقان مصدر «دانتى» فى مخطوطة اصلها عربى وموضوعها «مدح الرسول» ترجمت الى الاسبانية ، ثم الى الفرنسية والايطالية .

وفى الخاتمة يقول الدكتور غنيمى هلال: «ولا يساور علماء الادب المقارن ـ على اختلاف لغاتهم وميادين بحوثهم ـ ادنى شك فى خطر هذه البحوث وبعد اثرها . وهم على إيمان وثيق بما افادهم التاريخ من ان كل ادب لا يستطيع ان يعيش بمعزل عما سواه من الادب دون ان يصيبه الوهن والذبول ، ومن ان اجمل نواحى الادب القومى قد تعتمد فى مصدرها على لقاح اجنبى يساعد على ازدهار تلك النواحى فى الادب القومى . هذا الى ان من فروع الادب المقارن ما يساعد على فهم الامة لنفسها ، برؤيتها صورتها فى آداب غيرها ، وتلك دروس ذات عظات بالغات فى تربية الشعب وتبوئه مكانته بين الشعوب» .

واضيف الى ذلك انه قد يكون لدى الامة ادب لا تعرف قيمته ولا تحله محله اللائق به ، ثم تنقله امة اخرى وتعجب وتتاثر به ادابها ، فتعرف بذلك الامة الاولى فضل ما كانت فى غفلة عنه .. مثل ما وقع لألف ليلة وليلة ، إذ اننا ما عرفنا قيمة هذه القصص إلا بعد ان ترجم الى اللغات الاجنبية ، وبهر الذين ترجم الى لغاتهم ، وكان ما كان من شانه فى آدابهم،عند ذاك التفتنا اليه ، وعلمنا ان لدينا كنزا لا ندرى به ، فاستخرجنا منه ما انتفعنا به فى قصص للأطفال ومسرحيات للكبار ، واستلهمنا منه اعمالا ادبية قيمة ، مثل مسرحية «شهرزاد» لتوفيق الحكيم ، ومثل «القصر المسحور» لتوفيق الحكيم وطه حسين ، و «احلام شهرزاد» لطه حسين ، ومسرحية «شهريار» لعزيز اباظة ، ومسرحية «شهرزاد» لعلي احمد باكثير .

وصحب ذلك دراسات لهذا الاثر العظيم، مثل الفصل المستفيض الذى تضمنه كتاب «أصول الادب» لاحمد حسن الزيات ، ومثل الرسالة الجامعية التى حصلت بها سهير القلماوي على درجة الدكتوراه من الجامعة المصرية .

كان ذلك كله بفضل الاخذ والرد والتاثير والتاثر بيننا وبين اوربا فى العصر الحديث .

عباس خضر

دمي غارُ الحدائِقِ والشَّجَر

شعر: د. عبدالله الشحام
الأردن

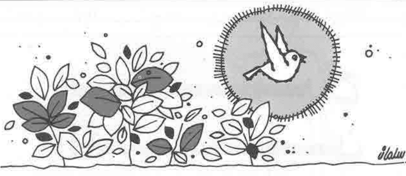
هبطتْ رياحٌ خلفَ افراسي
وكانت قِبلتي مدنى
وصوت البحر عَصْرٌ : من زفافٍ وانتفاضٍ
بين نافذةٍ تعرَّت للصباحِ
ونرجسٍ غضِّ الإهابْ
هبطت رياحٌ خلفَ افراسى
وكانوا يسبحونَ على ترابِ القدسِ
والأشياء صلَّت فى خشوعِ
والتقى الجسدُ الطريُّ
بوردتينِ من الترابْ
وصرختُ : لو مَسَحُوا على ظهْرِى
لتلاشت البيداءُ فى البيداءِ
وانحدرتْ سهولٌ فى جدارى
وشدَّتني
رياحٌ من بقاياهمْ
مادتْ بيَ الآفاقُ
واحتضنتْ جِراحى نجمةٌ
وسمعت صوتا واحدا
يزكو على همِّي
ويرميني باعشاشِ الطفولةِ
والغناء الداخليْ
فبكيتُ من فرحي
وضمَّتني عصافيرُ الوطنْ
ومشيتُ فى دربِ البساطةِ والوضوحِ
لا شيء يجذبنى الى الأسرارِ
غيرُ دمي
وحنين قلبى للقاءْ
ورايتهم قُرْبِي
كجدائلِ الشمسِ المنيرةِ
يوقدونَ رمالَنَا البيضاءْ
فسكتُ ثم سكتُ ثم سكتْ
احسستُ ان القمحَ اضلاعى
وان الأرضَ امِّي
فالتجاتُ الى القمرْ

احسست ان عناقَها عسل النخيلِ
وان ماءَ البحر انفاسِي
وان رصاصَتى تَبْغى
وان دمي غار الحدائِقِ والشجرْ
احسستُ ان البرقَ
ياتي راعشا
ويسوق افراسَ الهواءِ
ويقطع الأيامَ
يطلق طائرا
ويضيء فى كل الدروبْ
احسستُ ان مآذنَ الشهداءِ
توشك ان تؤذِن فى عروقى بالشهادةِ والصباحِ
وان قلبي نابضٌ بدمي
وان اصابعي حرسُ الزمانِ ومنتهاه
احسست ان اضافرى لون النهارِ
وان صوتي حاضرٌ ابدا
وان الشمسَ تسبقها الخيولُ
وان الأرضَ فى لحمى عذارى سابحاتٍ
بالبراءةِ والهوَى

حتى الثمالة اسكرونى
اسكرتنى الريحْ
تركوا على صدرى هواءَ البحرِ كي القاهُ
فازدحمتْ سمائي بالظلالْ

خلفى الصبايا
خلفى بذار الرعد فى زيِّ الحسامْ
خلفى المجاعة والحمامْ
خلفى طعامى والدفاتر والتواريخ القبيحة والظلامْ
خلفى البراءة والغمامْ

ملكوا فؤادى
حين صحتُ واوغلوا بدمى
وعَدَوْا الى فيضٍ من الاقراطِ والليمون
ذُبُلَتْ دقائقهم



وعادوا من بحيراتِ الندى
سودَ العيونِ مكحلين
اجسادهم شجر تزيّنه النجومُ وتنتشي

هل اغرقوا المدن العقيمةَ
أم اتاهمْ صوتُ عصفورٍ صغيرٍ او غزالْ
خرقوا الفضاءَ إلى فضائي
فاتسعتْ
نفذوا من القطر السماويّ البعيدِ إلى دمي
وصلوا الى لبّ الحقيقةِ والسؤالْ
وتوزعوا في القلب وانتفضَ الذراعْ

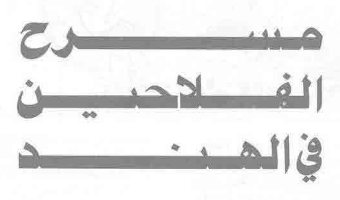
اخذوا جراحي
وتبعت موتى كالفراشة واحتدمتُ
وطرتُ في حدقِ العيونِ
واوغلوا في جثتي

اقمارهم يومي
وكان المعتدون يحاصرون القدسَ من زمنٍ
ودمي مراقْ
فبكيت من حزني على نفسي
واشجاني الفراقْ

لكنني حَيٌّ ولي رئــةٌ
فخذوا هوائي واتبعوني كي اراها
وارى ينابيع الميــاهْ
تَنْهَلُ من اقدامها
كي تستحمَّ ويشرب الشجر الانيق بصدرها
وتظل صرختها جوادَ الليلِ
خلف الكونِ
حين يغيب صوتٌ او شراعْ
وتنامُ كلُّ فراشة جذلى
وتموتُ في مدني القناديلُ الحزينةُ والجياع
من اين يزهرُ كلُّ هذا الموت اشجاراً تناديني

فاجتاز التوابيت القديمــةَ
ثم تدعوني لالقاها
فالقى النجْمَ ، والأمواج تدفعني
وقطراتُ الندى شجرٌ من الرمانِ
تغسل كلَّ اعضائي
تقدّسُني وتعطيني الشهادهْ

فابثُها الشهداءَ والحزنَ النهائيَّ النهائي البعيد
وابثها شوقَ الندى للصيفِ
أو شوقَ الفراتِ لمائه الأزليّ
او شوقَ السنابل للصبا
وابثها صوتَ المخيّم حين ينخفض البكاءْ
وتصيرُ كلُّ دمائهم نهراً
يجتاز ما يجتازُ من اطلالْ
حتى اذا ناحَ الحمامُ وغردوا
وتحاورَ العشاقُ واحترقوا
وتكلم النبعان في جُرْحي
حدّقت في وجهي لأعرفَ انني حيٌّ
وان الارضَ ارضي
والترابُ مقدسٌ باسمي
وباسم النازحين
يتماوجون الآن لا حزنٌ يؤخرهم عن الوعد القريبِ
ولا غيابْ
هذا دمٌ منهم يغطينا بزهر الماءِ
كي نشتدَّ في الزمن اليبابْ
مدّوا اياديكم عليهم
باركوهم بالشهادةِ والندى
لمّوا بقاياهم وخلّوها القذيفةَ والحرابْ
واسقوا ترابَ الارض تحت رؤوسهم
عرق الكروم وماء زمزم والرضابْ
وضعوا اصابعهم خواتِمَ في اصابِعكم
وخلوها سنابلَ ترتوي
وتضيء في الليل البعيد
وتصير ذكرى او جوابْ



بقلم : نعمان عاشور



الكتاب لباحث وناقد هندى بارع، لم اعرف اسمه الا بعد أن اتممت قراءة كتابه وهذا يدل على منتهى المتعة .. فالميعاد أن يتعرف القارىء على المؤلف الذي يقرا له اولا .. وصاحبنا اسمه ج . ماتور .. يوجه كتابه الى القراء الاجانب الذين تعنيهم الثقافة الهندية .. ويقول فى مقدمته .. انه انما يقوم بدراسة ميدانية متواضعة .. وناقصة .. صرف فيها خمسة اعوام وبدا يجمع مادتها من عشرين عاما .. وهو طبع لا يستغرب على اخواننا الهنود عباقرة الصبر والجلد فى كل عصر ..

يقول مؤلف مسرح الفلاحين الهنود .. انه انما يجري بحثا ميدانيا استقاه من الاتصال المباشر بالمثلين .. ثم من مراجعة الكتب .. ومن واقع جولاته فى مختلف المقاطعات الهندية ومشاهداته لمايعرض فى ريفها من مسرحيات .. ويقرر انه انتهى من دراسته الى راي قاطع مؤداه .. استحالة الفصل بين الدراما المكتوبة .. والدراما الفلكلورية الهندية التى تمثل فى الريف .. فرغم بعد المسافات واختلاف اللغات .. فالاصل دائما واحد والجوهر لا يختلف ابدا .. مما يدل على أن للمسرح تقاليده الراسخة الغائرة فى اعماق الحضارة الهندية ..

الشكل المسرحي

وهو يتركز دائما في وجود شخصيتين .. المضحك او البهلول كما هو عندنا فى المسرح الريفي .. والمعلق .. وما نسميه بالراوي .. ومهمة الاثنين معا .. الابقاء على روح المرح المتصل ومداومة تفسير ما يقع والتعليق عليه والربط بين اجزائه .. وأكثر من ذلك واهم اضفاء الجدة والحداثة على الموضوع المشاهد فى العرض .. ولذلك فالغالب دائما على مسرح الفلاحين القائم فى الريف الهندي تحويل مدلولات القصص القديمة وموضوعاتها .. الى معان معاصرة تتصل بالواقع اليومى المباشر لحياة اهل القرى .. فالمسرح على هذه الصورة يحمل دائما اراء العصر ولا يفرق باهل الريف فى ابعاد ماضيهم .. وقد تبدو مثل هذه الطريقة مفتعلة او غير اصيلة فى نظر ابناء المدن .. ولكن الواقع انها طبيعية جدا .. وكانت عصبا رئيسيا فى احياء والابقاء على المسرح الهندى فى الاقاليم الريفية ووسط الفلاحين .. واليها يرجع الفضل فى بطء تاثير السينما .. وطبيعى ان مثل هذا الاسلوب يخلق ما يمكن ان نسميه الافكار العامة للمجموع .. وهو ما لا يتقبله المثقفون عامة .. ولكن القيم والمثل والاخلاقيات التى ينطق بها مسرح الفلاحين الهنود تنبع كلها من واقع حياتهم العصرية وتزود بها المسرحيات الفولكلورية الموروثة . والى جانب ذلك .. فهناك بالطبع .. عناصر .. الرقص والغناء .. ثم الحوار الطلق ..

ومثل هذا الشكل الذي يتسم به المسرح ..يجعله اكثر من ملهى .. ويحيل مشاهده الى تجربة عاطفية مشتركة بين مجموعة متجانسة من ابناء البيئة الواحدة ..

مكان التمثيل

كان مكان التمثيل فى الماضى هو المكان التقليدى .. داخل المعابد .. لكن هذا النوع بدا



نهائيا وحل محله المسطح القائم فى داخل الفتحات المطلة على الساحات المخصصة للاسواق .. كما هو الشان فى مسارح الريف فى ولايتي كيرالا واسام .. وتبنى من الخشب والبوص والخرق البالية .. وفى المدن الريفية تقام فى الشوارع ذاتها خصوصا اثناء الموالد . واحيانا ما تخصص لها شرفات البيوتات الكبرى ويتنافس اثرياء المناطق على شرفات دورهم الواسعة واجتذاب الفلاحين وارضاء جموعهم ..

شكل البنــاء

يكون مفتوحا عامة .. لان الاحتفالات تقام بعد انتهاء مواسم المطر .. والمسارح المغطاة نادرة .. واحيانا ما تستاجر الفرق الجوالة المناطق المخصصة للافراح .. وساحة العرض دائرية فى وســـط البناء المسور .. وينفذ اليها الممثلون من بين صفوف المشاهدين .. وتكون مرتفعة نسبيا .. او على قطعة ارض مستطيلة حولها سور .. وهذه عادة ما تكون قرب المدن وخاصة حول دلهي .. ثم تحدد اماكن التمثيل على جوانب البناء .. فهنا تكون الغابة !! وهناك البحر ! وفى الزاوية الجبل ! والجمهور الجالس يتابع بالالتفات (شىء اشبه بالبلاتوهات التى يجرى فيها التمثيل التليفزيونى او السينمائى) .. والفرق المحترفة تفضل المسارح الثابتة المرتفعة الاسوار لحصر الجمهور من اجل ثمن التذاكر .

الستارة

وليست لها ضرورة بالمرة .. ولذلك يفضلون خلعها .

الجمهور

لكن لعل ابرز ما يميز جمهور المسرح الريفى فى الهند .. انه لا يترك مقاعده .. إذ يعتبـــر وجـوده فى المسرح كوجـوده داخـل معبـد .. ولهذا يلتـزم الممثل دائمـا بعدم الاختفـاء عن المشاهديـن اغلب الوقت . ولابد ان يبدا التمثيل الذى يروق معظم المشاهدين بتقديم شعرى بواسطة ممثل .. ثم بمصاحبة موسيقى افتتاحية ورقصة شعبية لتهيئة الجالسين للجو واحيانا ما يشارك الجمهور فى الغناء.

وعلى حد ما يقول المؤلف .. قد ابعدنا المسرح ، او بعدنا به فعلا عن حياة الناس .. فى ماضيها وحاضرها وارتباطه الذى لا ينفصم بوجودهم اليومى .. فالفلاح الهندى يقبل على المسرح إقبالا صحيا واساسيا .. لا كمدرسة للمعرفة والتعلم .. وإنما كمكان للترفيه .. وهذا المكان مادام ينبعث من واقع حقيقى لابد وان يخدم هذا الواقع .. لكنه لا يخدمه بالزجر ولا بالردع ولا بالجمود .. واظهر مثل على ذلك الموضوعات ذاتها التى تعرض على الناس فيه ..

طبيعة العروض

والموضوعات قد تختلف باختلاف المناطق والولايات ولكنها تتفق فى صفة واحدة هى وجود عنصر التسلية . واليكم عرضا منها .. مسرحية تعبر عن الطابع الغالب من ولاية كشمير .. تجمع بين

مسرح الفلاحين في الهند

الأسطورة المتوارثة والنقد الاجتماعى المعاصر .. وتقع أحداثها فى قليم باهاند .. يجرى تمثيلها بالنهار .. قبل غروب الشمس .. ثم يعاد تقديمها مع ظهور القمر . يدخل المهرج ليقدم نفسه .. ثم يطرى الفرقة او يتهكم عليها .. وتعزف الأوركسترا ثم يبدأ التمثيل ..

امامنا الآن قائد قبيلة جاءت فغزت الاقليم وتريد الاستيلاء عليه .. يتبعه جنوده .. وهو يمشى فى خيلاء ويرتدى سترة مزركشة من الصناعة الكشميرية الشهيرة ويحمل شالا من الكشمير ايضا على ذراعه ..

وبعد تحية المشاهدين .. يدخل خادمان يحملان ستارة يرفعانها ومن خلفها يظهر حاكم المقاطعة التى قامت بالغزو .. فيحييه القائد هو وزوجتاه اللتان تصحبانه .. ويقف فى اعداد بينهما والموسيقى تؤكد عظمته وانتصاره .. ثم يقطعها دخول (المهرج) ويسمونه (مسكرة .. اى المسخرة) ويتغافل الغازى وكانه لم يره .. وهو يرتدى ثوب فلاح مهلهلا .. ولكنه حين يرى الغازى اخيرا يركبه الرعب ويجرى خوفا وحيرة الشيء الذى يضحك له الجمهور قطعا .. ويدخل قروى بعده وسرعان ما يضطرب مثله .. وثالث تموت الضحكة على شفتيه امام رؤيته للغازى والقائد وجنود الغزو .. اما الرابع فيشق طريقه بين الغازى وزميلته وكانه لا يعرف مقامهم جميعا .. وينظر اليه الغازى غاضبا فيتراجع ويرتعش ثم يغوص الى الارض رعبا .. ويصاحب الحركات الصامتة للاربعة الخائفين ضربات موسيقية معبرة عن كل حالة وما تحمله من سخرية .. فلما يهدأ روعهم يبدأ كل منهم فى مغازلة المراتين اللتين تصاحبان الغازى .. وعندها يخرج الغازى سوطه ويطرقع به فى الهواء .

ويتلو ذلك مشهد راقص عن غضب الغزاة .. ثم يرقص الغازى بنفسه رقصة الغضب وتشاركه المراتان .. ويظل الغازى يطرقع بسوطه حتى يخر امامه الفلاحون الاربعة فى خضوع ومعنى ذلك انه سيطر على المنطقة .. وبعد ذلك يغرق فى ملذاته .. شان كل الغزاة .. فيروح يلهو بلا انقطاع حتى يغمى عليه فينام .. ويحاول الفلاحون الاربعة خطف المراتين ولكنه يهب لانقاذهما .. ويحيط خصر كل منهما بذراعه ويمشى بهما فى خيلاء ولكنه يتمايل مضطربا .. وحينذاك يشير القرويون الاربعة الى بعضهم ثم يهجمون عليه ويأخذون المراتين بعد ان يوقعوه على الأرض ليعود الى غفوة طويلة ..

وبعد خروجهم يستيقظ الغازى فلا يجد المراتين فيثور غاضبا وييأس باحضارهم ويروح يحقق معهم .. ولكنهم يناوئونه بكل لباقة فيضطر الى استرضائهم بتقديم جائزة لمن يرشده منهم ويحاول ان يدفعهم على التنافس لنيل الجائزة .. وان يضرب بعضهم بعضا وحين يغضب يتكلم بلغة بلاده وهى اللغة الاوردية .. فيرفضون سماعه إلا اذا تكلم بلغة بلادهم التى لا يقبلون ولا يفهمون غيرها .. فيصرفهم مقبوضا عليهم وبعدها يسمع غناء عذبا .. احدهم يشدو مطريا جمال المراتين .. فيستدعيه ليدله على مكانهما .. ويقبل المطرب .. ويهمس للغازى فى اذنه حتى لا يسمعه احد .. وعندها يكتشف ان فى اذن الغازى شعرا وبذلك لن تصله الحقيقة فيبتعد عنه فى (قرف) يثير الضحك مما يدفع الغازى الى أن يامر بالقبض عليه .. ثم يدخل قروى هادىء يؤكد له معرفته بمكانهما .. ولكنه يشترط على الغازى إذا ارادهما .. ان يقلع عن الاستبداد بالمقاطعة التى استولى عليها .. ثم يطالبه بالتوقيع على وثيقة تضمن التراجع عن احتلال المنطقة .. فيقبل الغازى يائسا .. وبعدها تظهر المراتان .. وتكون خاتمة المسرحية برقصة وطنية واغنية قومية وفرح من جميع الاهالى .. بما فيهم المتفرجون الجالسون ..

موضوع المسرحية رفيع الخيط ، ولكنه متلاصق الأحداث .. مليء بالمفارقات والمشوقات المسلية التى تدفع المتفرج الى متابعتها خصوصا فى التناقض القائم بين شخصية الغازى كعاشق ذليل ورجل متجبر .. فضلا عن تهكم الفلاحين عليه وتمكنهم منه .

معالم التمثيل الهندى

وينهى المؤلف كتابه بفصل ممتع .. يحدد فيه بوضوح معالم التمثيل فى الهند فيقول انه لا يعتمد على الواقعية البحتة كما قد يبدو من مظاهر العرض .. ابدا .. بل انه لابد وان يحمل الى المشاهد جوا غير طبيعى .. سواء فى الملابس او الكلام .. لان الدراما فى تذوق الهنود .. ليست تقليدا للحياة ونقدا لها .. بقدر ما هى كشف جمالى ساحر عن مكامن المتعة الخيالية التى تعتمد على الايحاء .. فحركة اليد واشاراتها .. وكذلك طريقة النطق واسلوب الرقص .. يجب ان تكون كلها .. غير طبيعية .. او تشعر من البداية بانها (تمثيلية) اعنى لم تات طبيعية .. ولذلك فليس من السهل خصوصا فى الريف ان يمتهن احد التمثيل .. وإنما يعتبر دائما حرفة متوارثة ومهنة مقصورة بالوراثة والتعليم الخاص على عائلات بعينها التى لها الحق فى ان تمثل ..

وياحبذا لو كان فى مثل هذه الدراسة ما يدفع سادتنا نقاد المسرح .. وما اكثرهم واوفرهم .. الى مجرد محاولة التعرف على تاريخنا ولا نقول واقعنا المسرحى .. على مدى الأعوام المائة التى انصرمت من حياة مسرحنا .. وهى مجهولة وخافية بالنسبة لهم قبل غيرهم ..

نعمان عاشور

الزبرجدة الأساس

شعر: حسن طلب

- من اين يجىءُ الحُبّ ؟
- من وهجٍ فى القلبْ

يتجمّعُ فى الغددِ الصّمّاء ..
ويبحرُ فى الاعضاء ،
يشبُّ .. يشبُّ ..
ويركب احصنةَ الجسدِ الصّعْبْ ،
يخبُّ .. يخبُّ ..
إلى ان يصلَ الشرقَ بقصى الغربْ ،
وينصبُّ .. وينصبُّ .. وينصبّ

يا عاشقَ القممِ البعيده
مزق فؤادك والنياط
فالحب اجر القصيده
ودم المغنين الملاط

• • •

- ومن اين يجىء الشعر
- من رهجٍ فى الصدرْ
يترعرعُ بين الاضلاع ..

ويقتات بماءِ الانسجة الحيّة ..
والشحم المر ..
فينهض كالعشب الحر ،
ويخضرُ .. ويخضر
.. ويركض كالمهر
فيستبدل - إن شاء
- باحرار الوطن العبد :
عبيدَ الوطنِ الحر ،
ويسمر .. ويسمر
إلى ان يصبحَ وشما فوق زنودِ رجالِ بلادى
او خالاً فوق خدودِ نساءِ بلادى
يزدان بنارِ زبرجدةِ الدلتا
وينور بنفسجةِ الوادى

طالما المضمونُ جاهزْ
وجمالُ الشكلِ زينهْ
فذراعُ الشعرِ عاجزْ
والاساريرُ حزينهْ

ايتها السمراءُ الضائعةُ العنوانِ ،
بهذا الوطن المجدبْ :
ما عنوانك ؟
ما اسمك ؟
هل عزة ؟ ام زينبْ ؟
فيكون الحب قد اعذوذبْ !

يكاد ان يغلبَنى الوسَنْ
ايتها السمراءُ .. يا احلى الورى
يا من جمعت لى زبرجَدَ المدُنْ
إلى بنفسجِ القرى
جئتك ضيفا طارئا
فما هو القِرى ؟
اريد ان اكتب شعرا :
تستطيع ان تسمعَه العين ،
وان ترى جمالَه الاذنْ !
تلك هى القصائد الدّرى
فادركينى قبل ان يغلبَنى الكَرى
(النفسُ احتبسْ
فهل تضيعين سُدَى
ايتها القصيدةُ القبَسْ ؟ !)

• • •

ايتها السمراءُ التائهة الخطوةِ ،
فى هذى الارضِ الثكلى :
ما عنوانك ؟
ما اسمك ؟
هل عبلة ؟ ام ليلى ؟
فيكون العمر قد احلَولَى !

يكاد ان يغلبَنى النعاسْ
ايتها السمراء يا واحدةَ القياسْ
اريد ان اكتب شعرا
قد يسوسُ ..
لكن لا يُساسْ
تلك هى القصيدة الاسَاسْ
... ...

اريد ان اكتب شعراً
هو لايقال ..
بل يقولْ
تلك هى القصائدُ الاصولْ
... ...
اريد ان اكتب شعراً
هو لايذاقُ ..
بل يُشَمْ
تلك هى القصيدة الامْ
فادركينى قبل ان يغلبَنى النومْ
(وطال الانتظار
فهل تكونين صدى
ايتها القصيدة المعيارْ ؟!)

• • •

ايتها السمراء الضائعة الملمح
.. فى هذا الزمنِ المحزنْ
ما عنوانك ؟
ما اسمك ؟
هل وردة ؟ ام سوسنْ ؟
فيكون الشعر قد احسَوْسَنْ ؟

ايتها الحبيبة السكنْ
جئتك ضيفا تائهَ الروحِ
.. ومعتلّ البدَنْ
فهيئى لى ما تشائينَ -
وما اشاءْ
من لهوٍ .. ومن دَدَنْ
ايتها السمراءُ ..
يا خلاصةَ الورَى
قد اعترانى ما اعْتَرَى
فادركينى قبل ان تنفصِمَ العُرَى
(والعمر مالْ
فهل تجيئين غدًا
ايتها القصيدةُ السؤالْ ؟!)

• • •

الشعر والحب ..
لو ان بعض شىء كان من هذين :
يُشترى !



قصة بقلم: إبراهيم أصلان

محمد افندى عثمان خرج من جامع السنية القريب ، ومشى بقامته القصيرة فى الشمس الحامية لغاية ما وصل عند أم حسين البقالة ، ودخل من باب البيت وهو يرفع ذيل الجلباب ، ويعرى ساقيه النظيفتين .

محمد افندى طلع السلالم القليلة وهو يحمد ربنا ان الطوبة وقعت على أم حسين ولم تقع عليه . وعندما اقترب من باب الشقة الموارب ، لمح محمد افندى الرشيدى فى الناحية الثانية من الحوش . ولما لاحظ انه طويل وهو لابس الجلباب المخطط على اول درجة من السلم الداخلى ، تصرف بسرعة وترك ذيل الجلباب ينزل على رجليه ورفع يده لكى يفتح ويدخل من سكات ، لكن محمد افندى الرشيدى حس به وقال : « إزيك يا ابو عبده ؟ » ومسك ساعة الجيب وقربها ناحية عينه الشمال وهو واقف ، ثم رفع وجهه بانفه الكبير ، ونزل درجة السلم واقترب بحيث وقف امامه ، وبعد ما عدل السلسلة المشبوكة فى عروة الزرار وتركها مدلاة على صدره ، وقال : « ازيك دلوقت يا ابو عبده ؟ » .

ابو عبده رفع وجهه المدور وقال : « نحمده يا ابو اصلاح » . وابو اصلاح سمعه وظل ينظر اليه ، ثم وضع يده على كتفه واخذه عند شباك المنور ، وساله بصوت خفيف عن هذا الكلام الذي سمعته ام اصلاح من أم عبده : « انت صحيح خرجت على المعاش ؟ » .

محمد افندي عثمان سند كتفه جنب شباك المنور المفتوح ، وشم رائحة الرطوبة وابتسم .

« الله ، إذن الكلام صحيح ؟ » .

« هو صحيح . بس انا تقدمت بشكوى »

« لمين ؟ » .

« للمسئولين » .

« إزاى الكلام ده ؟ » .

محمد افندى عثمان خلع رجله من فردة الشبشب ، وثناها تحت الجلباب ، واخذ يحك رجله الشمال بباطن قدمه العارية ، وقال ان الموضوع حدث فيه خطا ، وان الحكومة اخرجته على سن الستين بدلا من الخامسة والستين : « اصل انا معين على الكادر الفنى » .

« الكادر الفنى » .

« امال انا باصرف طبيعة عمل ليه ؟ » .

« بتصرف كام ؟ » .

« عشرين فى الميه » .

« على الشامل ؟ » .

« لا . على الأساسى » .

محمد افندى الرشيدى استغرب وقال : « إزاى الكلام ده ؟ » .

ومحمد افندى عثمان شعر بالارتباك لما لقاه رجع قال : « ازاى الكلام ده ؟ » لثانى مرة ، ولبس فردة الشبشب واراد ان ينصرف لانه قدر يحافظ على طهارة وضوئه منذ صلى الفجر حاضرا ، وهو يريد الآن ان يذهب إلى المرحاض لكى يرتاح ، وبدا يبعد عن شباك المنور ويقرب من باب الشقة . ومحمد افندى الرشيدى لحقه وقال : « لكن ده شىء غريب يا ابو عبده ؟ » .

« يا سيدى » .

« طيب وبعدين ؟ » .

« ما انا قلت لك يا ابو اصلاح » .

« انا عارف انك قلت لى . بس ده لا يمنع انه موضوع خطير » .

« خطير ازاى ؟ » .

« زى ما باقولك كده » .

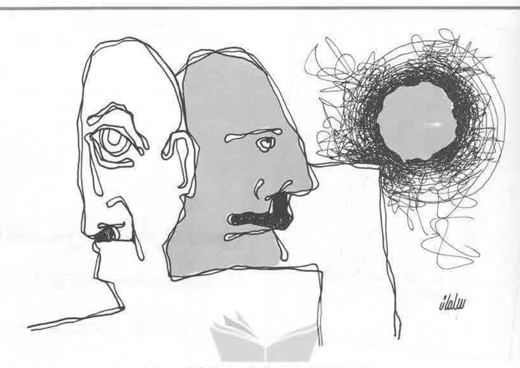
« لكن دى غلطة » .

« انت متاكد ؟ » .

ابو عبده قال : « ايوه » . لانهم من حوالى سنة اخذوا منه الموتوسيكل الذى يركبه ، وسلموه دفتر الحضور والانصراف واعتبروه على الكادر الكتابى : « ما تعرفش ازاى نسيوا حكاية الموتوسيكل دى خالص » .

« خدوه ازاى ! ده عهده ؟ » .

« هو إيه ؟ » .



« الموتوسيكل ؟ » .
« القومسيون » .
« القومسيون الطبي ؟ » .
« آه » .

« ازاى الكلام ده يا ابو عبده ؟ » .
« ما هو كتب تقرير وقال لازم اسلمه » .
« تقرير رسمى ؟ » .
« ورقه كده » .

« ايوه ايوه » وفكر وقال : « طيب ، حيث ان الموضوع كـــده ، إيــه رايك بقى فى مشروعنا ؟ » .
« اى مشروع ؟ » .
« مشروعنا بتاع زمان ، الدكان » .
« دكان مين ؟ » .
« دكان عمك مجاهد » .
« ماله ؟ » .
« خلاص . الراجل انتهى » .
« لا حول ولا قوة إلا بالله » .
محمد افندى الرشيدى قال ان ذلك ليس هو المهم ، المهم الآن هو الدكان : « لازم ناخده » .
« إزاى ؟ » .
« زى اى مشروع يا اخى » . وطلب منه ان يلاحظ انه الآن على المعاش ، يعنى لا شغلة ولا مشغلة ، ممكن يقوم من النوم ، يصلى الفجر ويفتح الدكان . وبعد ان يعود هو من العمل ، يصلى العصر وياكل لقمة ويستلم منه : « مش عيب ابداً » .
« والفلوس ؟ » .
« اى فلوس ؟ » .

« اللى حانشترى بيها البضاعة ؟ » .
محمد افندى الرشيدى قالَ انها عبارة عن مبالغ لا تذكر ، وانه لو فكر معه سوف يجد ان المطلوب منهما لن يزيد عن صفيحة جير يدهنوا بها الدكان والواجهة ، ورفين خشب او ثلاثة ، وكمية بضاعة فى الحدود المعقولة ، وبعد ذلك كلها سنة ويخرج هو الآخر على المعاش ، ويعمل معه فى وردية واحدة ، لأن التجارة سوف تكون اتسعت .
« على العموم الأعمال التجارية مربحة »
« مربحة جداً ، وبعدين خد عندك » ، وبدأ يعد على اصابع يده ويقول ان : حجم الدكان ؟ مناسب . المكان ؟ جميل . المشوار ؟ خطوتين . الايجار ؟ ملاليم : « ايه تانى يا ابو عبده ؟ » .

ابو عبده رأى الأصابع التى كان يعد عليها وهى تنثنى واحدة وراء الاخرى ، ورفع دماغه ونظر فى وجه محمد افندى الرشيدى الذى وضع يده على كتفه ، وعاد به إلى مكانه عند باب الشقة الموارب وهو يطلب منه ان يتوكل على الله ، ونبهه إلى ان اهم شيء الآن هو عدم الكلام فى الموضوع امام اى واحد ، واكد عليه وقال : « ابو عبده ؟ » .
« عيب يا ابو اصلاح » .
« طيب سلام عليكم » .

« رفع ذيل الجلباب ، وبدأ ينزل السلم .
ابو عبده قال : « وعليكم السلام ورحمة الله » وفتح الباب ، ونظر لأم عبده وهى قاعدة على الكنبة تتفرج من الشباك ويدها على خدها ، ودخل الحجرة وقلع الجلباب وطبقه على سبت الغسيل ، واقترب من سترته الحكومية المعلقة فى مقبض الشباك المفتوح ، ووضع يده فى الجيب واخرج علبة السجاير ومشط الكبريت ، ورأى الحاج محمود الفحام وهو يجلس على الدكة فى هذه الناحية من فضل الله عثمان والعم مجاهد وهو نعسان جنب قدرة الفول الكبيرة على عتبة الدكان ، واتجه إلى المرحاض وهو يشعل السيجارة ، واغلق الباب جيداً ، ورفع الفانلة لغاية صدره ، وقعد يدخن ويرى نفسه فى المياه الخفيفة على البلاط ويلعب فيها بعود الكبريت ، ولما زهق ، رمى العود فى الفتحة المدورة ، وهز دماغه وقال : « الله يخرب عقلك يا ابو اصلاح » .

ابراهيم أصلان

د. عـزالديـن فـراج



أقـرب طريـق إلى الصـحـة والعـمر الطويـل

يرجع إسرافنا فى الطعام إلى عدم قدرتنا على التحكم فى الشهوة إليه ، لا إلى الحاجة إلى سد الجوع كما يزعم بعض ذوى البدانة وغيرهم من المعروفين بشدة النهم . فالواقع ان فى استطاعة المرء متى كان قوى الارادة ان يلتزم جانب الاعتدال فى مقدار ما ياكله ، ولكن كثيراً من الناس يطلقون العنان لتلك العاطفة المتقلبة ، ويتوهمون ان ليس فى استطاعتهم كبح جماحها واسلاس قيادها . برغم ما هو معروف من ان الجسم لا يمكنه التخلص عاجلا من مقادير الاغذية الزائدة عن حاجته ، كما يحدث ذلك فى المقادير الزائدة على حاجته من الماء والهواء .

كان كثير من الناس يظنون ان البدانة يرثها الطفل عن ابويه وكان مما يؤيد هذا الظن ان ٧٠٪ من ذرية الابوين البدينين ينشأون على غرارهما فى البدانة ، فاذا كانت البدانة مقصورة على احد الابوين فان ٤٠٪ من ذريتهما يكونون مثله . ولكن الاخصائيين يقررون الآن ان البدانة قلما تورث ، بل هى صفة تكتسب بالشراهة والاسراف فى الاكل والشرب .

ولو انك دخلت عيادة احد مشاهير الأطباء الباطنيين يوما من الايام لوجدت صورة لا تختلف كثيراً عن الصور التالية ، تجد رجلا قلقا جالسا بالقرب من باب غرفة الانتظار لا يكف عن النظر إلى ساعته من حين إلى حين .. إنه مريض بالقلب ، وبالقرب منه رجل اخر بيده مجلة يقلب صفحاتها بسرعة وعصبية ثم يعيد تقليبها .. إنه مصاب بارتفاع فى ضغط الدم . وفى ركن الغرفة شخص منطو على نفسه مصاب بمرض فى كليتيه ، وفى غرفة السيدات مريضة بالسكر تثرثر مع جارة لها بدينة . انزلقت قدمها فاصيبت برضوض فيها .

وقد يبدو لاول وهلة انه ليس ثمة رابطة بين اولئك المرضى .. ولكنهم فى الغالب من هواة الاسراف فى الطعام الذين تتراوح اعمارهم بين الاربعين والستين . إن المقلين من الطعام يزورون الاطباء ايضا ولكن غالبية المترددين على الاطباء من البدينين المولعين بالأطعمة الدسمة وخاصة بعد سن الاربعين .

والعجيب ان الكثيرين يفوتون على انفسهم فرصة التمتع بالصحة والعافية باقبالهم على الوجبات الدسمة .

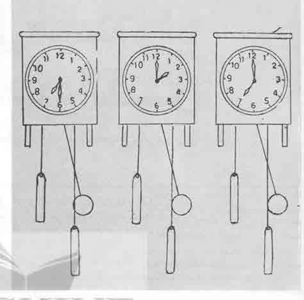
قد تكون هذه الاطعمة شهية يجرى اللعاب لمنظرها ولكنها تسيء الى المعدة اكبر اساءة . ومهما قيل فى الدهنيات وقيمتها الغذائية وانها وقود الجسم ، تتحول داخله إلى حرارة فتزوده بالقوة والحركة .. مهما قيل هذا ، فاعلموا ان النظريات الحديثة بل والتجارب الحديثة اثبتت ان هذا الراى مغالى فيه كثيرا . فالالمان ابان الحرب الأخيرة انقصـــت مقنناتهم الدهنية إلى حوالى ثلث المقدار المعترف به دون ان يصيبهم ضرر من جراء ذلك .

وإذا اكل الانسان ما يزيد عن حاجته فعليه ان يتريض بالمشى لأن المشى يحرق هذه الكيملت الزائدة عن الحلجة .

ومن الضرورى ان تكون كل سيدة وربة بيت مطلعة على القيم الغذائية لكل مادة من مواد الطعام ، بحيث تقدم وجبات تراعى فيها القواعد الصحية الغذائية .

إن كل من يفرط فى الغذاء يحفر قبره باسنانه ، لهذا يجب ان نعتدل فى تناول الطعام وان نحرص على ممارسة الرياضة البدنية لنحافظ على اجسامنا ونحميها من البدانة التى كثيرا ما نقعد بها عن مواصلة

المواعيد المثالية التى يمكنك ان تتناول اثناءها الطعام فى أوقات ثابتة .




لا تهمل طعام الافطار ، فاهماله يؤدى الى خمول اثناء الدراسة او العمل



ركب الحياة .

وما قاله العلم اليوم نادى به نبى الاسلام من قرون عديدة مضت اذ قال للعرب اجمعين :

ـ « لا تميتوا القلب بكثرة الطعام والشراب فان القلب كالزرع يفسد اذا كثر عليه الماء » ـ «ما ملأ ابن ادم وعاء شراً من بطنه» .

ـ «المعدة بيت الداء والحمية راس الدواء» .

وقال ايضا فى مناسبة اخرى :

« نحن قوم لا ناكل حتى نجوع ، وإذا اكلنا لا نشبع » .

لا تهمل طعام الافطار

من الناس من لا ياكل او ياكل قليلا فى وجبة الصباح ، وقد اكدت بحوث علماء التغذية ان ذلك يسبب نقصا ملحوظا فى قدرتهم على العمل والانتاج ، كما يسيء الى صحتهم فى كثير من الاحيان .

وقد اجرى اخيراً استفتاء بين خمسين الف طالب ظهر منه ان ثلثى هؤلاء الطلبة يتناولون فى الفطور طعاما لا يفى بحاجاتهم الجسمية ، وثمانية الاف منهم ياتون الى مدارسهم ومعاهدهم من غير ان ياكلوا شيئا على الاطلاق .

وقد ثبت ان خمول بعض التلاميذ وصعوبة فهمهم لما يلقى عليهم من دروس ومحاضرات ، يرجع الى هذا السبب ، ولهذا تعنى بعض المدارس الابتدائية والاعدادية بالتنبيه على اولياء الامور بالاهتمام بفطور اولادهم ، والتاكد من ان اولادهم قد تناولوا القدر الكافى من الطعام قبل مغادرة منازلهم .

وقد عملت دراسات وتجارب فى اوروبا وامريكا فى المدارس الابتدائية والاعدادية ، فاعطيت مجموعة من التلاميذ كوبا كبيراً من عصير البرتقال فى الساعة العاشرة صباحا ، وتركت مجموعة مشابهة من غير ان تحظى بهذا العصير ، فوجد ان مجموعة التلاميذ الذين تناولوا هذا العصير اكثر مقاومة للاجهاد ، واكثر يقظة ونشاطا وفهما من تلاميذ المجموعة التى لم تحظ بنصيبها من ذلك العصير .

وقد وجد خبراء الانتاج فى المصانع ، عند دراستهم لاسباب النقص فى الانتاج ان نصف العمال والموظفين يصلون إلى مؤسساتهم فى الصباح ومعداتهم خاوية ، كما وجدوا ان نسبة كبيرة من حوادث المصانع تقع بين العمال الذين لم يتناولوا فطورهم .

وقد قام لفيف من علماء الجامعات باجراء عدة اختبارات على عمال متطوعين من مختلف الاعمار ، باجهزة علمية لقياس النشاط البدنى والعقلى والهدوء العصبى ، فظهر من اختباراتهم ودراساتهم ان تناول الفطور بكميات قليلة اسوا من تناوله بكميات كبيرة من ناحية القدرة على الانتاج ويقظة الذهن .

ولما كان الغذاء هو مادة الحياة والحافظة لكيان الجسم ، كان عدم تناول القدر الكافى الملائم منه ، ضار إلى ابعد الحدود .

ولهذا فان احسن الحالات ان يعتدل الانسان فى غذائه فلا يسرف فيه ، ولا يقتر تقتيراً ، بل يكون بين ذلك قواما ، وهذا ما كان يعنيه الشاعر فى امور الحياة كلها عندما قال :

بين تبذير وبخل رتبة
وكلا هذين إن دام قتل

رسائل مجهولة في الأدب والفن

بقلم : كمال النجمي

صاحب هذه الرسالة ، ورسائل اخرى قد يتاح لنا نشرها ، اديب لا اعرفه ، ولكن الصداقة انعقدت بينى وبينه بظهر الغيب ، وعشت اترقب رؤيته ومعرفة اسمه ، حتى زارنى فجاة فى مكتبى بعد بضعة عشر شهرا قضاها يكتب رسائله إلى موقعة بثلاثة حروف هى : « م . ع . ع » .

سعدت برؤيته وحديثه ، ووجدته غزير المادة فى الأدب والفن ، واسع الالمام بالأدب العربى والآداب الأجنبية ، وسالته عن اسمه بعد تعمده تقديم نفسه بتلك الأحرف الثلاثة فقط ، فقال ضاحكا : حسبك منى هذه الحروف ! ..

ثم انقطعت رسائله وانقضت على انقطاعها مدة طويلة ، فماذا حدث له ؟! .. واين هو الآن هذا الأديب الغريب الاطوار ؟! .

رسائله هذه تلقيتها منه فى الستينات ، كانت ضائعة او مضيعة لسبب خارج عن إرادتى ، فلما عادت لى اخيرا ابهجتنى بما تحمله من نفحات الشباب ، ورايت فى نشرها فائدة محققة لمن يقرؤها ، فانها قطع من الأدب والفن ، انشرها كما كتبها تقريبا ، عسى أن يقراها صديقى هذا فيكشف عن نفسه بعد طول التخفى وراء الأحرف الثلاثة الغامضة ..

ونبدأ بهذه الرسالة ، ثم ننظر هل نستمر فى نشر بقية الرسائل أم نتوقف ؟! ..

صديقى ..

كنت اقرا وِرْدَ صباحى بعد ان تصفحت مقالك عن المطـــرب اللبنــانى وديـع الصافى (١) وكاد تفكيرى فى مقالك يوقعنى فى خطا لولا ان تداركتنى رحمة الله فاتممت قراءة الورد صحيحا .. ولكم عاودنى التفكير اثناء القراءة والتسبيح ، فنفيت التفكير عنى بتركيز الذهن فيما انا بصدده ، متوسلا إلى الأفكار ان تترك لى فرصة الاتصال بربى حتى افرغ لها خلى البال ، فاعطيها حقها من الوفاء بما تريد ، ولها عندى مزيد ! ..

ولما فرغت من وردى عدت إلى مقالكم فقراته حرفا حرفا ، ووقفت وقفات طالت عند بعض فقرات ، وقصرت عند اخرى .. وذهب بى التفكير كل مذهب ، فاجلت خاطرى فى السجل الاسود القاتم لماسى البشر ممن عضهم الدهر او انشب فيهم اظافره ، او ضحك لهم ولطف بهم ، ثم غدر بهم واسترد منهم ما وهب لهم ، فعادوا بحسرة يرددون قول ابى الطيب :

ابدا تســترد ما تهب الدنيا
فياليت جودها كان بخــلا

ولو أن الذين رزاهم الدهر كانوا خاملين أو ليست لهم مواهب تؤهلهم على اقل تقدير لان يكونوا فى طبقة اناس دونهم فى المواهب ، إذن لكان للدهر فى صنيعه الغادر بهم عذر واضح ، ولقيل إن الامور تجـرى على قاعدة مطردة ، وقياس لا يشذ ! ..

ولكن الامر جرى على هؤلاء الموهوبين عكس المالوف ، فوقعت بهم وبمن يعرفهم حيرة شديدة ، وَهَمٌّ شديد ، وتمثلوا قول الشاعر الحكيم :

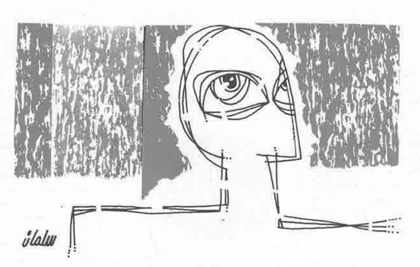
افاضل الناس اغراض لذا الزمن
يخلو من الهم اخــلاهم من الفطن

هـــذا صاحبك المطرب اللبنـانى ذو الصوت العظيم « وديع الصافى » يقع فى الديون والبطالة فلاتمتد إليه يد (٢) وهو الفلتة الفريدة فى صوته وفنه ، لا يظهر مثله إلا واحد فى كل مائة سنة او مائتين ، فهل ضاقت عنه الدنيا ، او على حد قولك : « اليس فى الارض العربية التى تمتد من المحيط إلى الخليج مكان ياوى إليه وديع الصافى ويجد فيه الحنان والعمل ؟! » ..

صديقى ..

اذكرنى مقالك هذا صـــفا طويلا من الموهوبين امثال وديع الصـــافى ، من السابقين واللاحقين ، ادباء وفنانين ، وإنك لتعرفهم مثلى ، فلا اعرفك بهم ، ولكنى اجد حسرة على بعضهم ابث منها شيئا فى رسالتى هذه إليك ، فهل تعيننى يا صاحبى فى بثى وحزنى ؟! ..

فمن الذى قسا عليه الدهر كما قسا على الشاعر العباسى ابى الشمقمق الذى احبه



لكونه أديباً ظريفاً ، لحقته حرفة (٣) الأدب فجعلته كأنه يعيش من الدنيا فى صحراء مقفرة لا يجد فيها ما يأكله غير نبات الصبار ، وإلا فالرمل والأحجار ! ..

ولزم ابو الشمقمق داره فى اطمار بالية مسحوقة ، حتى زاره يوماً صديق له فبكى على حاله وقال له مواسياً : ابشر أبا الشمقمق فإنّا قد روينا فى بعض الأثر : « إن العارين فى الدنيا هم الكاسون يوم القيامة » ! فقال ابو الشمقمق : « إن صح والله هذا ، كنت انا فى ذلك اليوم بزازاً » — اى تاجر ثياب ثم انشأ يقول من ابيات حزينة له :

ولقد افلسـتُ حتى
محت الشمس خيـالى
ولقـد افلسـتُ حتى
حلَّ اكلى لعيـالى !

كان ابو الشمقمق — كما تعلم — معاصراً لبشار وأبى العتاهية ، وكلاهما مشـهور ميسور ، بل ان ابا العتاهية كان من اصحاب الوف الالوف من الدراهم والدنانير ! .. ولم يكن صاحبهما هذا دونهما شاعرية وشعراً ، ولكن تامل ، كيف ساواهما فى الأدب ، وفارقاه فى نصيبهما من الدنيا ! ..

وعمرو بن الهدير الذى صور بؤسه ابلغ تصوير فى قصيدة مطلعها :

وقفت فلا ادرى إلى أين اذهبُ
وأى امـور بالعزيمـة اركبُ

ثم يقول :

عجبت لاقـدار عليَّ تتابعتْ
بنحس فافنى طـولَ دهرى التعجبُ

ويبلغ قمة الاحسان فى تصوير بؤسـه بقوله :

ولو خفت شراً فاسـتترت بظلمةٍ
لاقبل ضوءُ الشمس من حيث تغربُ

هذا البيت الرائع يكشف بضوئه الساطع قول النابغة المشهور :

فانك كالليل الذى هو مدركى
وإن خلت أن المنتأى عنك واسع

ويقول عمرو من قصيدته هذه :

امامى من الحرمان جيش عرمرم
ومنه ورائى جحفل حيث اركب

فكيف ترى هذا الشاعر الذى يكفى لاستدرار الدموع قوله : « وقفت فلا ادرى إلى اين اذهب » ! .. وما اظن هذه القصيدة غائبة عنك أيها الشاعر (٤) ولا غائبـة عنك قصائد الشاعر العظيم ابن الرومى ، الذى بلغ به حرمانه ان يقول :

ولقـد مُنِعْتُ من المرافق كلهـا
حتى مُنِعْتُ مرافق الاحـلامِ
من ذاك أنى مـا أرانى طاعمـا
فى النـوم او متعرضـا لطعامِ
إلا رايتِ من الشـقاء كاننى
أُثْنَى وأُكبح دونـه بلجـام

وقوله حين استجدى احد إخوانه كساء فمطله وعذبه بالمطال وإخلاف الوعد :

جعلت فداك لم أسالك ذاك الثوب للكفن
سالتكه لالبسه .. وروحى بعد فى بدنى!

ولسـت بحاجة إلى تنبيه أديب وشاعر سلك مسالك الشعر الخفية إلى مكانة ابن الرومى ، فهو على راى اديبنا الكبير العقاد من اكبر شعراء الدنيا على الاطلاق ولكنه هلك اسى وجوعاً ! .. وكـان ابراهيم عبد القادر المازنى يخاصم جميع أغنيـاء ووجهاء القرن الثالث الهجرى لما وقع على ابن الرومى من الظلم الفادح ! ..

وهذا ابو العلاء المعرى ، مفخرة الأدب العربى ، الذى قال فيه الخطيب التبريزى : « لا أعرف كلمة نطق بها العرب لم يعرفها المعرى » ! ..

هذا الأديب العظيم الذى كتب « رسالة الغفران » .. لم يسبقه إلى موضوعها احد ، إلا إذا شئنا ان نستثنى لوسـيان فى محاوراته للموتى ، وفتح برسالته هذه باب التاليف لـدانتى وملتـون فى الكوميديا الإلهية والفردوس المفقود ..

ماذا أصاب المعرى من بلهنية دهره ؟! .

قبع رهين المحبسين ، قانعاً بما يساوى بالعملة المصرية مائة وعشرين قرشـا « اكثر قليلا من ريال واحد » .. هى كل دخله ونفقته كل شهر فى هذه الدنيا التى كابدها ثمانين عاماً ! ..

اما فى أوربا ، فان أعدل شاهد على ما انا بصدده ، حالة الشاعر « ريتشـارد سافاج » الذى عاصر الشاعر الانجليزى الحكيم اسكندر بوب ، وسويفت ، وأديسون وغيرهم من كبار الادباء الانجليز .. وقال عنه الناقد الكبير الدكتور صمويل جونسون : « إن أعماله نتاج شـاعرية عبقرية حقة » .

كيف عاش هذا الشاعر الكبير ؟ ..

ادع المجال للدكتور جونسون ثم للآنسة إديث سيتويل الناقدة البارعة ، يحدثاننا عن ذلك ، وأترجمه بنفسى غير معتمد على ترجمة احد .. يقول عنه الدكتور جونسون : « إن فقره كان على درجة يستطيع القلائل تحملها بصبر يساوى صبره » ! .

وتقول إديث : « كان يعيش عموماً على المصادفة ، ياكل « فقط » حينما يدعى إلى موائد عارفى فضله ، وكانت ملابسه الرثة تبعده عنهم غالبا ، بينما ادبه وتنوع حديثه يعتبران تعويضاً كافياً لضيافته ! ..

رسائل مجهولة في الأدب والفن

وكان يسكن بالمصادفة ، ويقضى الليل احيانا فى اخصاص حقيرة تفتح لابناء السبيل الهائمين على وجوههم ، واحيانا فى كهوف واغوار ، بين العربدة والشغب مع اقذر واحط واشد الغوغاء تهتكا ! .. فاذا فاته ذلك ، هام على وجهه فى الشوارع حتى يتعب فينام على هيكل سفينة إذا كان الوقت صيفا ، اما شتاء فمع شركائه فى الفقر حيثما وجد ماوى » !

ثم نلتفت الى عهد قريب منا فى بلادنا ، فنرى مثلين للبؤس من رجال الادب ، ونموذجين للفاقة من رجال الغناء والفن ..

فاما فى الادب ، فامام العبد وعبد الحميد الديب ، واما فى الفن فصالح عبد الحى وزكريا احمد .

عاصر إمام العبد احمد شوقى امير الشعراء وحافظ ابراهيم شاعر النيل ، وكان من طبقة حافظ فى الشعر او دون طبقته بقليل ، وهو شاعر مجيد على كل حال ، ولكنى سمعت من شيوخنا الثقات انه كان يستجدى ! ..

ورايت عبد الحميد الديب وادركته قبل وفاته باربع سنوات .. رايته فى مقهى الفيشاوى بالقاهرة ، ياكل ويشرب القليل على حساب اصحابه ، ويدخن من سجائرهم ، وياخذ من مالهم قروشا تعد على الأصابع ، و يرفل فى اسمال بالية .. أما طربوشه على راسه ، فكان عجبا من العجب فى لونه الحائل وما علق به من اوضار ! .. وحق له أن يقول :

وهام بى الأسى والبؤس حتى
كانى عبلة والبؤس عنتر

كان عبد الحميد الديب على عكس ما اشيع عنه ، عالما باللغة والأدب وان انقطع عن الدراسة فى دار العلوم ولم يعن بعدها بقراءة شىء يذكر .. ومن مؤلفاته ـ والله أعلم ـ كتاب لكاتب معروف محقق مدقق ، اشتراه من انشاء قلمه البليغ بملاليم ! ..

وصالح عبد الحى الذى اطرب واشجى وظل محافظا على طابعه التراثى المتقن فى الغناء ، كيف عاش اخريات عمره ؟! ..

لقد هده الداء وتنكرت له الايام ، وانزوى وحيدا مشلولا فى احد المستشفيات ثم فى شقته المتواضعة ، لا يتحرك بجواره فى ظلام وحدته إلا احدى اخواته ! ..



كان صالح عبد الحى من سلاطين الطرب منذ بداية العقد الثانى للقرن العشرين إلى الخمسينات .. كسب الذهب والفضة بالقناطير ولم يدخر شيئا ، وشقى فى اخرياته ، فى حين ارتفع بعض من كان ينهق نهيق حمار ، وينعب نعيب غراب . وينق نقيق ضفدع ، ثم يتعالى على خلق الله بما يجرى بين يديه من المال ! ..

وزكريا احمد شيخ الملحنين ، اتى عليه وقت لم يكن يملك فيه قوت يومه ، ولكنه يتعفف ان يسال احدا شيئا .. ومات الرجل وليس فى بيته ثمن اكفانه ! ..

ثم نعود يا صديقى الى قولك : « انها لفضيحة كبيرة ان نعجز عن حماية وديع الصافى » ! .. فاية فضيحة هذه ؟؟ ..

صحيح أن الصافى قد صار اضيع من البدر فى ليالى الشتاء ، ولكنه افضل حالا من جميع العباقرة الذين ذكرناهم ، وما اظن ضائقته هذه إلا سحابة تنقشع قريبا (٥) .. ولكن قلبى حزين على من عاشوا حياتهم كلها قتلى الحاجة وهم احق الناس بالحياة ! .

ماذا عسى أن اقول ؟ ! ..

لقد مات الشاعر ريتشارد سافاج فى السجن مدينونا ، ولو كنت معه فى يومه وفى قومه لدفعت عنه السجون والديون ، ولما تركته يموت مفؤودا محطما ! ..

ويا رحمتا لصديقى ابى الشمقمق وهو عار يتستر بجدران بيته المتهاوية ، ويا حزنا لابن الرومى ، وهو يقبض الريح من ممدوحيه ثم يموت مسموما فى خشكنانه ، ثم لا يعترف احد بمنزلته فى الشعر إلا بعد موته بالف سنة ! .. وكانوا فى حياته يهزأون به ويقولون : موسوس ممرور (٦) .

وعبد الحميد الديب مات حافيا ، ومن لا اسميهم من الشعارير الادعياء عاشوا فى سعادة وهناء .

هؤلاء العظماء لم تكتف الدنيا بقطع رطل او ارطال من لحمهم على طريقة شيلوك اليهودى ، بل اكلتهم لحما ورمت بهم عظاما نخرة ! ..

وهم على راى الكاتب الروسى جوجول : عاشوا يشتهون لحم الحصان العجوز الذبيح ، بينما غيرهم يركض الخيل المطهمة ، وينتقل من ظهر حصان إلى اخر بلا اكتراث ! ..

وسلام على صديقك المطرب الصافى ، وعلى كل من تغيم سماؤه من اهل الفن والادب ! .. فبشره بانقشاع غيمة الصيف من حياته السعيدة المديدة إن شاء الله ! ..

كمال النجمي

هوامش

(١) نشرت هذه المقالة سنة ١٩٦٥ فى مجلة فنية بمبادرة من صديقنا رجاء النقاش ، وتناقلتها مجلات لبنانية بعد أن ضممناها إلى كتابنا « اصوات والحان عربية » .. وهذه الرسالة المجهولة التى تطالعها ، تعليق على تلك المقالة وخواطر انبثقت منها لصديقنا م . ع . ع .

(٢) كان ذلك منذ عشرين عاما تقريبا ..

(٣) حرفة الأدب ـ بضم الحاء ـ فاقته وشقاؤه .

(٤) القصيدة بتمامها فى الجزء السادس من العقد الفريد ، طبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر بالقاهرة ..

(٥) سارت الدنيا بالصافى سيرها العادى بعد ذلك .

(٦) صار ابن الرومى موسوسا لتوالى المصائب عليه ، ولكنه لم يكن ممرورا ، وكلمة « ممرور » معناها « مجنون » وتستعمل فى عصرنا بمعنى المرارة تصيب النفس ، وهو خطا شائع ، ولعله اتساع جائز فى استعمال اللفظ ، بعد استئذان مجمع اللغة العربية ! ..



شكل (١) صورة باحد الاقمار الصناعية لجنوب البحر الاحمر وخليج عدن .. فالبحر ذاته كان نتيجة لشرخ فى قشرة الارض بسبب انفصال قارة افريقيا عن قارتي اوربا واسيا منذ عشرات الملايين من السنين ، ثم ما تبع ذلك من هجرة شبه جزيرة العرب شرقا ، ليتسع البحر اكثر فاكثر .. هذه المنطقة معرضة ايضا لصدع حديث نسبيا يبدا من المثلث المعروف باسم مثلث عفار بالحبشة ، ويمتد جنوبا فى جسم القارة كشرخ هائل .

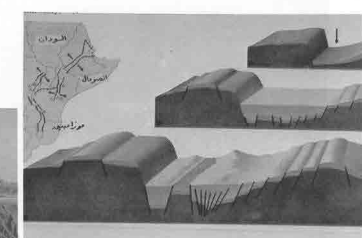
أرض تتشقق .. وقارات تتحرك .. لكن إلى أين ؟

بقلم : د . عبد المحسن صالح

دعنا نفترض اننا قد اعدنا عقارب الزمن الى الوراء بضع عشرات الملايين من السنين ، ثم نظرنا الى هذا الكوكب من ارتفاع شاهق ، وبحيث تبدو لنا حدود بحاره ومحيطاته وقاراته وتضاريسه المميزة التى توضح لنا معالمه الأساسية .. عندئذ سنرى الأرض التى نعرفها الآن ، او عرفها الانسان من قديم الزمن ـ ذلك ان الزمن يغير ولا يتغير ، يبدل ولا يتبدل ، ولقد ترك لنا بصمات هذا التغير والتشكل على صفحات هذا الكوكب ، فظهرت جزر وجبال ، واختفت غيرها ، وضاقت محيطات واتسعت اخرى ، وولدت بحار ، وانحسرت المياه عن مثيلاتها ، وتحركت القارات فى اتجاهات شتى ، وهاجرت هجرات كبرى ، فتغيرت مواقعها وبعض معالمها ، وكذلك مناخها وتضاريسها وزرعها وضرعها .. الى اخر هذه الأحداث المثيرة التى بدأ علماء القرن العشرين فى قراءة بصماتها ، ليتبين لهم ولنا ان امور هذه الأرض ليست مستقرة ، وكانما هى تشير الينا بان دوام الحال من المحال ـ كما يقولون .

وعلماء طبقات الأرض فى هذا المجال كخبراء الجريمة الذين يبحثون عن اى دليل يقودهم الى الفاعل ، او كالطبيب الشرعى الذى يشرح جثة القتيل عله يهتدى الى الأداة التى تسببت فى الوفاة ، او يحدد ان كانت بفعل فاعل ، او هو انتحار .. صحيح ان الأرض ليست كائنا حيا ، لكنها مع ذلك تتعرض لحالات من الضنك الشديد

شكل (٣) صورة لجزء من الصدع الاعظم فى جسم القارة الافريقية ، وهو يمتد كاخدود مطموس بالمصهورات والرسوبيات لآلاف الكيلومترات عبر الحبشة والصومال وكينيا وتانزانيا ، وهو لايزال مركزاً لبراكين نشطة .



شكل (٢) إلى اليسار خريطة توضح اتجاهات حركة الصدع الاعظم فى جسم القارة الافريقية (المشار إليها باسهم) .. اما المثلثات المنتشرة حول الصدع فتوضح مواقع براكين حديثة نتيجة لهبوط بلاطة من قشرة الأرض منذ حوالى ١٣ مليون عام .. وإلى اليمين اشكال توضيحية تبين مراحل التطور التى مر بها الصدع ثم ما آل إليه حاله فى المليون سنة الأخيرة (الصورة السفلى) .

والتوتر القاتل ، وهو ضنك او توتر لا يقتلها بل به قد نتوتر نحن ونفزع ونصرخ ونهرب وقد نموت بسببه ، او قد تدمر القرى ، وتهدم المدن على من فيها .. ذلك ان سطح الارض ذاته يرتعش ويرتعد ، واحيانا ما يتشقق ، وحول هذه الشقوق او فيها تثور البراكين وتلقى بملايين وبلايين الاطنان من حممها وغازاتها وبخارها ، ولقد فزع الانسان القديم او البدائى من هذه الظواهر المفزعة ، وعللها باساطير وخرافات وارجعها الى قوى مدمرة ، او قوى غضبانة .. ثم يجيء العلم ليوضح لنا كل ما غاب عن مدارك الاجيال السابقة ، ويضع بين ايدينا حقائق مثيرة ، وانباء غريبة ، وهى إن دلت على شيء فانها تدل على ان ارضنا لازالت قلقة ، ثم تعبر عن قلقها وضنكها الكامن فى جوفها ، بما يظهر لنا على قشرتها او سطحها من احداث رهيبة نعمل لها الف حساب وحساب .

قشرة مشروخة

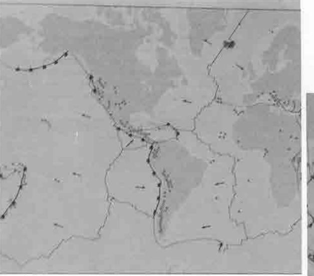
إن اهم شيء يوضح لنا سبب هذا الاضطراب الممثل فى الزلازل والبراكين التى لا تخلو منها الارض فى اى عام — سببه ذلك ان سطح الارض او غلافها او قشرتها الخارجية ليست قشرة سوية ، او سطحاً متصلا ، بل هى اقرب الى بيضة وضعت فى ماء يغلى ، فانتشرت فى قشرتها شروخ ، ومن بعض هذه الشروخ قد ينز مع البيضة ، ثم يتجمد على السطح كبروزات صغيرة .

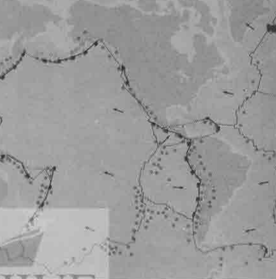
بمثل هذه الصورة المبسطة يمكن تصور ما آل اليه سطح الكوكب .. فقشرته مميزة بعدد من الشروخ الهائلة ، قليلها يبدو لنا على السطح ، وكثيرها يختفى عن انظارنا فى قاع البحار والمحيطات .. وفى القاع تجرى احداث رهيبة لو انها تجلت لنا على حقيقتها ، لولينا منها فراراً وفزعاً ، ولحسبنا ان الارض ستنفلق لا محالة .. لكن لا تحمل لذلك هما ، لان الارض ذاتها اعظم واضخم مما قد نتصور ، ولن تؤثر فى كتلتها العظيمة بضع شروخ سطحية كالشروخ التى قد نراها على غلاف رقيق لثمرة .

لكن شروخ القشرة الارضية قد سارت فى ديناميكية مستمرة ، وهى التى تغير وتبدل فى تضاريس الارض ، بل وتحرك قارات باكملها ، وتدفعها الى رحلات طويلة تقطع فيها مئات والاف الاميال ، لتتجه فى رحلاتها اتجاهات شتى .

ولكى نحول هذا الكلام الى واقع ، فلا اقل من التعرض هنا للمنطقة التى نعيش فيها ، اذ تحيط بها عدة شروخ ، والبحر الاحمر نفسه شرخ صغير ضمن شروخ عظمى تحيط بالكرة الارضية .. ويعنى هذا ان البحر الاحمر لم يكن بحراً منذ حوالى ٤٢ مليون عام .. ويعنى اكثر ان شبه جزيرة العرب كانت فى الماضى السحيق جزءاً من القارة الافريقية .. اى انها كانت أرضاً متصلة بشرق مصر والسودان والحبشة .. ثم حدث صدع او شق فى قشرة الارض ، واخذ الشرخ يتسع ببطء شديد ، وفيه اندفعت مياه خليج عدن ، وكلما زاد اتساعه ، زاد اندفاع الماء خلاله ، حتى وصل الى ما هو عليه الآن (شكل١) .. لكن هل توقف الصدع عن حركته واتساعه ؟

الجواب : لا بالقطع ، فالبحوث الكثيرة التى اجراها العلماء على قاع البحر الاحمر فى السنوات القليلة الماضية قد اوضحت ان هذا الشرخ لا يزال يتسع ، وبمعدل يصل الى سنتيمترين او ثلاثة فى كل عام ،







شكل (١٤ أ ، ب) خريطة توضح حدود الشروخ والبلاطات الارضية التى ترتكز عليها القارات او مياه المحيطات ، والاسهم تشير إلى حركة واتجاهات هذه العلاقات .. اما الدوائر الصغيرة التى تسير جنبا إلى جنب مع هذه الشروخ فهى توضح مراكز البراكين (أ) او بؤر الزلازل (ب) .. لاحظ أن الدوائر الموجودة فى شبه جزيرة العرب هى دوائر مطموسة ، ويعنى انها كانت بؤرا لبراكين ثارت منذ عشرات الملايين من السنين ، لكنها اصبحت بعد ذلك خامدة ، وهذه تشير إلى ان شبه الجزيرة لابد انها تحتوى على ثروات معدنية هائلة تستحق البحث

وسوف تستمر هذه العملية عشرات الملايين من السنوات القادمة ، ويعنى هذا ان شبه جزيرة العرب سوف تبتعد اكثر فاكثر عن شرق القارة الافريقية . وسوف يتسع البحر الأحمر تبعا لذلك ، الى ان يصير جزءاً من محيط ، أو قد يصبح محيطاً قائماً بذاته .

شرخ فى اليابسة

وقد يبدو هذا الاستنتاج مثيرا وغريبا وقد يثير تساؤلا له ما يبرره ، اذ يدرينا ان ذلك صحيح ، خاصة وأن احدا لم يكن موجوداً منذ حوالى ٤٢ مليونا من الأعوام ليشهد الحادثة ، ويخرج بهذا الخبر الغريب ؟

وهذا صحيح .. لكن الشىء يعرف من آثاره وبصماته .. ان الاعرابى المتمرس قد ينظر الى السطح الرملى ، ثم يشير ويقول : لقد مر غزال من هنا ، وكان يتبعه أسد ، وهو يستطيع أيضاً ان يحدد زمن الأثر .. ان احـــدا لم ير غزالا او اسدا ، لكن اثارهما تدل عليهما ، وكذلك الحال مع العلماء .. فاثار الصدع لازالت سارية فى قاع البحر الأحمر ، وعمر الصخور المنتشرة على جانبى الصدع توضح القديم منها والحديث ، ومنها يستدل على عمر الحدث !

ومع ان احداً لم يشهد ما حدث فى صدع البحر غير العلماء ، الا ان هناك حدثاً أخر يعبر عن نفسه على اليابسة ، ويمكن رؤية أحداثه فى المنطقة المعروفة باسم مثلث عفار بالحبشة ، ففيه صدع يمتد جنوباً فى جسم القارة الى حوالى ٢٥٠٠ كيلومتر ، ومارا بشرقها ، وهو فى الوقت ذاته جزء من صدع اعظم يبدا من قاع خليج عدن ، فالمحيط الهندى ، ثم يتشعب شرقاً فى المحيط الباسيفيكى ، وغربا الى المحيط الاطلنطى مارا بجنوب القارة الافريقية .

وعن هذا الصدع الذى يحظى الآن بدراسات وافية ، علها تكشف الحجاب عما يعترى الأرض من اضطرابات متلاحقة ـ يحدثنا نيجل كالدر فى كتابه الممتـــع « الأرض القلقة » فيقول : تجول قليلا الى الغرب من نيروبى عاصمة كينيا .. هناك ستجد الأرض قد تصدعت وغارت .. انت الآن تقف على سفح جبل يمتد على مدى البصر جهة الشمال والجنوب ، وتحت قدميك يكمن الصدع الأعظم على هيئة واد واسع غائر ، الا انك تستطيع ان ترى ذلك أوضح من طائرة محلقة فوق الوادى .. عندئذ يتجلى لك الاخـــدود العظيم وهو مبطن بمصاطب ضخمة من الصخر يعلو بعضها البعض الآخر ، ولاشك انك ستلحظ ثقوبا تدل على فوهات براكين قد تثور حيناً وتهدا حيناً اخر ، ومن هذه البراكين انطلقت المصهورات عبر ملايين السنين ، واندفعت صوب الصدع العظيم ، وتراكمت فيه طبقات من فوق طبقات ، حتى وصل ارتفاعها فيه الى ما يزيد عن ١٦٠٠ متر عمقاً ، ومع ذلك لم يردم الصدع ، بل لازال ينبىء عن حاله .. فرغم أن البراكين قد تبدو الآن ساكنة ، الا ان المنطقة مصابة بشرخ عظيم ، وهى بؤرة لزلازل وابخرة غازية ساخنة وينابيع حارة تنبثق من جوف الصدع الكبير : (شكل ٢ ، ٣) .

ان هذا الشرخ غير ساكن ، بل هو يتحرك حركة جد بطيئة ربما اقل من سرعة نمو الظفر ، ففى غضون العشرين مليونا



شكل (٦) رسم توضيحي لهبوط بلاطة من قاع المحيط (١) تحت بلاطة اخرى لاحدى القارات . ومن احتكاك البلاطتين تهتز المنطقة بزلازل عاتية ، وقد تثور الأرض ببراكين مدمرة ، فتلقى حمما ومصهورات ضخمة . لتتكون منها جبال وهضاب بحرية غائرة ، او قد تكون على سطح الأرض ظاهرة (يمكن رؤية مواقع الهبوط هذه عند الشروخ في شكلي ١٤ ، ب ـ على هيئة رؤوس مثلثات سوداء) .

شكل (٥) إلى اليسار مقطع توضيحي في جسم الارض يبين كيف تدور المصهرات من باطن الارض إلى بطانتها وقشرتها في تيارات حمل حراري لا تتوقف ابدا ، ويقال إن هذه التيارات هي التي تحرك البلاطات ، فتقع تحت اجهادات كثيرة تؤدي إلى تشكيلها تحت ضغط او شد ـ كما هو مبين جهة اليمين (انظر شكل ٦) .

من الاعوام الماضية اتسع ووصل حوالي عشرة كيلومترات عرضا ، وهو لا يزال يتسع ، مما ينبيء ببتر جزء كبير من جسم القارة الافريقية في المستقبل البعيد ، ليتحول الشرخ إلى محيط جديد .

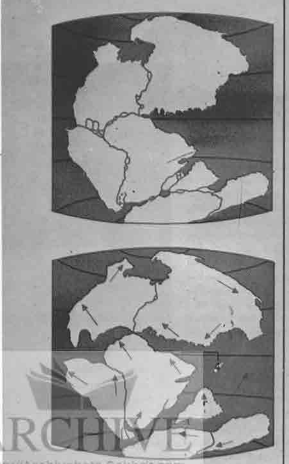
بلاطات تتحرك

والواقع ان هذه المسرحية الغريبة التي تجري احداثها في المنطقة المحيطة بنا ، ليست الا جزءا من احداث أوسع تمتد بطول الأرض وعرضها .. صحيح أن كل شيء حولنا هادىء ومستقر ، ولم نشهد بحرا يتسع ، أو جبلا ينفلق ، أو محيطا يظهر ، أو يابسة تتحرك ، أو جزيرة تبزغ .. الخ ، لكن ذلك لا يعني أن هذه الأحداث غير موجودة ، بل يعني انها تحدث ببطء شديد وحركة غير محسوسة .. لكن اعط هذه العمليــة عمراً يقدر بملايين وعشرات الملايين من السنين ، عندئذ تعطيك نتيجة دامغة ، ومعالم واضحة .

ان الشروخ أو التصدعات في القشرة الأرضية موجودة ـ ما في ذلك شك ، وحركة القارات كذلك ، ومثلها ايضا ارضية قاع البحار والمحيطات ، وسبب تلك ان الشروخ تفصل القشرة الارضية على هيئة بلاطات او صفائح رقيقة ، والوصف هنا نسبي ، لانها رقيقة فقط بالنسبة لما تحتها من طبقات يصل عمقها حتى مركز الارض الى حوالي ٦٤٠٠ كيلومتر ، والقشرة الصلبة ذاتها يتراوح سمكها ما بين ٢٥ ـ ٧٠ كيلومتر .. اى حوالي جزء من مائة جزء من سمك جسم الكوكب ذاته .. هذا والبلاطات السميكة هي التي ترتكز عليها القارات ، اما بلاطات قيعان المحيطات فارق (بين ٢٠ ـ ٢٥ كيلومترا) ، لكنها اكثف واصلب واشد كثيرا من بلاطات اليابسة ، فكانما هذه بمثابة خبث الحديد المتجمد ، وهو الأسهل تهشيما ، بعكس بلاطات قاع المحيطات التي تشبه الحديد ذاته ، اذ ان هــــذه البلاطات تتكون اساسا من صخور بازلتية شديدة الصلابة ، في حين ان اليابسة تتكون اساسا من صخور جرانيتية اخف .

وبلاطات القشرة قد تكون كبيرة أو متوسطة أو صغيرة .. فالقارة الافريقيـة ترتكز على صفيحة واسعة حدودها الغربية الصدع الأعظم الممتد في المحيط الأطلنطي من جنوبه الى شماله ، وحدودها الجنوبية قرب المحيط المتجمد الجنوبي ، والشرقية في صدع المحيط الهندي ، والشمالية عند الصدع التي يفصلها عن قارة أوربا (البحر الأبيض المتوسط) .. وللامريكيتين صفيحة اخرى ، وكذلك للمحيط الباسيفيكي واحدة ولقارتي اوربا واسيا صفيحة ، وللهند واستراليا بلاطة يقع معظمها تحت مياه المحيط الهندي والباسيفيكي .. الخ ، أمـا الصفائح الأخرى الصغيرة فواحدة لشبه جزيرة العرب ، وثانية لايران ، وثالثـة لتركيا ، ورابعة تحت البحر الكاريبي ، وخامسة غرب حدود امريكا الجنوبية تحت

شكل (٧) الصورة العليا توضح ان القارات كانت جميعا كتلة واحدة يحدها بحر واحد عظيم الاتساع . ثم حدثت فى هذه الكتلة شروخ ادت إلى تكوين بلاطات او صفائح فى قشرة الارض ، ثم تحركت البلاطات فى اتجاهات شتى (كما تشير الاسهم إلى ذلك فى الصورة السفلى) لاحظ ان شبه القارة الهندية بدات كجزء مستقل عن كل القارات (تراها إلى شرق افريقيا (يمين تحت) .. كما ان افريقيا لازالت تلبس فى امريكا الجنوبية .. واوربا واسيا ملتصقتان بامريكا الشمالية .



ان تعليل هذه الحركة لا يخفى مغزاها على لبيب ، فالطاقة الحرارية تؤثر فى قاع الاناء فيسخن ، وعندئذ يرتفع الماء الساخن الى أعلى ، ويهبط البارد الى أسفل ، فيسخن ويصعد ويهبط .. الخ ، وهــــذا ما نطلق عليه اسم تيارات الحمل الحرارى .. وهذه التيارات الصاعدة الهابطة تؤثر فى تحريك الماء السطحى ، فتتحرك قطع الورق تبعاً لذلك .. جرب تستنتج !

بمثل هذا التصور البسيط يمكن شرح حركة البلاطات السميكة .. اذ كلما توغل الانسان فى جوف الأرض ترتفع الحرارة شيئاً فشيئاً ، الى ان تصل الى مئات والاف الدرجات المئوية فى جوف الارض (اى حول المركز) .. ولهذا فان معظم الجوف من مصهورات واقعة تحت ضغط شديد ياتيها مما فوقها من طبقات ســـمكها الاف الكيلومترات .. وطبيعى أن هــــذه المصهورات تتحرك وتمور كفرن هائل ، ولهذا تحدث فيها تيارات حمل حرارى ترتفع وتهبط وتضغط على طبقة سميكة تقع تحت قشرة الارض مباشرة وتعرف باسم البطانة او الوسادة ، وهذه يصل سمكها الى حوالى ثلاثة آلاف كيلومتر .. المناطق الخارجية منها ليست صلبة تماما ولا سائلة تماما ، وهى اشبه باللدائن او المطروقات المعدنية التى كلما زادت حرارتها زادت ليونتها ، وبهذا يمكن طرقها او سحبها او تشكيلها بسهولة (شكل ٥) .

وفى هذه الوسادة اللينة تنغمس البلاطات السميكة بدرجات متفاوتة كما تنغمس قطع الحديد مثلا على سطح الزئبق السائل والاكثر كثافة ، ولو سخنت الزئبق ، لتحركت قطع الحديد ـ ايضا من خلال تيارات الحمل .. وطبيعى ان بلاطات القشرة تختلف فى ضخامتها وكثافتها وسمكها ووزنها ، ولهذا تختلف درجات انغماسها فى الوسادة اللينة الكائنة تحتها ولاشك ان التيارات الحرارية التى تتقبلها البلاطات من تحتها تضعف صلابتها بمرور آلاف او ملايين السنين ، مما قد يؤدى الى انهيارها .

اننا ـ فى الواقع ـ نعيش فوق كوكب

القوى المحركة

والسؤال الذى قد يراود الأذهان الآن : ما هو الدافع الذى يسيطر على كل هذه الأحداث ويوجه البلاطات وجهات شتى ؟

لكى نبسط الامور ، دعنا نقدم تجربة بسيطة نوضح بها ما سبق ان ذكرناه ، فلنتصور اننا وضعنا قطعا من الورق المقوى على سطح ماء فى وعاء ، وان هذه القطع يلامس بعضها البعض الآخر ، عندئذ ستظل متجاورة مالم تتعرض لقوة تحركها .. لكن عندما نضع موقداً تحت الوعاء ، نلاحظ ان قطع الورق قد بدات تتحرك ببطء ، وتبتعد عن بعضها فى اتجاهات شتى ، وقد يدور بعضها على السطح ثم يعود لتصطدم حافة هذه بتلك ، او تتزحلق بجوارها وتمر مروراً عابراً ، او تنزلق حافة غاطسة قليلا تحت حافة اخرى اكثر طفوا .. الخ .

قاع المحيط (تعرف باسم صفيحة نازكا) .. وسادسة فى شمال شرق البحر الأبيض (صفيحة بحر ايجة ـ وهى بؤرة من بؤر الزلازل التى قد ينتشر تاثيرها الى مصر وبعض البلاد العربية المجاورة) .. ولهذه الصفائح جميعا حركات متفاوتة ، واتجاهات شتى ، فمنها ما يتجه شرقاً او غرباً او شمالا او جنوباً او حركات وسطا بين هذه الاتجاهات (شكل ٤ ا ، ب) .

ان صفيحة شبه جزيرة العرب مثلا لازالت تتحرك نحو الشرق بمعــــدل سنتيمترين فى كل عام (وفى تقدير اخر ثلاثة) ، وهى تحتك بصفيحة ايران وتضغط عليها.

كما أن القارة الافريقية تتحرك شمالا نحو جنوب اوربا ، وقد تكتسح امامها البحر الأبيض المتوسط ، فلا تترك فيه الا بحيرات محدودة ، وعندئذ تتصل القارتان فى اماكن كثيرة .. واحداث أخرى كثيرة تغير وتبدل ، ولا يتسع المجال هنا لذكر المزيد .

يبدو لنا متزنا او بدون مشـــاكل او اضطرابات ، لكنه ـ فى الحقيقة ـ واقع تحت جهود وتوترات وضغوط عنيفة ، فالطبقات العليا تضغط على قلبه ، والقلب يحاول ان ينفس عن نفسه ، ويزيح العبء الواقع على جوفه ، « فيتقيا » الحمم من خلال فوهات البراكين ، والبراكين ذاتهـا تقع فى مناطق ضعيفة فى القشرة الارضية وكانما هذه البراكين بمثابة صمامات الامان التى تعيد التوازن بين الكتل الضاغطة من الخارج ومن الداخل ..

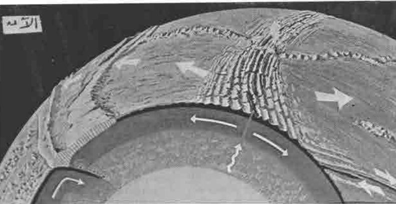
ثم ان البراكين ذاتها توجد غالبا فى مناطق الشروخ او التصدعات التى تفصل بين البلاطات ، والزلازل تنشا من احتكاك بلاطةببلاطة ، او مرور حافة بلاطة تحت حافة اخرى (شكل ٦) .. او هبوط جزء ضعيف من حافة بلاطة حيث تستقر فى جوف الوسادة ، فتبلعها ، وفى منطقـــة الهبوط يتكون اخدود غائر عظيم ، واشهر هذه الاخاديد على الاطـــلاق اخدود « مارياناس » بالمحيط الباسيفيكى ، اذ يبلغ عمقه اكثر قليلا من ١١ كيلومترا ، وهو نتيجة لهبوط حافة بلاطة تحت حافة اخرى ومعظم مناطق الهبوط تتركز فى المحيط الباسيفيكى ، فهناك العديد منها فى جنوب اسيا وشمال استراليا ، وحول اليابان ، كما تحيط ايضا بغرب امريكا الشمالية والجنوبية ، وحول امريكا الوسطى ، والمعروف ان هذه المناطق بؤر دائمة للزلازل والبراكين .. وعلى العموم فان هذه المناطق الساخنة او القلقة تنتشر حيث تكون الصدوع او الشروخ (انظر الخريطة الدالة على ذلك) .

ارض واحدة وبحر واحد !

والواقع ان الدراسات الكثيرة جدا التى تمت فى الثلاثين عاما الماضية ـ وخاصة ما تم منها فى مجال استكشاف قاع البحار والمحيطات ـ قد أوضحت ان الشروخ او التصدعات الارضية منتشرة اساسا تحت المساحات المائية الهائلة ، وانها تمتد لمسافات تزيد على ٤٠ الف كيلومتر ، ومن هذه الشروخ تنز الارض مصهوراتها فى قاع البحار والمحيطات ، وتحت الماء البارد تتجمد وترتفع وتكون سلسلة من الجبال على جانبى الشرخ ، ثم تندفع مصهورات جديدة فتبرد وتضغط على ما تجمد قبل ذلك وتزيحه جانبا ، وبهذه الازاحة تتحرك







شكل (٨) فى هذه الصور الثلاثة التوضيحية التى جاءت على هيئة مقطع فى كوكب الارض ، تبدو القشرة وقد تصدعت وانقسمت إلى بلاطتين تحركتا شرقا وغربا بفعل ازاحة المصهورات لهما ، ولازالت هذه المصهورات تنز وتتجمد وتدفع البلاطتين حتى الآن ، مكونة سلاسل جبلية هائلة فى قاع المحيط الاطلنطى .. وكلما مر الزمن ، زاد المحيط إتساعا .

البلاطات الملاصقة للشروخ فى الاتجاه العكسى ، فاذا كانت تحمل جزرا او قارات ، فانها تتحرك بدورها مع صفائحها .. ويعنى هذا ان القارات تبتعد او تتقارب .. يتوقف ذلك على اتجاه الازاحة .. فالشرخ الموجود فى قاع البحر الاحمر يزيح صفيحة شبه جزيرة العرب شرقا . كما اسلفنا ، والشرخ الموجود فى وسط المحيط الاطلنطى يزيح الامريكتين غربا ، ويعنى هذا ان المحيط نفسه يزيد اتساعا ، والمحيط الباسيفيكى يزيد ضيقا (نتيجة لحركة الامريكتين تجاهه) .

وتشير الدراسات ايضا ان هذه الاحداث قد بدات منذ حوالى مائتى مليون عام ، وان القارات جميعا كانت كتلة واحدة متجاورة ، ويحيط بها بحر واحد هائل الاتساع .وكان هذا التجمع القارى قريب من المحيط المتجمد الجنوبى ، وهذه الحقيقة نبعت من دراسة الحفريات والصخور وما شابه ، اذ لم تتميز هـــذه الحفريات القديمـــة الى كائنات استوائية او معتدلة ، اى ان المناخ السائد وقتها كان اقرب الى مناخ القطب البارد .. ولقد وجد العلماء آثاراً ودلائل فى الصحراء الكبرى تشير الى ان هذه الصحراء القاحلة كانت مسرحا هائلا للثلوج القطبية التى تركت عليها بصماتها ، لكنها الآن تبعد حوالى ثمانية آلاف ميل عن موطنها ، نتيجة لهجرة صفيحتها (شكل ٧) .

ثم حدثت فى هذه الكتلة الهائلة من اليابسة شروخ فى اتجاهات شتى ، ومن الشروخ اندفعت المصهورات ، فتجمدت ، لتندفع مصهورات جديدة تزيحها وتحل محلها ، وهكذا استمرت العملية ردحا طويلا من الزمان ، اذ بدات كتلة ضخمة منها (امريكا الجنوبية) تبتعد غربا عن كتلة اخرى مجاورة (هى قارة افريقيا) ولهذا يلاحظ انه يمكن وضع حافتى القارتين بجوار بعضهما فيتطابقان إلى حد ما (شكل ٨) ، اى انهما كانتا كتلة واحدة ، ثم انفصلت الى كتلتين ، وكانما انت قد مزقت ورقة الى قطعتين ثم اعدت لصقهما .. وايضا انفصلت امريكا الشمالية عن اوربا ، وانطلقت شبه القارة الهندية من المحيط المتجمد شمالا بمفردها الى ان اصطدمت حافة بلاطتها مع حافة بلاطة اسيا ، ومن الاحتكاك المستمر والطويل بين الحافتين ، وما تبع ذلك من زلازل وبراكين ، ادى التداخل الى تكوين هضبة عالية ، وهى المعروفة الآن باسم هضبة التبت ، والشىء نفسه حدث منذ ملايين السنين عندما اصطدمت حافة البلاطة التى تحمل القارة الافريقية ، بحافة البلاطة التى تحمل قارة اوربا ، فادى الى تكوين سلسلة من الجبال المشهورة بجبال الالب .

الاحداث كثيرة ، والموضوع طـــويل .. ولا يزال العلماء يجمعون الكثير عن تاريخ هذا الكوكب المثير ، ليس ذلك من قبيل تحصيل الحاصل ، ولكن من اجل معرفة تؤدى الى تطبيقات هادفة ، لأن البحار والمحيطات تنز من شروخها ثروات هائلة تنتظر من هو احق بحصادها ، ولا حصاد بغير علم او معرفة سابقة ، لكن ذلك موضوع آخر قد نفرد له دراسة قادمة .

والواقع ان سلاسل الجبال العظيمة والممتدة بدون انقطاع لآلاف الأميال لا توجد على اليابسة ، بل مقرها هناك فى اعماق المحيطات ، حيث تنتشر حول الشروخ ـ الحديث منها قريب من الصدع ، وقديمها بعيد عنه ، او هكذا تشير التحليلات التى اجراها العلماء لتحديد اعمار صخورها ، وهذا يعنى ان الارض تجدد « جلدها » او قشرتها بمرور عشرات الملايين من السنين ، اذ كلما ضعفت القشرة القديمـــة وانهـــارت ، خـــرجت المصهورات الطازجة من الشروخ وتجمدت ، وكأنما الارض تداوى جراحها بطريقتها الخاصة ، فيحل الجديد محل القديم .

واحيانا ما تبرز هذه الجبال البحرية بهاماتها من القيعان ، فتظهر كسلاسل من جزر قد تكون كبيرة او صغيرة (شكل ٩) .. وهى دليلنا على شروخ تنز ، ومصهورات تتجمع ، وجبال تتكون ، وبلاطات تتحرك ، وارض لازالت قلقة ، فترتجف بزلازل تدمر ، وتثور ببراكين تحرق ، وامام هذه الكوارث يقف الانسان عاجزا ، لكنه ـ بعقله المدرك ـ يحاول ان يعرف عن ارضه ما عجزت عن معرفته كل الأجيال السابقة ، عله يتجنب الدمار ، ويثاب من ثروات البحار .. ولكل ما سعى .

دكتور عبد المحسن صالح

شكل (٩) احيانا ما تظهر سلسلة من الجزر لتنتشر فوق سطح المحيط ، وهو ما توضحه الصورة العليا ، اما كيف نشأت ، فذلك ما توضحه الصورة السفلى ، إذ يلقى احد البراكين الموجودة فى قاع المحيط مصهوراته لتتجمد ثم تتكون بعد ذلك من طبقات فوق طبقات ، وقد ترتفع لتظهر على السطح ، او قد تصبح مغمورة ، وسلسلة الجزر ـ الظاهر منها والمغمور ـ يرجع الى حركة احدى البلاطات فى قاع المحيط وكانما هى بمثابة حزام متحرك يحمل معه ما تكون ، وبه يسير بعيداً عن المصدر .



فى محاولة لاسترداد قلعة صلاح الدين بعد قرون طويلة من الاهمال ، يجرى العمل على قدم وساق فى عمليات الترميم

قلعة الجبل..

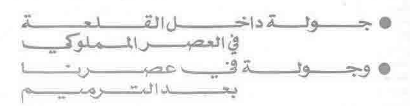
درّة العمارة الحربية الإسلامية

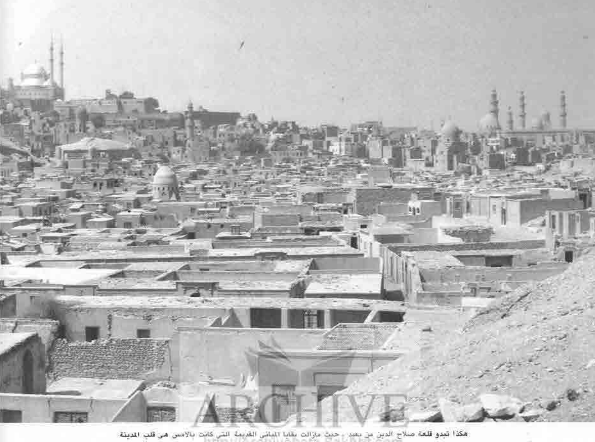
جمال الغيطاني

.. في القاهرة انتهت المرحلة الاولى من ترميم قلعة الجبل ، أو قلعة صلاح الدين الايوبي بانيها الاول ، بعد قرون طويلة من الاهمال ، وعبث ايدي البلى ، تسترد القلعة زمنها الأفل ، وترتدي ثوباً جديداً ، والقلعة من اهم المباني الحربية التي وصلتنا من مصر الاسلامية ، ليست بناء واحداً ، انما يمكن القول انها بمثابة مدينة متكاملة ، الم يقل المؤرخ جلال السيوطي : وحاضرة مصر تشتمل على ثلاث مدن عظام ، الفسطاط وهي بناء عمرو بن العاص ، وهي المسماة عند العامة بمصر القديمة ، والقاهرة بناها جوهر القائد لمولاه الخليفة المعز ، وقلعة الجبل بناها قراقوش للملك الناصر صلاح الدين الايوبي .

في افق القاهرة الشرقي تنهض القلعة ، فوق أحد مرتفعات جبل المقطم ، في موضع كانت تشغله قبة تتسمى بقبة الهواء ، تشرف على القاهرة كلها ، ليس كبناء شامخ انما كرمز للدولة ، وللسلطة ، والقوة ، كان مجرد سقوطها يعني سقوط السلطان الذي يتخذها مقراً لحكمه ، منها كانت تخرج الجيوش ، وركب المحمل الذي يتجه الى الكعبة بالحجاج والكسوة ، تاريخ طويل ، تحتفظ به مبانيها الصلرمة ، الحادة وطرقاتها التي يلفها زمن خاص ، زمن غروبي ، فكأن نهارها وليلها كله كساعة الأصيل ، فالتاريخ هنا قوي ، عريق .

منظر ليلي لقلعة صلاح الدين التي تعتبر من أهم المباني الحربية التي وصلتنا من مصر الاسلامية





هكذا تبدو قلعة صلاح الدين من بعيد ، حيث مازالت بقايا المباني القديمة التي كانت بالامس هي قلب المدينة

بدات فكرتها في رأس صلاح الدين ، فبعد ان ازال قوائم الدولة الفاطمية ، رأى أن يهيء له معقلا يدرأ عنه العواصف ، اقام على عمارتها الأمير قراقوش ، وقد اقتضاه ذلك هدم ما وجده في الموضع من مساجد وازالة القبور ، وتدمير الأهرام الصغيرة التي كانت في الجيزة لاستخدام حجارتها ، بدأ في تشييدها عام ٥٧٢ هـ ـ ١١٧٦ م ، غير انها لم تتخذ مقرا للملك الا في عهد ابن اخيه الملك الكامل ٦٠٤ هـ ـ ١٢٠٧ م ، فهو اول من شيد بها القصور . وهو الذي اقام ابراجها الرئيسية واتخذها مقرا للحكم ، واستمرت كذلك حتى عصر الخديوي اسماعيل في القرن التاسع عشر عندما انتقل الى قصر عابدين ، انشا الملك الكامل الاصطبل السلطاني ، والميدان الذي يقع تحت القلعة ، وابراج الحمام ، يقول المؤرخ ابن الظاهر في كتابه « تمايم الحمايم » ان ابراج الحمام قد بلغ عدتها في عام ٦٨٧ الفا وتسعمائة طائر ، كذلك انشا خزانة الكتب التي احترقت عام ٦٩١ هـ ـ ١٢٩٢ ، ثم اضيفت الى القلعة مباني هامة في عصر السلاطين البحريين (١٢٥٠ هـ ـ ١٣٨٢ م) ولازال يوجد برج الزاوية الذي بناه الظاهر بيبرس في الزاوية البحرية الغربية من السور القديم البحري للقلعة ، ويعلوه الآن الجناح الغربي للمتحف الحربي ، كذلك باب الدرج الذي لايزال موجودا ايضا ، غير ان اهم العمائر في ذلك العصر شيدها الناصر محمد بن قلاوون ، وهو من اقوى سلاطين المماليك البحرية ، اكمل حروب صلاح الدين والظاهر بيبرس ، فادخل الرعب والفزع الى جيوش الصليبيين طوال حياته ، الا ان العمارة والفنون شهدت نهوضا عظيما في عهده ، يعد بحق العصر الذهبي الثاني للقلعة ، ومن منشاته الباقية حتى اليوم ، مسجده ، وقد شملته عملية الترميم الاخيرة والبرج ، وعندما جاءت الحملة الفرنسية الى مصر كانت بعض منشات الناصر لا تزال موجودة ، مثل الايوان ، ومكانه الآن مسجد محمد علي الشهير ، والقصر الابلق وكان قائما في الجهة الغربية من القلعة حيث المكان الواقع على يمين الداخل من البوابة الوسطى للقلعة ، اما منشاته التي اندثرت تماما ولم يبق منها سوى وصف المؤرخين القدامى ، فمنها القصور الجوانية ، والسبع قاعات ومكانها اليوم قصر الجوهرة الذي بناه محمد علي باشا ، وباب النحاس ، وباب القلعة ، يقول المرحوم المؤرخ عبد الرحمن زكي « وقد اندثر هذان البابان بسبب إزالة السور الذي كان فيه البابان المذكوران وقد كانا واقعين على مسافة قريبة خلف باب القلعة الحالي ، ويستفاد مما هو مبين على خريطة القاهرة رسم عام ١٨٠٠ أن هذا الباب كان يسمى باب المدافع ، وفي سنة ١٢٤٢ هـ (١٨٢٦ م) جدد محمد علي باب القلعة الحالي ، وهذه البوابة واقعة بعد البوابة الوسطى على اليسار تجاه الباب البحري الشرقي لجامع الناصر محمد وتوصل إلى ثكنات الحرس سابقا المتحف الحربي » .

انشا الناصر أيضا دار النيابة ، والطباق ، اي ثكنات الجند ، ولم تكن هذه الطباق دورا فوق بعضها ، بل كانت قاعات متجاورة لكل جماعة طباق خاص ، وموقعها الآن الحوش الذي به المتحف الحربي وجامع سارية . وانشا كذلك الطبلخاناه،

والحوش الكبير ، والاسطبلات ، ومكانها الآن مجموعة المباني التى كان الجيش المصري يستخدمها كمخازن لسلاح المهمات وكذلك الميدان ، وقد جدد السلطان الغوري هذا الميدان ، ومكانه الآن ميدان صلاح الدين ، ومن اهم أعمال الناصر قناطر المياه أو سور مجرى العيون ، والذي كان الهدف منه امداد القلعة بالمياه ، واستمرت اعمال البناء فى عصر سلاطين الجراكسة ، والذي انتهى بالغزو العثماني لمصر عام ١٥١٧ م .

ترى . كيف كان يبدو شكل القلعة فى عصرها الزاهى فى القرون الوسطى : ان ما تركه لنا المقريزي والقلقشندي يتيح لنا ان نرسم صورة متكاملة لمقر السلطنة ، فلنبدأ الرحلة إلى قلعة سلاطين المماليك . .

العصر الذهبي المملوكي

الزمن : القرن الخامس عشر ، ذروة العصر المملوكى ، القاهرة من اكبر عواصم الدنيا ، تموج بالحركة والنشاط . لكى نصل إلى القلعة يجب أن نسلك طريق الدرب الأحمر ، فاذا عبرنا حي التبانة انقسم إلى فرعين ، الأول يؤدي إلى ميدان الرميلة (صلاح الدين الآن) حيث مدرسة السلطان حسن فى مواجهة باب السلسلة . وإذ نجتازه تطالعنا اسطبلات السلطان ، والمقعد المعد للاستقبال المطل على الميدان مباشرة ، إلى اليمين سجن « الحرافة » الذى كان معداً للشخصيات الهامة . إذا تطلعنا إلى اعلى سنرى مدرجات بديعة ومنشآت جميلة ، جدرانها مبنية بالحجارة الصفراء والسوداء بالتبادل ، ولهذا سمي بالقصر الأبلق ، إلى جواره برج شيد فى عام ٧١٣ هـ ـ ١٣١٣ م . نستمر فى الصعود ، حيث توجد عدة مساكن إلى اليسار ، ومسجد بناه الملك المؤيد ، والى اليمين باب السر المخصص للسلطان ، أو لمن يعرف كلمة السر ، يؤدي هذا الباب الى شرفة كبيرة شيدعليها الايوان ، أي المقعد الكبير المخصص للاستقبالات السلطانية .

نوالى الصعود ، لنرى مبانى الطبلخاناه التى تحولت أيام بيبرس الى قاعة العدل للنظر فى شئون الرعية ، ثم نرتقى سلما متعدد الدرج اسمه سلم المدرج بنى ايام الظاهر بيبرس ، يؤدي الى أسوار مرتفعة ، ولكنها ليست الأسوار الأصلية ، ها نحن داخل برج مربع يؤدي الى الداخل ، هنا تقابلنا لوحة كتب عليها تاريخ انشاء القلعة عام ٥٧٩ هـ . لقد وصلنا الى داخل النطاق العسكري فى القلعة ، فى المواجه ميدان فسيح تحيطه المخازن والمساكن التى يشغلها المماليك ، وفى نهايته برج كبير منعزل ، انه برج القلعة الذي بناه الظاهر بيبرس .

إذا صعدنا فوق السور شاهدنا القاهرة كلها منبسطة امامنا بمساجدها ومآذنها وقبابها ، الى اليمين تلال المقطم ، فى نهاية السور من الناحية الجنوبية الشرقية ، نرى برجاً ينتهي عنده سور صلاح الدين حيث باب القرافة الذي يطل على الصحراء ، ثم نمضي الى باب سارية ، ولابد اولا أن نمر بباب البرج والذي يفصل بين النطاق العسكري للقلعة ، والنطاق السلطانى ، هنا مساكن كبار رجال الدولة ، يواجه باب القلعة الجامع الذي بناه السلطان الناصر محمد بن قلاوون بمئذنتيه المكسوتين بالقاشانى الاخضر ، جنوب شرق الجامع يقع بئر يوسف . يتصل المسجد بقصر السلطان من ناحيته الجنوبية ، اما الواجهة الغربية فتطل على الميدان الكبير للايوان ، هذا الايوان الذي يمتاز بمقعده الكبير الذي تغطيه قبة يكسوها الخزف الأخضر .

فى مواجهة المسجد والايوان ، وباب القلعة ميدان فسيح يحتشد فيه الجنـود ورجال الحاشية والاتباع فى ملابسهم الفضفاضة ، عليهم اسلحتهم البيضاء ودروعهم المستديرة . لا يوجد هنا ما يحجب القصور عن المدينة ، فكلها مشيدة على ربوة تتالف من ارصفة يعلو بعضها بعضا والأفق منبسط حتى ليمكننا رؤية اهرامات الجيزة ... القصر الأبلق يلفت النظر بجماله . فى ركنه برج هائل اسمه الخرجاء تتصل به عدة قاعات تفضي الى قصر آخر مقام على نفس الطراز . الى اسفل وبمحاذاة سور القلعـة الأصلى تمتد الاسطبلات ، وهنا درج له أبواب يستخدمه السلطان فى النزول الى الاسطبل دون أن يراه احـد .

قصر الاستقبالات نجـده فى الجهـة الجنوبية الغربية ، الى الشرق يقوم قصر الحريم السلطانى ، ويصله بالقصـر السلطانى باب النحاس ، ويتصل بالمسجد بواسطة باب الستارة . على جانبى القصر اقيمت القاعات الضخمة والتى شيد منها الناصر محمد سبعا وقد عرفت بالسبع

احد الذين يقومون بتجديد نقوش القلعة وتثبيت الوان الزخارف التى كادت أن تندثر

بعض العمال يقومون بترميم احد مداخل القلعة .. ان المرحلة الاولى من عملية الترميم تمت كلها بخبرة عربية

قاعات ، احداها تسمى بقاعة الفضة ، وبالقرب قاعة البيسرية التى شيدها السلطان حسن ، وأينما تولت العين ترى الحدائق الغناء والتى تغذيها مياه النيل. اخر ما نراه دار الضيافة المجاورة للقلعة حيث خصصت لنزول ملـــوك الأجـــانب وســفراؤهم .

نصل الى خاتمة رحلتنا فى قلعة العصور الوسطى ، قلعة الزمن المملوكى ، لقد كان الغزو العثمانى لمصر بمثابة الليل الطويل لهذه القلعة ، جاء السلطان سليم العثمانى ، وامتدت أيدي جنوده تنتزع رخامها ، واعمدتها ، ونقوشها وتحفها ، كان جنوده ينزعون ابوابها الخشبية المنقوشة المطعمة ويتخذون منها وقوداً للنيران . وبدات القلعة تفقد مكانتها نتيجة لاهمال الولاة الاتراك ، وكان هذا امراً طبيعيا الم تكن القلعة رمزاً للسلطة وللدولة ، وعندما كانت مصر مستقلة قوية تبسط حمايتها على مناطق عديدة ، كانت القلعة فى ذروة مجدها ، وعندما اصبحت مصر ولاية تابعة للاستانة تدهور الحال بالقلعة حتى ان الرحالة الاوروبى سافاري وصفها عندما زار مصر عام ١٧٧٧ . اذ قال :

« انها لا تتالف الا من مجموعة خرائب وانقاض كانت تلوح عليها علائم الحزن ولم يتبق منها سوى بعض اماكن قليلة صالحة للسـكنى .. »

غير أن عصراً ذهبيا ثالثا كان يلوح عن قرب ، وهذا العصر يرتبط أيضا بقوة الدولـــة فعندما جـــاء محمد على باشـــا بعد خروج الفرنسيين واصبح واليا لمصر ، بدات الحيوية تدب فى القلعة ، أصلح أسوارها ، واحيا ابراجها وابوابها وشيد فيها ثكنات الجند ، ودواوين الحكم ، ومصانع الذخيرة ، ومدارس الجيش ، وقصوراً للسكنى ، كما بدأ فى بناء مسجد ، انشا قصر الجوهرة ، ودار المحفوظات ، وقصر الحرم ، والقلعة التى وصلت الى عصرنا الحالى تحمل فى معظمها ملامح عصر محمد علي ، فى عصر الخديوي اسماعيل انتقل للاقامة فى قصــر عابدين بقلب القاهرة ، والغريب انه عندما احتل الانجليز مصر أدركوا اهمية القلعة وما تمثله من رمز للقوة ، فاتخذها قائد الجيش الانجليزي المحتل مقراً لاقامته ، ومنذ هذا العصر بدا تدهور جديد يحل بالقلعة بلغ ذروته فى السنوات القليلة الماضية ، حتى ان قبة مسجد محمد علي كانت قد تشققت والت الى السقوط ، وكانت هناك عدة خطط للترميم ، بعضها يرى الاستعانة بالخبراء الأجانب ، واقتضى ذلك توفير امكانيات مادية ضخمة ، احد بيوت الخبرة الايطالية طلب خمسة ملايين دولار مقابل اعداد دراسة فقط عن اعمال الترميم ، غير أن العالم الأثري الدكتور احمد قدري رئيس هيئة الآثار المصرية قرر اقتحام القلعة بجهد مصري خالص . وبدات اعمال الترميم فى مارس الماضي ، واستمرت حتى نهاية يوليو . وعلى امتداد هذه الشهور الخمسة تم انجاز المرحلة الأولى من الترميم . ويمكن القول ان العصر الذهبي للقلعة قد بدأ الآن . فكيف تبدو الصورة إذا ما توجهنا لزيارتهـا .

الثــــوب الجـــديد

لن ندخل من باب الغرب المطل على ميدان صلاح الدين ، بل سنتجه الى الباب الخلفى ، « باب الجبل » الذي يقع فى قلب أسوار القلعة الشمالية المحاذية لطريق صلاح سالم ها هى اسوار القلعة الضخمة نرى برج مستدير هائل قطره ٢٤ متراً وارتفاعه ٢٥ متراً ، يسمى ببرج المقطم ينتمى الى العصر العثمانى ، ثم نرى ثلاثة ابراج اخرى ، برج الصفة ، وبرج كركيالان وبرج الطرفة ، وبرج المبلط ، وعدة ابراج اخرى ضخمة الاحجام ، لقد تم ترميم الاحجار المتاكلة وتقوية الاساسات للاسوار والابراج ، وترميم الشقوق والانهيارات ، واستكمال العناصر المعمارية الناقصة ، وتم ترميم واستبدال احجار جزء من الأسوار المطلة على ميدان صلاح الدين ، لقـد استخدمت كمية ضخمة من الاحجار فى هذه الأعمال مقدارها ٥٠٠٠ خمسة الاف متر مكعب من الحجر الجيري ، كذلك تسوية الميول الامامية للصخور والرمال امام أسوار القلعة وابراجها المطلة على طريق صلاح سالم ، ثم ازاحة خمسين الف متر مكعب من الاتربة بهدف افساح مجالات الرؤية الجماليــة .

نجتاز باب الجبل الذي تم ترميمــه واعداده اعداداً خاصاً إذ اصبح المدخل الرئيسي الآن ، الى يسار الداخل تقع منطقة حفريات جديدة تم انجازها خلال الشهور الاخيرة واثناء عمليات الترميم ، وتم اكتشاف جزء من سور بني فى عهد الملك الكامل ، ولم يكن معروفاً من قبل . الى اليسار ايضاً تقع دار الضرب ، ودار العدل ومتحف قصر الضيافة ، وقصر الجوهرة الذي اعد للزيارة العامة ، والطريق الى القصر يمر بسطح مكشوف يقع فى اعلى نقطة بالقلعة ، سوره يطل مباشرة على القاهرة باكملها ، تبدو المبانى معلقة فى الزمن ، نتذكر ما كتبه كازانوفا صاحب المؤلف الشهير فى وصف القلعة :

« هذه الصور والاماكن والمناظر التي ترى من هذا المكان بالقلعة تهز مشاعر اكثر الناس بروداً ، وتدفع بالفيلسوف الى بحر التامل ، وتبعث النشوة فى روح الفنان ، بل تدفع أبعد الناس عن الاحساس بالجمال الى عالم من الاحلام والتاملات .. »

ثلاث قاعات رئيسية بقصر الجوهرة أعدت للزيارة ، قاعة الاستقبال ، وقاعة

الكوشة حيث نرى الكوشة التي جلس فيها الملك السابق فاروق يوم زواجه من الملكة ناريمان ، اما قاعة الكسوة المجاورة فيها قطع من كسوة الكعبة التى كانت تصنع فى مصر حتى بداية الستينيات ، وفى ارجاء القصر تتوزع اعداد كبيرة من التحف التى كانت تملكها اسرة محمد علي ، اطباق ، ونرجيلات ، واسلحة ، وساعات اثرية ، ونموذج من الصدف للمسجد الاقصى .

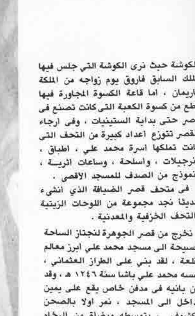
فى متحف قصر الضيافة الذي انشىء حديثا نجد مجموعة من اللوحات الزيتية والتحف الخزفية والمعدنية .

نخرج من قصر الجوهرة لنجتاز الساحة الفسيحة الى مسجد محمد علي ابرز معالم القلعة ، لقد بني على الطراز العثماني ، اسسه محمد علي باشا سنة ١٢٤٦ هـ ، وقد دفن بانيه فى مدفن خاص يقع على يمين الداخل الى المسجد ، نمر اولا بالصحن المكشوف ، يتوسطه ميضاة من الرخام فوقها قبة خشبية عليها زخارف نباتية بارزة ، ويحيط بالصحن اربعة بوائك لها سقوف من قباب صغيرة ، فى الجهة الغربية يوجد برج الساعة وهو من النحاس المخرم . اهداه لويس فيليب ملك فرنسا الى محمد علي باشا عام ١٢٦١ هـ ـ ١٨٤٥ م .

وقد اصلحت الساعة وعادت دقاتها ذات الرنين تتردد فى المكان لتذكرنا بالأبدية .

ترتفع مئذنتي المسجد ٨٤ مترا من ارض المسجد ، وقد كان من المثير رؤية شباب العاملين فى الترميم وهم يعرضون انفسهم للخطر بتسلق هذه المآذن والقباب لتكسيتها بالرصاص ، لقد تم تنظيف الواجهات والمآذن ، والقباب ، وترميم الرخام ، وتركيب رصاص القباب وتثبيت الألوان وتركيب ارضيات من الحجر حول المسجد مساحتها ٣٠٠٠ متر مربع ، وترميم سجاد المسجد بالكامل .

نخرج من مسجد محمد علي ، يهبط مستوى الارض قليلا ، نتجه الى مسجد السلطان محمد بن قلاوون ، واجهات المسجد من الخارج بسيطة ، حادة القسمات تنسجم مع الطابع العام لمباني القلعة ، ولكن داخل المسجد يفيض رقة وجمالا ، يتكون من صحن مكشوف تحيطه اربعة ايوانات اكبرها ايوان القبلة ، جدرانه من الداخل مغطاة بالرخام الرقيق ، له مئذنتين تغطي قمة كل منهما القاشاني الاخضر ، لقد تم تنظيف وترميم واجهات المسجد ، وبلاط ارضيته ، واعداد اضاءة خاصة ، مع وضع مشكاوات مملوكية الطراز ، تقوية الأساسات وتغيير الاحجار المتآكلة ، وترميم قاشاني المآذن الاخضر والسجاد ،



اثناء القيام بعمليات الترميم على ارتفاعات شاهقة

وازالة آثار التلوث الجوي من جدران المسجد .

نمر ببئر يوسف الذي حفره صلاح الدين الايوبى لامداد القلعة بالمياه العذبة فى حالة الحصار ، نجتاز باب القلعة ، فى المواجهة مبنى المتحف الحربى بحديقته الأنيقة . نتجه الى الشرق حيث بعض المباني التى كان يتمركز فيها الجيش المصري ، وفى هذا المكان كانت توجد ثكنات المماليك ، نجتاز بوابة قديمة . ننفذ منها الى ساحة فسيحة يمكن القول انه اعيد انشاؤها من جديد خلال عمليات الترميم الأخيرة ، ها هى الحديقة الاثرية ، مساحتها ٩٠٠٠ متر تتوزع فيها الاعمدة الأثرية والتيجان والأزيار من العصور المملوكية والعثمانية ولوحات تذكارية تاريخية وجميعها كانت فى مخازن الهيئة العامة للآثار .

فى المواجهة متحف الركائب الملكية ، وقد انشىء حديثا ايضاً ، ويضم عدداً من العربات الملكية من عصر اسماعيل وحتى عصر فاروق . وعلى امتداد جدار المتحف نرى لوحة ضخمة تمثل افتتاح قناة السويس .

فى الجهة المقابلة انشىء مركز ترميم الآثار ، وقد اعد ليخدم اعمال الترميم المعماري والاثري ، وكذلك لترميم المرممين الجدد ، ثم نرى مركزاً جديداً لتسجيل الآثار الاسلامية .

اخر ما نزوره . مسجد سليمان باشا . او مسجد سارية الجبل ، وهو مسجد صغير جميل ، كان قائما قبل انشاء القلعة . شيده الأمير المرتضى ابو منصور قسطة الآمري عام ٥٣٥ هـ ـ ١١٤١ م . ثم جدده سليمان باشا الخادم فى سنة ٩٣٥ هـ ـ ١٥٢٨ م ، وعند تجديده اضيفت الى عناصره المعمارية عناصر عثمانية ، ينقسم الى قسمين . الشرقي المعد للصلاة وتغطيه قبة كبيرة يحيط بها انصاف قباب نقشت من الداخل بنقوش دقيقة ملونة وكتب بها آيات من القرآن بخطوط متنوعة ، والقباب مكسوة من الخارج بقاشانى اخضر ، وقد تم تقوية اساسات المسجد ، وتغيير الأحجار المتآكلة ، وتركيب القاشاني الاخضر على القباب والمئذنة ، وترميم وتنظيف التركيبات الرخامية والخشبية بالمسجد والصحن والضريح والمقابر الملحقة به وترميم المنبر وحك احجار الأسوار والمئذنة وازالة طبقات السناج المتراكمة .

تنتهي زيارتنا للقلعة ، ويبقى أن نعرف العديد من الخطوات التى تمت فى اطار المرحلة الأولى من الترميم ، مثل تغيير شبكات الاضاءة ، وانشاء العديد من دورات المياه الجديدة ، والكافتيريات ، ومواقف للسيارات ، بحيث تتحول القلعة الى متحف حي مسكون ، لقد تكلفت المرحلة الأولى مليونا جنيه مصرى فقط . وتمت كلها بخبرة عربية خالصة ، وكان الجهد مكثفا ورائعا بحيث يمكن القول بحق ، انه تم استرداد قلعة صلاح الدين من ايدى البلى والاهمال .

جمال الغيطاني

الدب صياد ماهر ، ولكل دب طريقته فى الصيد

عجائب المخلوقات في أرض الله :



عندما تلهو الدببة في مياه النهر!

بقلم : حسام جميل مدانات

يشهد نهر « ماك نايل » فى الاسكا فى صيف كل عام ، اكبر حشد للدببة البنية . وقد شهد صيف العام الماضى اكبر تجمع لها منذ خمسة عشر عاماً . وحتى لا يذهب بك الخيال بعيداً ، فان اكبر تجمع هنا لا يعني اكثر من بضعة عشرات من الدببة ، فالمعروف عن الدببة انها لا تتجمع ابداً .

وخلال عشرة اشهر ، يعيش الدب البنى معيشة إنفرادية . ونادراً ما يختلط مع الدببة الأخرى . اما فى الصيف فانها تتجمع فى اماكن معينة ، واهمها نهر « ماك نايل » ، حيث تاخذ فى صيد سمك السلمون الموجود بوفرة فى مياه النهر .

ويصطاد الدب ما معدله ست أسماك سلمون فى اليوم ، ولكن بعضها ، وخاصة الاقوى او الاشد جوعاً ، يستطيع اصطياد ثلاثة اسماك فى الساعة . ويحتاج الدب كميات ضخمة من الطعام ليقاوم البرد القارس وليخزن الغذاء فى جسمه لفصل الشتاء .

ونلاحظ ان الدببة تتبع طرقاً مختلفة لاصطياد ضحيتها من سمك السلمون . ولكنها بشكل عام تتخذ لها مواقعاً على الضفاف حيث لا يزيد عمق الماء عن متر واحد . ويصيد بعضها بضرب السمكة باحدى قدميه . محاولا رميها خارج الماء نحو الشاطىء . والبعض الاخر يرمي بنفسه على السمكة التى تجد نفسها تحت كتلة ضخمة معتمة لا تجد منها مهرباً ، حيث يقتلها الدب سريعاً . بينما ينقض البعض على السمكة محاولا التقاطها بفكيه ثم يضع الدب ضحيته على الأرض ويبدا التهامها من جهة الراس .

إن سبب تجمع الدببة البنية فى هذه المنطقة من النهر ، يعود إلى وجود سلسلة من الصخور التى تشكل مياها صغيرة ومجارى ماء سريعة . وهذه تشكل عوائق فى طريق سمك السلمون الذى يحاول السباحة بعكس اتجاه جريان النهر . مما يسهل على الدببة صيدها فى هذه المنطقة .. وفى بعض اجزاء النهر فى هذا الموضع ، يقل عمق الماء إلى أقل من ٣٠ سنتيمتراً أحياناً ، مما يشكل ايضاً عائقاً فى طريق سمك السلمون ، وهذا يسهل القضاء على معظم أسماك السلمون ، ولا يسمح إلا لنسبة صغيرة منها بالعبور لكى تتناسل فى أعلى النهر وتكمل دورة حياتها .

لقد اكتشف هذا الموقع عام ١٩٥٠ م ، وهو يقع فى جنوبى الاسكا فى الجزء الشمالى من امريكا الشمالية . وقد تبنت جامعة « اوتا » منذ عام ١٩٦٣ م ، برنامج

سمك السلمون يشكل وجبة شهية للدب البنى ومخزونا غذائيا ضروريا للشتاء المقبل



صراع بين الذكور على مناطق الصيد . وتشهد جراحها عادة على ضراوة هذا الصراع

دراسات حيوية واجتماعية على الدببة فى هذا الموقع . ثم فتح المجال للزوار فى فصل الصيف ليراقبوا ويصوروا هذه المشاهد الرائعة لتجمعات الدببة .

ولكن كثرة الناس ادت إلى حصول حوادث خطرة ، فرغم ان الدب حيوان مسالم لا يعتدى على الانسان ، إلا انه إذا اثير أو شعر بالخوف ، وخاصة خوف الانثى على صغارها ، فانه يصبح خطراً ويهاجم من يثيره .

وكانت النتيجة ان قوانين صارمة وضعت موضع التطبيق منذ عام ١٩٧٣ م ، وبموجبها لا يسمح لاكثر من عشرة اشخاص بزيارة الموقع فى اليوم ، وذلك خلال شهر اب ، ويتم اختيار من يسمح لهم بالزيارة من بين الطلبات العديدة عن طريق القرعة !

رغم تسمية الدب البنى بهذا الاسم ، فان لونه قد يكون مائلا للصفرة أو بنيا داكنا اقرب للسواد . وقد يصل طول دب الاسكا البنى إلى ٧ر٢ مترا ، بينما لا يتعدى طول نوع اخر هو دب الشمس . المتر الواحد

ويبدو الدب عادة اكبر من حجمه الحقيقى بسبب كثافة فرائه . عيناه صغيرتان ولا يرى جيداً . واذناه صغيرتان ايضا ، اما حاسة الشم عنده فهى قوية .

قوائم الدب قوية ، وضربة من احد القوائم الامامية للدب الرمادى السريع الحركة ، تكفى لقتل الانسان ، ولاقدامه خمسة اصابع بها مخالب بارزة ، واقدامه كبيرة قد يصل طولها إلى ٤٠ سنتيمترا فى بعض الانواع ويسير الدب ببطء عامة ، ولكنه قد يركض بسرعة تصل إلى ٤٠ كيلومترا فى الساعة ، وذلك ليمسك بطريدته . ويمكنه ان يسبح بسرعة من ٦ ـ ١٠ كيلومتر فى الساعة !

حياة الدب

يعيش الدب بين ١٥ ـ ٣٠ سنة ، ولكنه قد يعيش حتى ٤٠ سنة فى حدائق الحيوان . والدب يعيش عادة منفرداً . ويعيش الذكر والانثى معا لفترة قد تصل الشهر ، ثم يتركها الذكر لتهتم هى بايجاد ملجا لها ولاطفالها فى المستقبل . وعندما تتجمع الدببة فانه يلاحظ نوع من التسلسل الاجتماعى عندها ، فالافراد الاقوى تحتل مواقع الصيد الاوفر بقرب مساقط المياه .

وهناك ظاهرة غريبة بالنسبة لمواليد



الماء ضروري للدب البني لصيد غذائه من السمك وللاستحمام لتنظيف فرائه

عندما تلهو الدببة في مياه النهر!

الدببة ، فرغم ضخامة الدب البنى البالغ (يصل إلى ٥٠٠ كغم واحيانا حتى ٦٥٠ كغم ، والانثى حتى ٣٠٠ كيلوغرام) ، فان المولود لا يزن اكثر من نصف كيلوغرام ٥٠٠ غرام ، اى اقل من خمس وزن مولود الانسان . وترضع الانثى وليدها مدة اربعة اشهر ، بينما تبلغ فترة الحمل بين سبعة وتسعة اشهر حسب النوع .

والانثى تحمل ما بين واحد واربعة اجنة لكنها غالبا تحمل اثنين . والدب الوليد يكون مغمض العينين وليس له فراء . وتفتح العينان بعد شهر من الولادة ، وعندها يكون الجسم قد تغطى بفـــراء سميك ناعم . وتلد الانثى فى فصل الشتاء اثناء البيات الشتوى ، وفى الخريف التالى يكون وزن وليدها قد بلغ حوالى ٢٠ كيلوغرام ، ولكنه يبقى مع امه ما بين عام إلى عامين حيث تعلمه كيف يصـــــيد طعامه .

وتمضى معظم انواع الدببة فصل الشتاء فى مرحلة السبات او النوم ، وتكون قد تناولت كميات ضخمة من الطعام استعداداً لفصل الشتاء . وفى الحقيقة فان نوم الدب شتاء ليس « سباتا شتويا » بالمعنى المعروف للكلمة مثل ما تقوم بـــه الافاعى والسناجيب ، والتى تنخفض درجة حرارتها اثناء ذلك . وقد يصحو الدب وينتقل اثناء بعض الايام الدافئـــة فى الشتاء .

والدب حيوان مفترس يتغذى على اللحم ، ولكنه ايضا ياكل انواعا اخرى من الطعام . إنه يصيد الجرذان والسنجاب والأسماك . كما يفضل تناول بيض الطيور واليرقات والنمل . وقد ياكل الفاكهة والبذور والاوراق وجذور النباتات . والمشهور عن الدب تعلقه بالعسل ، وهو يهاجم خلايا النحل ، ويحميه فراؤه السميك من لدغات النحل .

أنواع الدببة

تعيش معظم انواع الدببة شمال خط الاســـتواء : فى اسيا وأوربا وامريكـا الشمالية وقرب القطب الشمالى . وهناك نوع واحد يعيش فى امريكا الجنوبيـــة . ولا توجد دببة برية فى افريقيا او استراليا أو القارة المتجمدة الجنوبية .

وهناك سبعة أنواع من الدببة فى العالم وترتيبها فيما يلى حسب حجمها :

● الدب البني : وهو اكبر الدببة حجما وقد يصل وزنه إلى ٦٨٠ كيلو غراما ، وطوله إلى ٢ر٧ مترا (دب الاسكا البني) وبالاضافة إلى امريكا الشمالية ، فانـــه يعيش ايضا فى اوربا واسيا . وينتمي لهذا النوع « الدب الرمادى » ، وفروه بني ، ولكنه يحتوى على شعرات بيضاء تعطيه مظهراً رماديا .

● الدب القطبي : طوله ٦٥ر٢ متراً ، ويعتبر من امهر الدببة فى السباحة . وعنقه اطول منه فى الانواع الاخرى . فراؤه ابيض مائل للصفرة . ويصطاد الأسكيمو هذا الدب حيث ياكلون لحمه ويستفيدون من فرائه ومن عظامه لعمل اواني المنزل .

● الدب الأمريكى الأسود : يصل طوله إلى ٥ر١ متراً ، ويزن بين ٩٠ ــ ١٤٠ كيلوغراما . ولكنه قد يزن حتى ٢٣٠ كيلوغراما . ويوجد من هذا النوع حوالى (٧٥٠٠٠) دب فى المنتزهات القومية فى امريكا . ولكن بعض الولايات تسمح بصيده فى فصول معينة ، حيث يقتل منه حوالي (٢٥٠٠٠) سنويا .

● الدب الأسيوي الأسود : ويسمى احيانا دب هملايا ، وقد يصل طوله إلى (٥ر١) متراً ، ويزن حتى ١٢٠ كيلوغراما ويعتبر اكثر الدببة ضراوة ، وهو يهاجم المواشي ، وحتى الانسان ايضا .

● الدب الكسلان

ويتحرك ببطء ، إلا إذا اثير . طوله ٥ر١ متراً ويزن ١١٥ كيلوغراما . وهو مغرم بالعسل ، لذا يسمى احيانا دب العسل . ويعيش فى الهند وسيلان .

● الدب المنظر

سمى بهذا الاسم لانه توجد حول عينيه بقع بيضاء تشبه النظارات . وهو الوحيد الذى يعيش فى امريكا الجنوبية . طوله ٥ر١ متراً . وقد يصل وزنه إلى ١٤٠ كيلوغراماً . وهو مهدد بالانقراض نتيجة كثرة صيده .

● دب الشمس

ويسمى ايضا دب الملايو ، طوله ٩٠ سنتيمترا ، ويز بين ٢٥ ــ ٤٥ كيلوغراما . لونه غالبا اسود . ويصيد علاة فى الليل . وهو يعيش فى جنوب شرق اسيا !

حسام جميل مدانات ـ الأردن

المصـــادر

(1) Le Figaro Magazine 18 Dec. 1982

(2) The World Book Encyclopedia

الفن التشكيلي في الخليج :

من الغوص في البحار.. إلى الغوص في أعماق الشخصية والتراث

بقلم : يوسف أحمد



لوحة من التراث الشعبي للفنان القطري جاسم زيني .. اللوحة بعنوان : « ليلة الحنة » .

لاشك ان الفنان التشكيلي الخليجي قد لعب دوراً هاماً خلال السنوات الماضية من اجل الغوص إلى أعماق الشخصية الخليجية وابراز فنونها الاصيلة ، تمشياً مع النهضة الحضارية في مختلف مجالات الحياة الاقتصادية والعلمية والأدبية .

وقد قام الفنان التشكيلي بهذا الدور من خلال مؤسسات الدولة او المؤسسات الأهلية ، التي قدمت له كل الرعاية ، متمثلة في الكليات المتخصصة التي فتحت ابوابها لكل راغب في الدراسة الاكاديمية ، والمراسم التي استقبلت العديد من الهواة والمحترفين ، والجمعيات الأهلية التي قام الفنانون بانشائها بدعم من قبل وزارات الاعلام الخليجية لدفع حركة الفن التشكيلي في المنطقة إلى الامام ، والبعثات التي التحق افرادها باهم كليات الفنون في دول العالم ، والمعارض المتعددة التي أصبحت زاخرة بلوحات مرتبطة بتراث المنطقة الفني والمدارس الفنية الحديثة بكل ابعادها وبكل ما تثيره من قضايا وتساؤلات !

وهذه الدراسة ما هي إلا محاولة لالقاء الضوء على الحركة الفنية التشكيلية في دول الخليج العربية :



وجه خليجى .. للفنانة القطرية وفيقة سلطان

زى شعبى .. للفنان القطرى سلمان المالكى

الفنانون السعوديون

إن حركة الفنون التشكيلية فى المملكة العربية السعودية اصبحت من ضمن المعالم الثقافية البارزة التى تزهو بها البلاد ، حيث تتولى رعايتها الرئاسة العامة لرعاية الشباب ، فهى التى تقوم بوضع الخطط السنوية لرصد الحركـــة التشكيلية على المستوى المحلي والخارجى

وتتضمن حركة الفنون التشكيلية للملكة سلسلة من المعارض المركزية المفتوحة ، والتى تجمع اكبر حشد من الفنانين من جميع مناطق المملكة

وانطلاقا من العمل على خروج حركة الفنون التشكيلية السعودية من المحلية الى العالمية ، ولتعريف شعوب العالم عليها فى كل مكان ، فقد اقيمت عدة معارض خـــارج المملكة ، ، وقد حقق الفن التشكيلى السعودى اعلى مستوياته فى المعرض السابع والمعرض الثامن للفنانين التشكيليين العرب بالكويت ، وحاز على جائزتىالمعرضين وهى الشراع الذهبى للفنون التشكيلية ، كما حصـــل بعض الفنانين السعوديين على شهادات تقدير بجانب جائزتي الشراع :

وقد برز من خلال حركة الفنـــــون التشكيلية بالسعودية مجموعة كبيرة من الفنانين مثل الفنان الرائد محمد السليم ويمتاز أسلوب السليم بوحدات زخرفية بها نكهة الخط العربى موضوعة فى قالب صحراوى

وهناك الفنان السريالى عبد الحميـد البقشي الذى اتخذ اشكاله من بيوت المنطقة الشرقية مع نخيلها ووضعها فى قالب سريالى

ومن ابرز الفنانين ايضا عبد الحليم الرضوى الذى يعتبر رائدا ويمتاز اسلوبه بالانطباعية ، فهو يحاول ان يوظف اللون ودسامته فى مساحات كبيرة

ولاننسى هنا الفنان بكرشيخون الذى يعتمد على المعمار فى منطقة الحجاز اساساً فى تكوينات لوحاته

وهناك العديد من الفنانين والفنانات مثل على الريزيزاءاحمد قلبان ، خالد الصبان ، عبد الله الزايد ، سعود العيدي ، ضياء عزيز ، صفية بنت زقر ومنيرة الموصلى ، وبدر بن ناصر ابراهيم ، وغيرهم ..

الحركة الفنية فى الكويت

وإذا ما انتقلنا إلى الحركة الفنيـــة بالكويت ، لاتضح لنا انها مقرونة بتاريخ إنشاء المرسم الحر الذى تاسس عام ١٩٦٠ وذلك بعد ان تنبهت وزارة التربية والتعليم إلى ان لديها الكم الكبير من المواهب الشابة التى لا يمكن أن تثمر إلا بوجود المكان المخصص لرعاية هذه المواهب

وفى عام ١٩٧٢ تحولت مسئولية المرسم الحر الكويتى من وزارة التربية الى وزارة الاعلام

واصبح فنانو المرسم الحر الكويتى هم طليعة الفنانين الكويتيين !

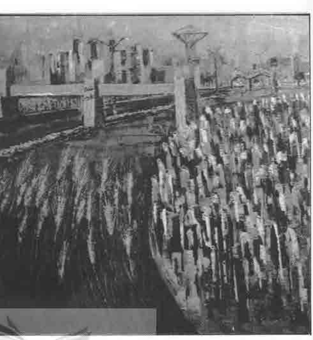
وقد كان لانشاء الجمعية الكويتية للفنون التشكيلية دوراً ريادياً اخر على الساحة الفنية فى دولة الكويت ،

ومن اشهر فنانى دولة الكويت :

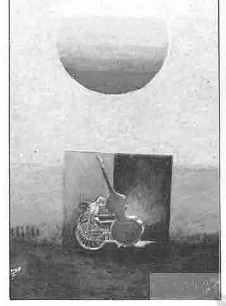
● خليفة القطان : ويعتبر رائداً فى مدرسة السير كلزم والتى تعتمد على مردود اللون نفسياً

● المرحوم محمد الدمخى : فنان تاثيرى اهتم بالبيئة الكويتية سواء الصحراوية او فيما يتعلق بالنشاط البحري ، توفى فى القاهرة عام ١٩٦٨ اثناء دراسته ، ويعتبر من أقوى الفنانين الكويتيين الذين سجلوا البيئة القديمة .

● النحات سامي محمد : أحد الموهوبين




منظر من الرياض للفنان السعودى محمد موسى السليم


تفوق .. للفنان العماني عبد الله سعيد الرياحي

الذين رعاهم المرسم الحر ، واتجاهاته الفنية حديثة وبخاصة تطرقه لمعاناة إنسان العصر الحديث .

● النحات عيسى صقر : نحات استخدم الخامات المهملة وجعل منها اعمالا ناطقة

● عبد الرسول سلمان : فنان سريالي مر بمراحل متعددة منها الشريطية واستخدام الحرف العربى وايضا اشكال المراكب الكويتية حتى طاف باشكال اثواب النشل المختلفة .

● أيوب حسين : فنان فطرى له انتاج غزير فى موضوعات البيئة الكويتية ، وله عدة مؤلفات عن الالعـــاب والامثـلة الشعبية .

● جاسم بوحمد : نحات ومصور يستخدم الموضوعات المعـــاصرة

● خزعل عوض : نحات من المرسـم الحر الكويتى اتجه اخيرا لاستخدام الادوات البيئية فى أعماله وادخالها فى مكبس خاص واخراجها بشكل فني .

● محمود الرضوان : منح اخيرا التفرغ ، ويستخدم الموضوعات التى تمس المداخل القديمةواشكال البيوت الكويتية ذات الطراز الاسلامى الجميل .

● عبد الله سالم : فنان يستخدم اشكال الخيم البدوية ويصنعها بلون الطين الاحمر مع وحدات قديمة بدوية .

● عبد الله القصار : ذو اسلوب فريد فى معالجة اللون والفكرة ، وقد استخدم الخرافات والحكايات الشعبية فى اسلوبه السريالى .

وهناك الكثير من الفنانين الكويتيين الذين اضافوا الى الحركة التشكيلية الحديثة فى الكويت مثل : امير عبد الرضا ـ عبد الحميد اسماعيل ، جعفر دشتى ـ خالد القعود ـ ابراهيم اسماعيل ـ محمد الشيخ ـ عبد الله مرزوق ، وغيرهم ..

الفنانون فى قطر

وقد ظهرت بواكير الحركة التشكيلية فى قطر مع دخول مادة التربية الفنية ضمن المنهج الدراسي التربوى لوزارة التربية والتعليم ، وكان من ضمن نشاطات هذه المادة اقامة المعارض التى اتاحت الفرصة للموهوبين للبروز فى اظهار انتاجهم وادى ذلك إلى تنبه المسئولين بالوزارة لهذه المواهب فانشأت جماعات للتربية الفنية تتوفر فيها كافة متطلبات الفنان الموهوب ، وجعلت من اهدافها إتاحة الفرصة للموهوبين للمشاركة فى المعارض المدرسية وارسالها للخارج .

وعندما بدأت تنضج هذه الحركة تولى نادى الجسرة الثقافى الإجتماعى عام ١٩٧٦ مسئولية جمع شمل الفنانين الموهوبين ، خاصة وقد كان الأستاذ الرائد جاسم زيني عضواً ادارياً فى النادى بالاضافة الى انه موجه تربوي فى وزارة التربية والتعليم ، فاستطاع ان يجمع الكثير من المواهب حوله واعطائهم دروساً فى اللون والخط والمساحة الى ان برز منهم الكثير ممن استطاعوا ان يدرسوا الفن التشكيلى على اصوله وقواعده الاكاديمية مثل حسن الملا ، ومحمد علي ، وسلمان المالكى ، ومحمد الكـــوارى ، وسـيف الكوارى ، وماجـــد المسـلمانى ، ويوســف احمـــد ، وغـــيرهم

وفي الذكرى الاولى لتولي حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد ال ثانى مقاليد الحكم فى البلاد ، اقيم معرض شامل بين الفنانين القطريين والاخـــوة العرب المدرسين ، ويعتبر هذا المعرض الانطلاقة الحقيقة الأولى للفن التشكيلي القطرى المعاصر ، فقد تبعه معرض اخر فى عام ١٩٧٦ بمتحف قطر الوطنى وكان خاصا بالقطريين ، ثم عدة معارض اخرى .

وفى عام ١٩٧٦ انشئت ادارة الثقافة والفنون ، كما انشىء قسم خاص يرعى الفنون التشكيلية والمعارض ، وقد وضع هذا القسم على عاتقه النهوض بالحركة التشكيلية محليا وعالميا ، باتاحة الفرصة



من الفن الشعبي .. لفنان البحرين حسين قاسم السني

الكاملة أمام الفنانين القطريين لاقامة معارضهم الخاصة بالدوحة ، والاشتراك فى المعارض العربية مثل معارض الاتحاد العام للفنانين التشكيليين العرب ، واستطاع الفنانون القطريون فى معظم هذه المعارض الحصول على الشهادات التقديرية .

كما قام القسم بانشاء المرسم الحر القطرى واتيحت الفرصة لكل موهوب لمزاولة عمله فيه ، كما اتيحت ايضا الفرصة للفتاة القطرية للكشف عن مواهبها وحبها للفن التشكيلي .

وقد اقيمت عدة معارض للممارسين ، واقيمت الدورات الفنية لدعم منهاج المرسم الحر مثل دورة فى الخط العربى احياها الفنان الأمريكي المسلم محمد زكريا .

وشاركت دولة قطر فى عدة مؤتمرات ولقاءات فنية مثل ملتقى الفنانين العرب والافارقة فى الحمامات بتونس عام ١٩٧٧ ، ومؤتمرات الاتحاد العام للفنانين التشكيليين العرب وغيرها من اللقاءات ، ونتج عن ذلك أن اصدرت حكومة قطر موافقتها على انشاء جمعية خاصة بالفنون التشكيلية ترعى مصالح الفنانين التشكيليين في قطر ، وتقوي مستواهم فيما يخص الذوق العام فهى تقوم على أهداف سامية تحمى الفنان وانتاجه .

ولقد قامت الجمعية (رغم قصر عمرها) بعمل ثلاثة معارض كبيرة شهد الجمهور لها بالنجاح ، وهى تعد الآن لاصدار نشرة خاصة بالفنون التشكيلية واصدار كتاب بالالوان يتضمن رصد الحركة التشكيلية فى قطر ، كما تقوم بعمل موسم كامل للمعارض والمحاضرات ، وأيضاً هناك فى قطر بعض التجارب الفريدة من نوعها على ارض الخليج الدافئة ، وهى تجربة معارض الهواء الطلق الذى كان يشرف عليها الاصدقاء الثلاثة : يوسف احمد ، حسن الملا ، محمد على ، وكانت من سياسة هذه المعارض توسيع رقعة المتذوقين للفن فى قطر من خلال عرض اعمالهم على الرصيف وفى الاندية الرياضية والاماكن العامة التى يرتادها الناس بكثرة .

وكذلك اقام عدد من الفنانين التشكيليين القطريين معارض خاصة لهم في نيويورك ولندن وواشنطن والعديد من بلدان العالم ومن أشهر الفنانين القطريين :

- الفنان الرائد جاسم زيني وأسلوبه يعتمد على « الموتيفات » مع استخدام التجريد والعناصر الشعبية .
- محمد على : فنان يعتمد على اللون بدرجة كبيرة ويستخدم الموضوعات الشعبية البدوية .
- يوسف احمد : ينطلق من خلال نظرية البعد الواحد ومدى استخدام الحرف العربى لتحقيق هذه النظرية .
- حسن الملا : تاثيرى يستخدم الموضوعات الانسانية فى أعماله يغلب على الوانه الاتجاه للون البنى والأصفر
- سلمان المالكي : يتجه الى الأسلوب التاثيرى ، مع اعطاء ابعاد لفكرته يحاول ابرازها باستخدام الالوان الساخنة ، وله تجارب كثيرة فى الرسوم الصحفية .
- يوسف الشريف : واقعى تسجيلى وموضوعاته بيئية صرفة .

وهناك العديد من الفنانين القطريين مثل علي الشريف ، ومحمد الجيدة ، وعيسي الغانم ، وسلطان السليطى وسلطان الغانم ، ووفيقة سلطان ، وغيرهم

الفنانون فى سلطنة عمان

نقطة بداية الفن التشكيلى العمانى الحديث ، هى افتتاح المرسم العمانى للفنون التشكيلية الذى تشرف عليه المديرية العامة لشئون الشباب ، وتدعمه بكل الامكانيات اللازمة لاستمراره ،

والمرسم الآن يضم حوالى ٢٥ رساماً من الجنسين اغلبهم من هواة الفن التشكيلى وقد اقامت المديرية العامة لرعاية الشباب العديد من المعارض الداخلية والخارجية لرسومهم وأعمالهم الفنية

وتنظم المديرية العامة لرعاية الشباب بمناسبة يوم الشباب العمانى مهرجانا كبيراً للفنون التشكيلية لكافة فنانى دول مجلس التعاون ..

ومن اشهر فناني سلطنة عمان :

- انور خميس سونيا : يعتمد اسلوبه على السريالية الى حد كبير وتتميز الوانه الزرقاء بشفافيتها لكي تصل الى اللامنتهى .
- خميس ناصر الحيثى : فنان واقعي تغلب عليه البيئة العمانية الخصبة وبخاصة صور فتياته فى لوحاته بازيائهن العمانية المعروفة ، وهناك ايضا الفنانة رابحة محمود والفنان عبد الله سعيد الرياحي .

الحركة التشكيلية فى الامارات

بدأت بوادر ظهور الموهوبين فى المدارس الحكومية ضمن حصص التربية الفنية ، وتبع ذلك اتجاه عدد من الفنانين إلى الدراسة الأكاديمية لنيل مزيد من الخبرات الفنية ، فاتجهت افواج إلى اكاديمية الفنون الجميلة فى بغداد وكلية الفنون الجميلة بالقاهرة ، وعاد هؤلاء لتبدا الدولة فى التفكير جدياً فى انشاء جمعية خاصة بالفنون التشكيلية مقرها امارة الشارقة ، واخذت الجمعية فى السير قدما بتقديم كافة التسهيلات اللازمة لانعاش الحركة التشكيلية الحديثة باقامتها لعدد من

المعارض المحلية والخارجية لفناني الدولة من المواطنين والفنانين الأجانب ، وكان آخر مظاهرة فنية اقامتها الجمعية هي احتضانها لاجتماع الامانة العامة للفنانين التشكيليين العرب والذي عقد في الشارقة عام ١٩٨١ .

ومن أشهر فناني دولة الامارات :

● محمد يوسف : فنان مسرحي وتشكيلي ، خريج كلية الفنون الجميلة بالقاهرة عام ١٩٧٦ قسم النحت ، يتميز أسلوبه باعتماده على البيئة المحلية كاستخدامه لاشكال القواقع واشكال الملابس المحلية

● محمد مندي : خريج مدرسة تحسين الخطوط بالقاهرة ، يعتمد اسلوبه على التبسيط فى المعالجة اللونيـــــة والموضوعية

● سالم جوهر : خريج اكاديمية الفنون الجميلة ببغداد قسم السيراميك ، يعتمد على اضافة قيمة فنية على قطعه وسلخها من المفهوم العام لفن السيراميك

● عصام شريده : فنان له ممارسات واسعة فى الكتابة الصحفية واطلاعات كبيرة لانتاج الفنانين التشكيليين العرب وبخاصة استخدام الحرف العربى وتظرية البعد الواحد .

● عبد القادر الريس : فنان يعتبر من افضل فنانى الامارات فى استخدام اللون البيئي فى لوحاته

وهناك ايضا العديد من الفنانين الآخرين مثل : محمد القصاب ، حمد السويدي ، ابراهيم مصطفى ، محمد خيري ، حسن شريف ، احمد الانصارى ..



قلعة .. لفنان الامارات : حمد السويدى

احلام .. لفنان الكويت عبد الرسول سلمان

الفن فى البحرين

وترتبط الحركة التشكيلية الحديثة فى البحرين بالتعليم النظامى ، حيث افتتحت أول مدرسة تعليمية عام ١٩١٩ ، وكانت البدايـــة فى حصص الرســـم التى تنمى فيها المواهب المتعددة .

وفى الخمسينات بدات المعـــــارض المدرسية تخرج لنا بفنانين امثال المرحوم الشيخ عبد العزيز بن محمد ال خليفـــة وزير التربية والتعليم السابق والفنان كريم العريض وغيرهم ، ولقد اثر هؤلاء الرواد على الحركة التشكيلية المعاصرة حيث اتاحوا لتلاميذهم كافة سبل الابداع حيث التحق بعض التلاميذ فيما بعد بالاكاديميات فى القاهرة وبغداد للدراسة والبحث .

وفى عام ١٩٧٠ تاسست اول جمعية فى البحرين للفن التشكيلى تحت عنوان (جمعية الفن المعاصر) . التى اتخـــذت من نادى البحرين فى المحرق مقرا لها فى بداية تكوينها ، وبدات الجمعية فى الاشتراك بنشاطات واسعة على المستوى المحلى والخليجى والعربى والعالمى .

ونظرا للكم الهائل فى عدد الفنانين التشكيليين البحرينيين ، ونظرا لوصول هذا الشعب العريق الى منزلة رفيعة فى الفن ، فقد انشئت مؤخرا جمعية اخرى هى الجمعية البحرينية للفنون التشكيلية ، واقامت اول معرض لها فى السنة الماضية ، وهي تضـم عددا كبيرا من الفنـــانين الشباب .

ومن اشهر فنانى البحرين :

● كريم العريض : يعتبر من الرواد الأوائل في البحرين يختـــار اسلوبـــه التاثيري ذا اللمسات العريضة من خلال استخدامه لمواضيع بيئية فى البحرين .

● راشد العريض : فنان رائد له عدة مؤلفات فى شكل العمارة البحرينية والالعاب الشعبية ، صاحب أول صالة عرض فى البحرين ، يمتاز اسلوبه بايمانه بالفن الدلمونى القديم وتقديمه فى شكل معاصر .

● ناصر اليوسف : مواليد مدينة المحرق تاثر باشكال البيوت والأقواس الاسلامية البحرينية وطوعها فى اعماله الفنية .

● احمد العريض : فنان خريج كلية الفنون الجميلة بالقاهرة عمل عدة ديكورات لمسرحيات مختلفة أسلوبه يتجه الى فن البوستر له عدة تجارب فى النحت الميدانى

● عبد الله المحرقي: فنان تسجيلي اهتم بالحياة اليومية البحرينية وقدمها باسلوب واقعي بسيط

● عبد الكريم البوسطة : فنان يغلب عليه الأسلوب التاثيري والوحشي فى معالجة لوحاته البيئية .

● اسحق الخنجي : نحات له تجارب مع خامات الطين والخشب ويعتبر من النحاتين البحرينيين القلائل

● يوسف قاسم : فنان متعدد الجوانب أسلوبه يتميز بالصدق الكامل وبخاصة عندما يعالج شخصياته الخليجية

وهناك الكثير من الفنانين البحرينين المرموقين منهم : حسين قاسم السني ، عباس المحروس ، احمد قاسم السني ، احمد باقر ، محمد خميس ، عبد الرحيم شريف ، محمود اليماني ، احمد نشابه ، عزيز زبارى . منا حي مرزوق، راشد خليفة آل خليفة ، حليم كروف وغيرهم .

وهكذا نرى ان منطقة الخليج بها تجارب فنية استطاعت أن تشد لها الأنظار .. فهى تجارب أصيلة ، عبرت عن الفنان الخليجى – رغم تنوع دراساته – فى صــــــدق وموضوعية

بقى شىء واحد وجب على الفنان فى الخليج التنبه له وهو وجود اتحاد يضم كافة فنانى دول مجلس التعاون والبدء فى اعمال فنية كبيرة مشتركة وإقامة ندوة كبرى ثقافية ، تضم فنانوا الدول الخليجية والعربية

يوسف أحمد

البحث عن موسيقى الألوان في لوحات فنان

"الحصان الأبيض".. و"المذبحة".. والفن في المنفى



الفنان التشكيلي الفلسطيني عبد الهادي شلا امام احدى لوحاته

أجرى الحوار: محمد يوسف

لوحة زيتية بعنوان « البشارة » رسمها الفنان عام ١٩٨٣

الفنان التشكيلي عبد الهادي شلا ، واحد من الفنانين التشكيليين الذين يقيمون توازنا ملموسا بين طرفي معادلة الفن والالتزام . ومن هذا المنطق فانه لا يهدر نقطة الترافع في قضيته وراء قناع التشبث بالمعايير الفنية والجمالية .

وفي هذا الحوار يدور الحديث حول عدة مرتكزات جوهرية تتعلق بقضايا الفن والالتزام التي من بينها مكونات الرؤية التشكيلية ، ومدى نجاح الفنانين التشكيليين في المنفى وخروج المقاومة الفلسطينية من لبنان وانعكاس ذلك على الرؤية التشكيلية ، وغير ذلك من القضايا الهامة التي تمثل مرتكزات جوهرية في حياة هذا الفنان الذي يتعامل باستمرار مع احداث وطنه وشعبه .

● البدايات ، والمكونات الاولى .. كيف يمكن أن تصطادها من الذاكرة بشيء من التفصيل ؟

– إن اول الميل ، اذا اردت ان تقطعه كمسافة ، خطوة . وعادة ما تكون الخطوة الأولى اصعب الخطوات حيث يجب أن نقرر اين نضع اقدامنا . وفي الفن



صبرا .. شاتيلا .. لوحة زيتية عبرت عن الحدث الرهيب ساعة وقوعه

التشكيلى تكون البدايات احتياجا لصقل موهبة تبشر بوادرها بالخير .

بالنسبة لى ، كانت البداية مع تخرجى من كلية الفنون الجميلة بالقاهرة ، ففى هذه المرحلة احببت المدرسة التاثيرية ومارست من خلالها بعض طموحاتى الفنيه الاولى .. إلا اننى كنت مدركا ان على الفنان ان يطور نفسه فكريا وتطبيقيا ، وان يحدد لنفسة موقفا من هاتين المسالتين الجوهريتين : الفكر والتطبيق بالنسبة للرؤية الفنية . وهكذا اصبحت ابحث بشكل دائم ، فى الأساليب الفنية المتعددة التى تميزت بها الحركة التشكيلية العالمية فى القرن العشرين ، واستطعت ان اجرب الكثير من الخامات ، واحقق التالف بينها فى «فترات» تجريبية بهدف الوصول الى اسلوب مميز اجسد من خلاله طموحاتى الفنية ، واعبر عن القضايا المصيرية التى تواجه امتى ، إضافة الى معايشة قضية شعبى بصورة خاصة .

اكاشفك اننى ، على المستوى الذاتى الخاص ، كبر داخلى شعورى بالغربة والحنين الى وطنى ، وتضخم الاحساس بالرهبة من المجهول الذى ، يتراءى ولايتراءى لى ، عندما يناور ويقامر «اشرار» الجنس البشرى لتدمير الحياة والانسان بهذه الألة الجهنمية التى اسمها الحرب .

ازدواجية الصراع الحضارى

من جانب اخر ، فان الكرة الارضية اصبحت مهددة بالفناء والدمار بفعل تقدم العلوم والمخترعات ، وبدلا من ان يستخدم الانسان منجزات العلم والحضارة لبناء الحياة والحضارة اخذ يستخدمها لتقويض الحياة والحضارة . من هنا فان ازدواجية الصراع الحضارى كانت تشغل حيزا كبيرا من تفكيرى ، واصبح العنصر الانسانى شغلى وشاغلى فى التعبير عما هو عام من خلال خصوصيتى الفلسطينية .

كان التعامل مع العنصر الانسانى امتداداً طبيعيا لانتمائى للمدرسة التاثيرية مع ملاحظة ان المعالجة ، مع مرور الوقت ، اتجهت الى التعبيرية حتى تستطيع التقاط ايقاع إنسان عصرنا المضطرب ، وتصاعد الخوف من المجهول ، فكانت موضوعات الموت .. الميلاد .. الشهيد .. المراة او الرجل المنتفخ البطن رمزاً لالام ، مع تركيز شديد على تقنية العمل الفنى وعلاقة الالوان «التكنولوجية» ببعضها البعض ، ولعب توزيع الضوء فى اللوحة على الكتل البشرية ، دوراً تشكيلياً دون التقيد بمصدر ثابت له ، ومن ثم فان تساقط الضوء على الكتلة او الجسم فى اللوحة يحدث ضمن توافق «فنى» لايجاد نغمة «تشكيلية» متوازنة داخل اللوحة ، وهكذا اكتسبت الكتلة صفة النحت الذى يعطى معنى الصلابة والقوة للعنصر الانسانى ليتحدى بها قهر الزمن واضطرابه .

وانا اعتبر هذا التحول فى رؤيتى التشكيلية هو المرحلة الأولى الجادة بالنسبة لمسيرتى الفنية ، والتى تمتد من عام ١٩٧١ الى عام ١٩٧٧ .

● كيف تعاملت مع قضية «الالتزام» خاصة وان رؤيتك الفنية التشكيلية كان يرافقها نمو فى الوعى والذهنية ؟

البحث عن موسيقى الألوان في لوحات فنان

ـ فى اطار المرحلة التشكيلية الاولى ، كان من الضرورى أن اعبر ـ بادراك اكثر ـ عن الواقع الذى تعرفت عليه وعايشته ، وكان يوازى هذا الخط خط اخر يتمثل فى ايمانى بالتزام الفنان بقضيتين اساسيتين : اولهما الواجب القومى تجاه مجتمعه ، وتقديم امكاناته الفنية لخدمته ، وثانيهما : تاكيد الدور الحضارى للفنان ، وإظهار ان العمل الفنى ليس إعلانا تجاريا ينتهى مفعوله بانتهاء مرحلته الزمنية ، بل على العكس فانه يجسد «كيانية» فنية تحقق هدفاً جماهيرياً وقتيا ، وكذلك يكون مرحلة او «جزءاً» من الارث الفنى الذى تتابعه الأجيال دراسة وتطويراً .



« الصرخة » .. لوحة من المرحلة التعبيرية فى حياة الفنان (١٩٧١ ـ ١٩٧٧) .

● هل كانت هناك ثمة علاقة بين مفهوم الالتزام ، ومفهوم التطور فى الرؤية فى تجربتك ؟

ـ لقد مثل انتقالى من المرحلة الاولى التى ارتبطت بالتشكيل الواقعى والتعبيرى الى المرحلة الثانية ، وهى المرحلة التى كنت انزع فيهـــا الى تحقيق قيم تشكيلية معاصرة تستمد قيمتها من المواقف المتعددة التى تحدد مسارات مجتمعنا .. لقد مثل هذا الانتقال ضرورة من ضرورات الالتزام بشقيه ، إلا ان هذا الانتقال تخللته تجربة فنيه خاصة فيما يختص بعناصر السجاد اليدوى (وهو بعيد عن العناصر التى استخدمها فى التعبير عن القضايا الانسانية) وتطويع عناصره الزخرفية . وكانت نتيجة هذه التجربة تغير طبيعة اللون فى اعمالى التالية ، وكانت بداية تعاملى مع اللون الأبيض كلون له خاصية ، أو بعبارة اخرى ادخال اللون الأبيض الى داخل الدائرة اللونية ، (المعروف ان اللونين الأبيض والأسود يعتبران خارج الدائرة اللونية) ، وكانت تجربتى مع اللون الأبيض «تجربة اتيليه» ، كما نقول فى الوسط التشكيلى ، اوصلتنى الى مرحلة فنية جديدة هى المرحلة البيضاء الأولى.

المرحلة البيضاء

● المرحلة البيضاء (الأولى والثانية) .. ارتبطت بما تطلق عليه «درامية اللون الأبيض» .. كيف تضىء هذه النقطة للقارىء العادى ؟

ـ تميزت المرحلة البيضاء الأولى بتغيير يكاد يكون كاملا لخصائص العناصر التشكيلية أو القيم اللونية التى كنت اعبر عنها ، وظهر رمز جديد ، فى لوحاتى



«المنقذ والغريق» .. لوحة من المرحلة البيضاء الاولى (١٩٧٨) حازت على الميدالية الذهبية فى المعرض العام الحادى عشر للجمعية الكويتية للفنون التشكيلية .

التشكيلية ، هو الحصان الخشبى ، (رمز الوسيلة المعطلة الخصائص) . فى هذه المرحلة تحقق نوع من التوازن بين تطورى إبداعياً وتشكيلياً ، وبين طموحى فى تقديم ماأتطلع اليه للمجتمع من حيث رؤيتى للأحداث اليومية والتعامل معها فنياً ، وكان مايشغلنى هو أن أقدم الجديد (على المستوى التكنيكى) الذى يشبع طموحات الجماهير دون الوقوع فى مصيدة المزاجية الجماهيرية إذا جاز التعبير ، وأصبح هاجسى أن اقدم للجماهير انجازاً تشكيلياً يرتقى بمستوى وعيها بالقيم الفنية التشكيلية فى إطار الفكرة البسيطة الكبيرة المغزى .

ولما كانت أعمالى ـ منذ البداية ـ تعبيراً عن القضية الانسانية العامة ، مع اقتطاع مفردات رؤيتى التشكيلية من خصوصيتى الفلسطينية ، فان الاحساس الذى لايزال يلازمنى يتعلق بوجوب خلق التوازن ،

ـ بالنسبة لى كفنان عربى فلسطينى ـ بين الابداع والالتزام لتحقيق دورى الحضارى وخدمة قضيتى والحفاظ على التراث الفنى من الاندثار ، ومن هنا طرات تغييرات على العنصر الانسانى فى المرحلة البيضاء الثانية حيث لم يعد الشكل كتلة او جسما يتساقط عليه الضوء فى «الجو الابيض» بل اصبح للكتلة تردد داخلى ، وذبذبة وإيقاع دائم من خلال الشكل الذى يفسره «تردد الالوان» على مساحة اللوحة . وهكذا تشعر بالموسيقى اللونية ، والاهتزازة النغمية للحن الشرقى داخل اللوحة .

الريشة والبندقية

● القضية الفلسطينية .. هل نجح الفنانون التشكيليون فى تجسيدها فى المنفى ؟

ـ فى اعتقادى أن الفنان التشكيلى لم يقصر فى تجسيد القضية فى المنفى بدليل أن المعارض لم تنقطع منذ تبلور الهيكل العام للحركة التشكيلية الفلسطينية ونجاحها عربياً ودولياً .

لقد سجل الفنان التشكيلى مظاهر الاضطهاد الأولى للشعب الفلسطينى حيث تحول الى شعب من اللاجئين مع عدم إغفال عنصر الامل فى العودة الى الوطن ، ومع استمرار تماسك وصمود الشعب الفلسطينى فى المنفى كان الفنان التشكيلى



لوحة عبرت عن الأبطال الذين واجهوا الموت دون ان يستديروا للحائط اثناء الغزو الاسرائيلي للبنان .



الفلسطيني يعبر عن مراحل صموده ، وتجلى تجسيده للواقع الجديد مع ميلاد الثورة الفلسطينية ، وكانت الريشة ترافق البندقية لتخليد الشهداء وتمجيد الثوار .

وعلى سبيل الاختصار يمكن القول إن مراحل تطور القضية الفلسطينية سياسيا لعبت دوراً مباشراً فى تطور الحركة التشكيلية الفلسطينية .

وقد عمل الفنان التشكيلى الفلسطينى على تاكيد حضوره فى جميع المحافل الفنية من مؤتمرات وندوات ومعارض واستطاع الوصول الى عضوية الرابطة العالمية للفنون التشكيلية .

وكان لتوزع الفنانين الفلسطينيين ، فى المنفى ، فى كثير من البلدان دور فى إثراء الحركة التشكيلية الفلسطينية وتطورها ، وذلك راجع لتنوع مصادر اكتساب الخبرات الفنية . كذلك تجسد دور الفنان التشكيلى الفلسطينى فى المحافظة على التراث الشعبى الفلسطينى ، فى جميع مظاهره ، من الاندثار ، وبشكل خاص بعد محاولات العدو الصهيونى المتكررة إكسابه الصفة اليهودية ، وتكثيف الادعاء بانه تراث يهودى .

الحصان وكوفية الفدائى

● خروج المقاومة الفلسطينية من لبنان .. كيف إنعكس على رؤيتك التشكيلية ؟

ــ لقد كنت اتابع احـــداث الغـــزو الاسرائيلى للبنان عبر وسائل الاعلام (الصحافة والاذاعة والتليفزيون) ، وفى غمرة الاحداث كنت ابدا فى تخطيط العمل الفنى عن طريق رسومات (ارسمها بالقلم الرصاص) او رسومات ملونة (اسكتشات) وفى اليوم التالى كنت ارى مشـــاهد اكثر فظاعة للجريمة الصهيونية فاندفع فى التعبير عنهـــا بمجموعـــة رســـومات واسكتشات اجسد بها بشاعة الغزو الصهيونى .

فى اللوحة التى رسمتها عن خروج المقاومة الفلسطينية من لبنان رمزت للمقاومة بحصان أبيض قوى ، فحل .. يندفع بقوة وثبات نحو الافق متلفعا بكوفية الفدائى ، لقد كنت اريد التعبير عن ان الثورة قد خرجت عفية ، قوية دون أن تستظل بالرايات البيضاء ، بل انها خرجت لتتجدد وتواصل النضال ، وفى أسفل اللوحة بقايا من أشلاء الأجسام البشرية وحطام البيوت المهدمة .

اما عن لوحة «المذبحة» فقد أسقطت فيها مشاعرى الغاضبة بعد ان هزتنى تفاصيل مذبحة «صبرا وشاتيلا» ، هذه المذبحة التى فاقت ، بشاعة وفظاعة ودموية ، كل تصور بشرى ، تناثرت فى لوحة «المذبحة» شظايا وبقايا اجساد .. ايد وارجل .. أشلاء اطفال ونساء .. وعيون تحدق فينا ، نحن الذين وقفنا دون حراك فاغرى الافواه من هول الجريمة ، وكان عيونهم التى تغمض جفونها تنظر الينا لتثبت لنا ان شهداء صبرا وشاتيلا واجهوا الموت دون ان يستديروا للحائط ...

وشعرت أن اللوحة لم تستطع أن توف المذبحة حقها من الناحية الفنية كجزء من تاريخ شعبنا المنكوب ، فكانت اللوحة الضخمة «صبرا .. شاتيلا ٨٢» ، والتى استغرق العمل فى انجازها شهرين بصفة مستمرة ، ودون الانشغال عنها بلوحات اخرى .

عبرت فى هذه اللوحة ، عن لحظة وقوع الحدث كما تصورته ، وجسدت الحركة البشرية فيها مشاعر اللوعة والرعب والاغتصاب والقتل والدمار .

اما آخر لوحاتى فانها تتناول ماساة المعتقلين فى معسكر «انصار» .

إننى اغالب الدهشة والمرارة معاً وانا اتساءل : لماذا لم يفكر اى تجمع خاص بالفن التشكيلى باقامة معرض عن الغزو الاسرائيلى للبنان ، ومذبحة صبرا وشاتيلا حتى الآن ؟؟ ..

وانا اطرح هذا التساؤل ، المقترن بالدهشة والمرارة خاصة بعد مرور الذكرى الأولى للمذبحة ...

إن مسالة اقامة هذا المعرض لاتقتصر على اتحاد الفنانين الفلسطينيين التشكيليين إنها مسؤولية كل التجمعات الفنية التشكيلية العربية ، وفى إمكان هذا المعرض التجول فى معظم انحاء العالم تاكيد وتجسيد دور الفن التشكيلى فى خدمة القضية الفلسطينية ، بشكل خاص ، والقضية الانسانية بصورة عامة .

محمد يوسف ــ الكويت



بسم الله الرحمن الرحيم
مجلس التعاون لدول الخليج العربية
لا إله إلا الله محمد رسول الله
جزء خاص :
الدورة الرابعة
للمجلس الأعلى
لمجلس التعاون
لدول الخليج
العربيّة
صفر
١٤٠٤ هـ
نوفمبر
١٩٨٣ م
سلمان
من وحي لقاء الدوحة .. بريشة الفنان القطري : سلمان المالكي



مجلس التعاون لدول الخليج العربية
تكوينه واجتماعاته وأهم إنجازاته

قادة دول مجلس التعاون الخليجى فى الدورة الاولى التى عقدت فى دولة الامارات العربية المتحدة فى ٢١ رجب ١٤٠١ هجرية الموافق ٢٥ مايو ١٩٨١ ميلادية .

يعتبر مجلس التعاون لدول الخليج العربية نموذجاً رائداً فى إطار المجموعات العربية والافريقية ، ومجسداً لفكرة التجمعات الاقليمية المتجانسة التى تسهم فعلياً فى تحقيق الوحدة الحقيقية بين الدول الاعضاء ، فهو التنظيم الدولى القومى الذى أقامته دول الخليج العربية بارادتها واقتناعاً منها باهميته فى تحقيق الامن الذاتى للمنطقة ، وفى تحقيق التنمية الاقتصادية الشاملة لدول المنطقة .



قادة دول مجلس التعاون الخليجى فى الدورة الثالثة التى عقدت فى دولة البحرين فى ٢٣ محرم ١٤٠٣ هجرية الموافق ٩ نوفمبر ١٩٨٢ ميلادية .

وبمناسبة انعقاد الدورة الرابعة للمجلس الاعلى لمجلس التعاون لدول الخليج العربية فى مدينة الدوحة بدولة قطر فى السابع من شهر نوفمبر الجارى ، نستعرض فيما يلى موجزا لخطوات تكوين مجلس التعاون ، واهم اجتماعاته وانجازاته :

اولا : الاعداد للمؤتمر التاسيسي لمجلس التعاون :

● اعلان ٤ فبراير ١٩٨١

بتاريخ ٤ فبراير ١٩٨١ عقد فى الرياض بالمملكة العربية السعودية مؤتمر ضم وزراء خارجية دول الخليج العربية الست وهى : دولة الامارات العربية المتحدة ـ دولة البحرين ـ المملكة العربية السعودية ـ سلطنة عمان ـ دولة قطر ـ دولة الكويت »
واسفر الاجتماع عن بيان تلاه سمو الامير سعود الفيصل وزير الخارجية بالمملكة العربية السعودية اعلن فيه أن دول الخليج الست سوف تكون فيما بينها مجلساً للتعاون تكون له امانة عامة ، ويعقد اجتماعات دورية .

وقرر وزراء الخارجية عقد اجتماع اخر لهم فى مسقط بتاريخ ٨ مارس ١٩٨١ على أن تسبقه اجتماعات للخبراء لوضع نظام متكامل لما اتفق عليه .

● اجتماعات مسقط :

بتاريخ ٩ مارس ١٩٨١ عقد وزراء خارجية الدول الخليجية الست اجتماعات فى مسقط بسلطنة عمان ، وتمت فيهـا الموافقة على الهيكل التنظيمى لمجلس التعاون ، وعلى وضع النظام الاساسى له ، كما تم التوقيع بالأحرف الأولى على ذلك النظام ، وتحدد يوم ٢٥ مايو ١٩٨١ موعداً لاجتماع المجلس الأعلى لمجلس التعاون فى ابى ظبى بدولة الامارات العربية المتحدة .

ثانياً : اللقاء الأول للمجلس الأعلى لمجلس التعاون

يعتبر هذا الاجتماع المؤتمر التاسيسى لمجلس التعاون ، حيث عقد فى ابى ظبى فى الفترة من ٢٥ ـ ٢٧ مايو ١٩٨١ اجتماعا حضره اصحاب الجلالة والسمو قادة دول مجلس التعاون ، وشارك فيه السيد الشاذلى القليبى الأمين العام لجامعة الدول العربية والسيد الحبيب الشطى امين عام منظمة المؤتمر الاسلامى .



افتتاح جلسات الدورة الثالثة للمجلس الاعلى لمجلس التعاون لدول الخليج العربية والتى عقدت فى دولة البحرين .



الدورة الثانية للمجلس الاعلى لمجلس التعاون الخليجى التى عقدت فى الرياض يوم ١٤ محرم ١٤٠٢ هجرية الموافق ١٠ نوفمبر ١٩٨١ .

وصدق المؤتمر على النظام الاساسى لمجلس التعاون ، وعلى اختيار السيد عبد الله يعقوب بشارة اول امين عام لمجلس التعاون ، كما وافق المؤتمر على تشكيل هيئة تسوية المنازعات ، والنظام الداخلى لكل من المجلس الاعلى والمجلس الوزارى ، وعلى تشكيل خمس لجان تعمل من اجل تعزيز التعاون بين الدول الاعضاء فى الشئون المالية والاقتصادية والتجارية والصناعيـــة والخدمات الاجتماعية والثقافية .

وقد ركز البيان الختامى الذى صدر عن اجتماعات المجلس الاعلى ـ على ان امن منطقة الخليج العربية واستقرارها يقع على مسئولية شعوب دولها .

وأشار البيان الى ضرورة إبعاد المنطقة باكملها عن الصراعات الدولية ، ونوه الى أن ضمان الاستقرار فى الخليج مرتبط بتحقيق السلام فى الشرق الأوسط ، واكد على ضرورة حل القضية الفلسطينية حلا عادلا وأيد الجهود المبذولة لوقف الحرب العراقية الايرانية .

ثالثا : الدورة الثانية للمجلس الأعلى :

تلبية لدعوة المغفور له الملك خالـد بن عبد العزيز عقد فى الرياض بالمملكـة العربية السعودية الدورة الثانية للمجلس الاعلى لمجلس التعاون وذلك خلال الفترة من ١٤ ـ ١٥ محرم ١٤٠٢ هـ (١٠ ـ ١١

نوفمبر ١٩٨١ وبحضور اصحاب الجلالة والسمو قادة دول مجلس التعاون .

وقد اكد المجلس على مايلى :

الجانب السياسى

١ ـ اعلن المجلس ان امن الخليج العربى واستقراره هما من مسئولية دوله وأعرب عن معارضته لمحاولات الدول الكبرى للتدخل فى شئون المنطقة .

٢ ـ طلب المجلس من المملكة العربية السعودية ادراج مبادىء السلام التى اعلنتها المملكة بشان الحل العادل للقضية الفلسطينية ، وذلك فى جدول أعمال مؤتمر القمة العربى الثانى عشر المقرر عقده فى المغرب ، بهدف بلورة موقف عربى موحد حول القضية الفلسطينية .

٣ ـ ناقش المجلس النزاع الايرانى العراقى ، وما ينجم عن تهديد الامن واستقرار المنطقة ، واكد على دعم كافة المساعى الاسلامية المنبثقة عن المؤتمر الاسلامى وجهود دول عدم الانحياز ومساعى الأمم المتحدة لتسوية النزاع .

الجانب العسكرى

استعرض المجلس التعاون العسكرى بين الدول الاعضاء ، وقرر دعوة وزراء الدفاع للاجتماع من اجل تحديد الاولويات التى تحتاجها دول مجلس التعاون من اجل تامين استقلالها وسيادتها .

الاتفاقية الاقتصادية الموحدة

تعتبر من اهم انجازات الدورة الثانية للمجلس الاعلى حيث وافق المجلس على هذه الاتفاقية ، والتى سبق ان وقع عليها وزراء المال والاقتصاد بالاحرف الاولى بمدينة الرياض فى ١٩٨١/٦/٨ .

وقد وقعت الدول الاعضاء هذه الاتفاقية من اجل تنسيق وتوحيد سياستها فى المجالات النفطية والصناعية والمالية والنقدية والجمركية بهدف الوصول الى تنمية حقيقية تعود بالرفاهية على الدول الاعضاء . فالذى يشغل بال دول المنطقة حاليا هو كيفية مواجهة مرحلة ما بعد نضوب النفط والاعتماد على مصدر بديل للدخل يحقق الاستقرار للاجيال المقبلة .

وقد كان محددا للبدء فى تنفيذ هذه الاتفاقية شهر ديسمبر ١٩٨٢ إلا ان المؤتمر الثالث لدول مجلس التعاون الذى عقد فى البحرين وافق على البدء فى تنفيذ المرحلة الأولى من الاتفاقية فى أول مارس ١٩٨٣ وتعمل حاليا الأجهزة المعنية فى مجلس التعاون بالتعاون والتنسيق مع الدول الاعضاء على تنفيذ احكام هذه الاتفاقية .

رابعا : الدورة الثالثة للمجلس الاعلى

بدأت اعمال المجلس الوزارى لمجلس التعاون فى المنامة بدولة البحرين مساء اول نوفمبر ١٩٨٢ تمهيدا لاجتماعات الدورة الخليجية الثالثة .

وقد عقدت الدورة الثالثة للمجلس الاعلى فى المنامة فى الفترة ما بين ٩ ـ ١١ نوفمبر ١٩٨٢ تلبية لدعوة سمو امير دولة البحرين وبحضور اصحاب الجلالة والسمو قادة دول مجلس التعاون .

وناقش المجلس فى هذه الدورة المحاولات التى تقوم بها القوى الاجنبية من اجل إيجاد نفوذ لها بالمنطقة بما يهدد امن الخليج وسلامته ، واقر المجلس توجيهات وزراء الدفاع فى دول المجلس الهادفة الى بنـاء القوة الذاتيـــة للدول الاعضـاء والتنسيق بينها بما يحقق اعتماد دول المنطقة على نفسها فى حماية امنها والحفاظ على استقرارها .

كما اشاد المجلس بالجهود التى بذلتها كل من دولتى الكويت والامارات العربية المتحدة لانهاء الخلاف بين سلطنة عمان وجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية . واكد المجلس تاييده للقرارات والبيانات التى اتخذها مؤتمر القمة العربى الثانى عشر الذى عقد فى مدينة فاس بالمغرب ، كما اكد المجلس إيمانه بانه لا سبيل لتحقيق سلام عادل ودائم فى منطقة الشرق الأوسط إلا بانسحاب اسرائيل من جميع الاراضى العربية المحتلة بما فيها القدس .

وطالب المجلس بالانسحاب الاسرائيلى الفورى من لبنان مؤكدا تاييده التام لاستقلال لبنان ووحدة اراضيه . كما طالب المجلس بان تتجاوب ايران مع الجهود التى تبذلها لجنة المساعى الحميدة المنبثقة عن المؤتمر الاسلامى وجهود دول عدم الانحياز فى الأمم المتحدة لوضع حد لنهاية هذه الحرب بالطرق السلمية .

اتفاقية مؤسسة الخليج للاستثمار

تعتبر من اهم انجازات الدورة الثالثة للمجلس الأعلى ، حيث وافق المجلس على انشاء «مؤسسة الخليج للاستثمار» بين الدول الاعضاء براسمال قدره ٢٫١٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠ الفان ومائة مليون دولار امريكى . على أن يكون المركز الرئيسى للمؤسســـة ومحلها القانونى فى مدينة الكويت ، ويجوز لها انشاء فروع ومكاتب فى اى اماكن اخرى .

وتعتبر هذه الاتفاقية أول باكورة المشروعات المشتركة ـ فى إطار عمل مجلس التعاون ـ وتعمل على تدعيم التنمية الاقتصادية الشاملة للدول الأعضاء .

وتهدف هذه الاتفاقية الى استثمار أموالها فى مختلف أوجه الاستثمار داخل الدول الاعضاء وخارجها ، والاسهام فى تدعيم وتنمية الموارد الاقتصادية والمالية للدول الاعضاء ، كما تعمل الاتفاقية على ترويج المشروعات المشتركة بين الدول الاعضاء لتحقيق التكامل الاقتصادى فيما بينها .

خامسا : الدورة الرابعة للمجلس الأعلى

قرر المجلس الاعلى لمجلس التعاون اثناء انعقاده فى دورته الثالثة بالبحرين ، ان تنعقد الدورة الرابعة للمجلس فى دولة قطر فى شهر صفر ١٤٠٤ هـ الموافق شهر نوفمبر ١٩٨٣ .

وتستعد دولة قطر ـ والمجلة ماثلة للطبع ـ للاعداد لهذه الدورة والتى نامل باذن الله ان تحقق الاهداف المرجوة لها .

كلمات تاريخيّة


سمو الشيخ خليفة بن حمد ال ثانى
أمير دولة قطر

سمو الشيخ زايد بن سلطان ال نهيان
رئيس دولة الامارات العربية المتحدة


سمو الشيخ عيسى بن سلمان ال خليفة
أمير دولة البحرين

من كلمات
سمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني
أمير دولة قطر

● إننا نشعر جميعا بالسعادة كل السعادة بما وفقنا الله سبحانه إليه من إنشاء مجلس التعاون لدولنا الخليجية العربية الست الذى حققنا باقامته امنية عظيمة غالية طالما تطلعنا وشعوبنا إليها فى منطقتنا الخليجية العربية .

● إنها لخطوة مباركة أن نقيم مجلسنا ــ كما فعلنا ــ على نحو يناسبنا .. وفى نطاق التدرج المرحلى الضرورى الملائم لواقع ظروفنا .. الموائم لحقيقة حاجاتنا وإمكانياتنا .. وما دمنا قد عنينا بان نسلك هذا النهج المتانى .. فلنا ان نكون وطيدى الثقة فى ان تصاحبه السلامة دوما باذن الله .. وان يتحقق له الثبات المرجو والنمو المبتغى بعونه تعالى .

● إننا لنؤمن جميعا فى مجلس التعاون لدولنا الخليجية العربية الست ان ليس ثمة امل إلا ان نثابر على اتباع هذا السبيل السوى فى تطوير مجلسنا ، ليظل افضل اداة لما ننشده من تعميق وشائج الاخوة والتضامن بين شعوبنا ، وتعزيز اواصر التراحم والتلاحم بينها وبين سائر الشعوب الشقيقة على امتداد وطننا العربى والاسلامى الكبير ، وكسب المزيد من القدرة على القيام بواجبنا المقدس فى الوقوف فى جانب امتنا العربية والاسلامية بكل إمكاناتنا لنصرة قضايانا المصيرية المشتركة وفى مقدمتها القضية الفلسطينية وقضية القدس الشريف .

● إننا نؤمن ان خير ما تستلهمه دولنا اعضاء هذا المجلس هو اقتناعنا الاجماعى الكامل بان احسن الطرق لبلوغ ماربنا هو ان نضع الاعتماد على انفسنا فى المقام الاول ، وان نبذل جهدنا الجاد الجاهد لارساء اصح الركائز لتكوين قوتنا الذاتية .

● إننا بتامين هذه القوة الذاتية سوف نوفر لانفسنا من اسباب الامن والاستقرار والمنعة والازدهار ما يمكننا من القيام بدورنا الذى نحرص على ادائه كاملا فى خدمة امتنا العربيـة والاسلامية والاسهام بقسط وافر فى صون امن وسلام العالم اجمـع .

لقـــادة دول مجلس التعاون



جلالة الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود
عاهل المملكة العربية السعودية

جلالة السلطان قابوس بن سعيد
سلطان عمان



سمو الشيخ جابر الأحمد الصباح
أمير دولة الكويت

● لقد حققنا بهذا الانجاز املا عزيزاً علينا جميعاً .. قـــادة وشعوباً .. إذ انشانا ذلك الجهاز الملائم لواقع ظروفنا وحقيقة حاجاتنا وإمكاناتنا الذى طالما تطلعنا إليه من اجل تعميق اواصر ترابطنا ابتغاء ادراك ما ننشده لبلادنا من تقدم وازدهار وامن واستقرار .

● إن كل تقدم تحرزه دول اعضاء مجلسنا العربى الخليجى فى إدراك غاياتها من انشائه من شانه ان يعاونها على بذل مزيد من التعاون مع المجتمع الدولى لتحقيق اهدافه فى كل الميادين ، وبخاصة ميدان المساهمة فى المحافظة على الأمن الدولى الذى اصبح بلا ادنى شك يتوقف إلى حد كبير على استتباب الامن فى منطقة الخليج ، ذلك الأمن الذى يجب اعتبار قيام مجلس التعاون الخليجى عاملا وركيزة من اهم عوامل وركائز استقراره .

● إن من ابرز قرارات المؤتمر الثانى واكثرها نفعاً وفعالية قرار المؤتمر بالموافقة على الاتفاقية الاقتصادية الموحدة باعتبار ان القفزة الاقتصادية هى المنطلق الصحيح لجهد الأمم فى سبيل بناء قوتها الذاتية بكل صورها الاخرى .

● الآن ونحن نختتم هذه الدورة الثالثة لمجلسنا يحق لكل منا ان يغتبط بالنتائج التى توصلنا إليها خلالها ، لأنها تمثل شوطاً هاماً جديداً على طريقنا نحو ادراك مقاصدنا النبيلة من انشاء هذا المجلس ، وهى تحقيق المزيد من الروابط القوية التى تجمع بين دولنا بالعمل المشترك الايجابى المثمر .

● اننى والشعب القطرى باسره نتطلع بكل الغبطة والترحيب لعقد الدورة القادمة لمجلسنا فى بلدكم الثانى قطر ، حيث تحلون اهلا وسهلا بين اشقاء يكنون لكم ولشعوبكم الشقيقة اعمق المحبة واعظم التقدير .

من كلمات
سمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان
رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة

● كلنا نؤمن باننا مصير واحد وسعادتنا واحدة ، ولا يفرقنا شىء ، وكلنا نؤمن بان هذا المؤتمر وهذا التكاتف لا ينفصل عن امتنا العربية سواء بعدت او قربت اقطارنا العربية .

● اقطارنا العربية تحس الآن وغدا بمواقفنا وعملنا من اجل استرجاع الحقوق المسلوبة من امتنا العربية واخواننا واشقائنا إن كانوا من الفلسطينيين او غيرهم من اخواننا العرب .

● إن مجلس التعاون خطوة هامة لدعم التازر والتعاون المشترك بين دول المنطقة من اجل تحقيق طموحات شعبها الذى يربطه مصير مشترك وهدف مشترك .

● إن القادة الخليجيين قد اجمعوا على امر واحد ، وهو الترابط والتعاون فى كافة المجالات سواء كانت اقتصادية او امنية او فى اى مجال اخر من اجل مصلحة دول المنطقة وشعوبها .

● إن اختلاف الآراء او تباين الافكار ليس امرا ضارا او مستغربا مادام يهدف فى النهاية إلى تحقيق صالح وامال الجميع

● لقد اجمع قادة الخليج على امر واحد فى مؤتمرهم ، وهو الترابط والتعاون فى كافة المجالات ، من اجل مصلحة دول المنطقة وشعوبها .

● إن دول الخليج ستكون فى مقدمة الدول العربية ، فى مساهمتها باى جهد لابعاد الخطر الصهيونى عن الوطن العربى .

● إن دول الخليج ترفض الحماية الاجنبية ، وترفض منح قواعد او تسهيلات لأية دولة ، فهى قادرة على حماية نفسها ، ومسئولة عن امنها .

● إن القيمة الحقيقية لمجلس التعاون الخليجى تتجسد اساسا فى انه تتويج للجهود المخلصة للتنسيق فيما بين دول المنطقة ، لاننا فى الخليج اعضاء فى الجسم الكبير وهو الامة العربية ، نقوى بها وتقوى بنا ، والمجلس هو درع اضافى وجديد لجسم الامة العربية وتعزيز لجناح من اجنحة الوطن العربى وجهد متواصل لتعزيز الموقف العربى .

● اننا نؤمن دائما بالعمل الجماعى لخير ومصلحة ابناء المنطقة وشعوبها ولخير ومصلحة المنطقة العربية كلها ، ونحرص على اللقاءات المستمرة والتشاور والارتباط حول كل جديد يطرا على ساحتنا الخليجية خاصة والعربية عامة مع اشقائنا فى المنطقة .

من كلمات

سمو الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة

أمير دولة البحرين

● إن قيام مجلس التعاون الخليجى يعتبر استجابة للواقع التاريخى والاجتماعى والثقافى والاقتصادى والسياسى والاستراتيجى الذى يربط منطقة الخليج العربى فى الوقت الحاضر .

● إن مسيرة العمل الجماعى هذه ، ستؤدى حتما إلى حياة افضل لشعوب هذه المنطقة .

● إن دولة البحرين تؤمن دائما بالعمل الجماعى لخير ومصلحة ابناء المنطقة وشعوبها ولخير ومصلحة الوطن العربى الكبير .

● لقد كان بزوغ مجلس التعاون الخليجى بمثابة الكوكب الدرى فى سماء منطقتنا ، استمد ضياءه من نبع اصيل ، تمازجت فيه الوشائج القوية التى تجمع شعوبنا عبر قرون الزمن لتغذى عزائم قادتهم ، فاصبح كالتيار المتدفق من الماضى ليصب فى الحاضر ويروى طريق المستقبل ، يلتقى بروافد الخير وينشد شطان العزة حتى يستقر بزاده الخير على ضفاف خليجنا المعطاء .

● كان لابد ان يستجيب التاريخ لهذا الحدث الفريد الذى ارادته شعوبنا وحققته لها قيادته ، ليؤكد مدى ايمان منطقتنا الواحدة والتفاهم نحو الاهداف المشتركة فى حاضر يستمد جذوره التاريخية من ماض عريق ويرنو إلى مستقبل اكثر اشراقا حتى بات حركة دائمة نحو تطور لا ينقطع ، دعائمه القوة وسنده الحق ومضمونه التكاتف والتازر واساسه الاخوة والتضامن وشعاره السلام والامن ينشره فى ارجاء المعمورة .

● ماتم انجازه فى تلك الفترة القصيرة فاق كل التوقعات وحاز تقدير واعجاب المجتمع الدولى الذى يعيش عصر التجمعات العالمية ، فلا مكان فيه للتفرد فى ميزان التعامل الدولى ، فكانت الاتفاقية الاقتصادية التى اصبحت الاساس الذى يتم عليه التنسيق لخطط التنمية والسياسات الاقتصادية المتكاملة التى تبشر بتحقيق الكثير من المكلسب لشعوبنا .

● إن اطر التعاون المختلفة التى تمت فى تلك الفترة فى شتى المجالات اثبتت انها تتجه بنا إلى الطريق الصحيح الذى يلتقى بها شعوب دولنا وامال قادتهم فى تامين مستقبل الاجيال ودفعها نحو التقدم والنمو وتاكيد الحماية والامن لمنطقتنا النابع من ذاتها ، المنبثق من قدرتها ، المعتمد على ابنائها العاملين معاً ، الكل فى واحد كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً .

● إن الخصائص المشتركة الكثيرة التى تجمع بين دول المجلس الست وتصل إلى حد التماثل تعد قواسم مشتركة عظمى هيات الارض والمناخ المناسبين لقيام المجلس بكل اجهزته وقواعده الاساسية .

● لقد اضفتم بقراراتكم الهامة فى هذه الدورة (الدورة الثالثة) امالا جديدة على طريق التضامن الذى تتطلع إليه شعوب منطقتنا ، والتى ستؤتى ثمارها بمشيئة الله اعمالا نافعة تبلور قوة اقتصادية مؤثرة ، تسير بدول المجلس إلى المزيد من النمو والازدهار المرتقب ، وتعزيز ادراك التضامن العربى لتسند قضايا امتنا العربية وتصون حقوقها وعزتها ، وتظل اداة فعالة فى مجتمعنا الاسلامى ورفعته ، مما يجعل تلك القرارات بمثابة الوثبة الايجابية العظيمة فى صرح مجلسنا العتيد ، تبشر بمزيد من الخطى الوثيقة فى مسيرتنا نحو العمل الجماعى .

من كلمات



عاهل المملكة العربية السعودية

● إن مجلس التعاون لدول الخليج العربية هو ركيزة من اهم ركائز العمل المشترك فى سبيل تحقيق امال وطموحات وتطلعات الشعب العربى فى الخليج نحو مستقبل افضل .

● إن النهج والتوجه الموحد سوف يؤدى بعون الله لكل ما فيه عزة وكرامة ورفعة امتنا .

● إن اجتماعات المنامة ستكون فرصة طيبة لمتابعة مسيرة التعاون والتضامن الخليجى التى تنبعث من ايمان الجميع بما للتعاون والتضامن من معطيات ايجابية تعزز الامن والاستقرار والنماء الاقتصادى والاجتماعى وبما يحقق الامال والاهداف المشتركة وقطف مزيد من ثمار التنسيق الشامل .

● إن الانجازات التى تحققت حتى الآن فى جميع المجالات السياسية والاقتصادية انما تؤكد فى مضمونها سلامة وصحة هذا النهج .

● إننا نسمى الاشياء باسمائها ، وقد اتخذنا كدول خليجية عربية ، الخطوة التى عبرت عما نريد بالضبط ، وهو تحقيق التنسيق والتكامل والترابط بيننا ، لتوسيع وتعميق وتوثيق الروابط والصلات فى كافة الميادين ، بما فى ذلك العمل على وضع نظم متماثلة فى مختلف المجالات التى نص البيان (الختامى) عليها .

● فى راينا ان ما خطط له ، من شانه ان يؤدى إلى تكريس وحدة الواقع القائمة دائما بين دول الخليج العربية ، وجعلها حقيقة لخير شعوبها وخير الدول العربية جمعاء ، وفى ذلك ما يغني دولنا عن اللجوء إلى مسميات قد لا توجد إلا على الورق .

من كلمات



سلطان عمان

● لقد خرجنا من اجتماعنا بوثائق تشكل الاطار الذى ينظم جهودنا نحو تعاون بناء ومثمر يحقق الخير لشعوبنا ومنطقتنا ولامتنا العربية والاسلامية والبشرية جمعاء .

● لقد خطونا الخطوة الاولى على الطريق ولا تزال امامنا خطوات وجهود كبرى لترجمة هذه الوثائق إلى واقع عملى تسعد به شعوبنا وتتحقق به رغبتها الاكيدة فى مزيد من التنسيق والتكامل والترابط بينها فى كافة المجالات .

● إننا نؤكد على ضرورة تركيز القسط الاوفر من اهتمامنا وجهودنا على صيانة امن منطقتنا واستقرارنا إذا اردنا ان نوفر للتعاون بين دولنا المناخ الملائم .

● إن تضافر جهود دول مجلس التعاون الخليجى مجتمعة هو الضمان الاكيد للاضطلاع بمسئولياتنا المشتركة لخير منطقتنا وامتنا العربية والاسلامية والاسرة الدولية .

● هذا اللقاء هو دليل واضح على ادراكنا جميعا للاهمية الكبرى للتعاون بين دولنا ، وتجسيداً لحرص الجميع على العمل الاخوى المشترك فى اطار هذا التعاون .

● مما يعزز امالنا .. ان يكون هذا الاجتماع بداية لمرحلة جديدة من التنسيق والتعاون فى جميع المجالات على نحو يحفظ لمنطقتنا الامن والاستقرار ، ويساهم فى تنمية وتطوير قدرتنا الذاتية وتحقيق امال شعوبنا فى التطور والازدهار .

من كلمات

سمو الشيخ جابر الأحمد الصباح

أمير دولة الكويت

● إن إنشاء مجلس التعاون لدول الخليج العربية الست نقطة كبرى فى حاضر هذه المنطقة ، وهو ليس تكتلا او تحالفا ضد احد .

● إن الغرض من إقامة هذا المجلس هو وضع تنظيم عملى شامل لتطوير وتنسيق التعاون القائم بين الدول الخليجية التى تربط بعضها البعض علاقات خاصة نابعة من عقيدتها الاسلامية السمحاء وتشابه انظمتها ووحدة تراثها وتماثل تكوينها السياسى والاجتماعى والسكانى ، وللوصول إلى افضل صيغة تخدم مصالح دول الخليج والامة العربية .

● إن قيام مجلس التعاون الخليجى كفيل بان يضع قوة الدول الاعضاء سياسيا واقتصاديا على مسار العمل الجدي لتوطيد الاستقرار فى المنطقة وإبعد اخطار التدخل الاجنبى عنها وتكريس هذه القوة لخدمة القضايا القومية .

● إذا كانت دول المنطقة حريصة على ان تؤدى دورها الانسانى فى توفير الرخاء لشعوب العالم فانها حريصة ايضا على ان تقابلها دول العالم بمثله .

● إن مرحلة جديدة فى منطقة الخليج العربى قد بدات بتوقيع دوله على النظام الاساسى لمجلس التعاون ، فذلك يعتبر فاتحة خير وبركة للجميع وخطوة كبيرة نحو تحقيق الآمال بتماسك وترابط خليجى يجسد تطلعات ابناء المنطقة إلى مستقبل افضل .

● إن مجلس التعاون الخليجى ليس تكتلا او تحالفا ضد احد بل هو صيغة اقدمت عليها الدول الخليجية لتحقيق تضامن اوسع ضمن اطار الجامعة العربية ، الذى ينص على تشجيع التعاون الاقليمى بين الدول العربية ، وهذه الصيغة التى ارتضتها دول الخليج العربية ، واضحة الهدف ، سليمة الاتجاه ، وهى باذن الله خطوة نرجو ان تكون عونا على بناء صرح الوحدة العربية الشاملة المامولة ، وسيكون هذا المجلس بتوفيق من الله مصدر خير وتعاون مع دول العالم كافة .



الطبيعة القانونية لمجلس التعاون لدول الخليج العربية



بقلم: الدكتور يحيى رجب
دكتوراه في القانون الدولي

يعتبر مجلس التعاون لدول الخليج العربية تنظيماً دولياً اقليمياً ذا طابع قومي حيث تربط الدول الاعضاء علاقات خاصة ، وسمات مشتركة متشابهة . ولاعضائه صفة الدولية ، ونشاطه شامل لمختلف المجالات .

ويهدف مجلس التعاون الى تحقيق التنسيق والتكامل والترابط بين الدول الاعضاء ، وتعميق وتوثيق الروابط بينها ، ووضع انظمة متماثلة فى مختلف الميادين ، كما يهدف الى تطوير مجالات الصناعة والتعدين والزراعة والثروة المائية والحيوانية وانشاء مراكز بحوث علمية واقامة مشروعات مشتركة وتشجيع القطاع الخاص ، بما يعود بالخير على شعب منطقة الخليج العربية .

ويمثل النظام الأساسي لمجلس التعاون ميثاق المجلس الذى يرجع اليه فى تحديد اهدافه واختصاصاته والاجهزة العاملة فيه واسلوب عمله وكل الأمور الخاصة به .

ويعتبر النظام الأساسي لمجلس التعاون معاهدة دولية جماعية ذات صفة تشريعية وتسرى احكامه دون تجزئة فى مواجهة الدول الست الاعضاء فى المجلس ، كما تتمتع احكام النظام الأساسي للمجلس باولوية فى التطبيق على المعاهدات التى تكون الدولة العضو طرفا فيها .

الاجهزة العاملة في مجلس التعاون

حددت المادة السادسة من النظام الأساسي لمجلس التعاون اجهزة المجلس فاشارت الى أن مجلس التعاون يتكون من الاجهزة الرئيسية التالية :

١ ـ المجلس الاعلى ويتبعه هيئة تسوية المنازعات .

٢ ـ المجلس الوزارى .
٣ ـ الأمانة العامة .

ولكل من هذه الأجهزة انشاء ما تقتضيه الحاجة من اجهزة فرعية .

ويلاحظ ان الأجهزة العاملة فى مجلس التعاون لها خاصية الدوام وتعمل بصفة مستمرة ، وبذلك يتميز مجلس التعاون بانه وسيلة للعمل الجماعى فى شكل تنظيم دولى يختلف عن المؤتمرات الدولية التى تنعقد لبحث موضوعات محددة ، وبانتهاء موعد انعقادها تنتهى أمرها .

والأمانة العامة لمجلس التعاون مقرها ثابت فى مدينة الرياض بالمملكة العربية السعودية حيث ان طبيعة عملها تتطلب الاستقرار ، فى حين ان باقى الأجهزة العاملة فى مجلس التعاون لها ان تجتمع فى غير مقر المجلس حسب ظروف عملها .

وتنظيم التناوب فى اجتماعات هذه الأجهزة بمختلف الدول الاعضاء يحقق فائدة كبيرة لها إذ تشعر هذه الدول بمشاركتها فى تحقيق اغراض المجلس .

ولقد باشر المجلس الأعلى لمجلس التعاون أولى اجتماعاته فى ابى ظبى بدولة الامارات العربية المتحدة فى ٢٥ مايو ١٩٨١ ، وثانيها فى الرياض بالمملكة العربية السعودية فى ١٠ نوفمبر ١٩٨١ ، وثالثها فى المنامة بدولة البحرين فى ٩ نوفمبر ١٩٨٢ وتقرر عقد الاجتماع الرابع للمجلس الأعلى فى السابع من شهر نوفمبر القادم باذن الله فى مدينة الدوحة بدولة قطر .

كما تتم اجتماعات المجلس الوزارى واللجان الوزارية المتخصصة فى مختلف الدول الأعضاء على ضوء نوعية هذه الاجتماعات .

ونستعرض فيما يلى تنظيم العمل فى اجهزة مجلس التعاون :

اولا ـ المجلس الأعلى :

يعتبر المجلس الأعلى السلطة العليا لمجلس التعاون ، ويتكون من رؤساء الدول الأعضاء ، ورئاسة المجلس دورية حسب الترتيب الهجائى لأسماء الدول ، ويشرف على سائر الأجهزة الاخرى لمجلس التعاون ويجتمع المجلس الأعلى فى دورة عادية كل سنة ، ويجوز عقد دورات استثنائية بناء على دعوة اى من الاعضاء وتاييد عضو آخر .

ويعتبر انعقاد المجلس صحيحا إذا حضره رؤساء ثلثى الدول الاعضاء .

ويختص المجلس الأعلى بالنظر فى القضايا التى تهم الدول الاعضاء ، ووضع السياسة العليـــا لمجلس التعـــاون ، والدراسات والتقارير التى تعرض على المجلس الوزارى تمهيدا لاعتمادها حيث انه الجهاز الذى يملك وحده سلطة اتخاذ القرارات .

قرارات المجلس الأعلى

نصت المادة التاسعة من النظام الاساسي لمجلس التعاون بان لكل دولة عضو من اعضاء المجلس الأعلى صوت واحد . ويعنى ذلك ان جميع الدول الأعضاء مهما اختلفت فى المساحة او الثروة او الكثافة السكانية تشترك على قدم المساواة القانونية فى عملية اتخاذ القرار السياسى الجماعى للمجلس .

كما نصت المادة التاسعة فى فقرتها الثانية على ان تصدر قرارات المجلس الاعلى فى المسائل الموضوعية باجماع الدول الأعضاء الحاضرة المشتركة فى التصويت ، وتصدر قراراته فى المسائل الاجرائية بالأغلبية .

وبالرغم من ان قرارات المجلس الأعلى لمجلس التعاون تعتبر مجرد توصيات للدول الاعضاء شانها شان التوصيات التى يتخذها مجلس جامعة الدول العربية ، والجمعية العامة للامم المتحدة إلا ان الرغبـة الجـــادة فى تحقيق التنسيق والتكامل والترابط بين دول مجلس التعاون فى جميع الميادين ، والايمان الكامل بالمصير المشترك ووحدة الهدف تجعل الدول الأعضاء تنفذ قرارات مجلس التعاون وتوصياته بمحض ارادتها واقتناعا منها باهميتها .

ويقوم المجلس الوزارى لمجلس التعاون بدور تمهيدى فى التوفيق بين وجهات نظر الدول الأعضاء ، والحصول على تراضيها حول مشروع القرارات قبل احالتها للتصويت وذلك بمساعدة الأمين العام لمجلس التعاون ، وذلك طبقا لما نصت عليه المادة ٣٦ من النظام الداخلى للمجلس الوزارى ، وهذا الاجراء ييسر الحصول على موافقة جماعية من المجلس الأعلى عند التصويت على قراراتـــه فى المســـائل الموضوعية .

ثانيا : المجلس الوزارى :

يعتبر المجلس الوزارى ثانى الهيئات العاملة فى مجلس التعاون ، ويتكون من وزراء خارجية الدول الاعضاء او من ينوب عنهم من الوزراء ، وتكون رئاسته دورية لمدة ستة اشهر حسب الترتيب الهجائى للدول ، ويعقد المجلس الوزارى اجتماعاته مرة كل ثلاثة اشهر ، ويجوز له عقد دورات استثنائية بناء على دعوة اى من الاعضاء وتاييد عضو آخر .

ويعتبر انعقاد المجلس صحيحا إذا حضره ثلثا الدول الاعضاء ويختص المجلس الوزارى باقتراح السياسات ووضع التوصيات والدراسات والمشروعات التى تهدف الى تطوير التعاون والتنسيق بين الدول الأعضاء فى مختلف المجالات .

ويلاحظ ان النظام الاساسى لمجلس التعاون اعطى المجلس الوزارى صفة «الدينامو المحرك» لنشاط مجلس التعاون حيث انه الجهاز الذى يباشر من خلاله المجلس الأعلى رقابته واشرافه على اعمال مجلس التعاون وانجاز قراراته ، بما يحقق الأهداف المرجوة للمجلس .

ثالثا ـ الأمانة العامة :

تعتبر الأمانة العامة لمجلس التعاون الهيئة الفنية والادارية الرئيسية للمجلس

وتتولى الشئون المكلفة بها وفقا لأحكام النظام الأساسى فى إطار خطة العمل التى يقررها الأمين العام ، كما تتولى معاونة الأجهزة واللجان المختلفة الملحقة بالمجلس على تنفيذ مهامها .

وطبيعة عمل الأمانة العامة للمجلس الاستقرار ، حيث يتعذر انتقال اداراتها ، وتناوب اجتماعاتها فى مختلف الدول الأعضاء ، بعكس الحال فى الأجهزة الأخرى العاملة فى مجلس التعاون ، ولذلك

فان مقرها ثابت فى مدينة الرياض بالمملكة العربية السعودية .

وتختص الأمانة العامة باعداد الدراسات فى مختلف الانشطة بالتعاون مع الدول الأعضاء ، وتحضير اعمال المؤتمرات واللجان ، كما يقع على عاتقها مهمة جمع الوثائق والبيانات ، واعداد الميزانيات والحسابات الختامية لمجلس التعاون ، ومتابعة تنفيذ قرارات المجلس الأعلى والمجلس الوزارى .

الأمين العام لمجلس التعاون

يمثل الأمانة للمجلس ويؤكد قيام واستمرار شخصية مجلس التعاون فى المجتمع الدولى ، ويعين المجلس الأعلى الأمين العام من مواطنى دول مجلس التعاون لمدة ثلاث سنوات قابلة للتجديد مدة واحدة .

ويقوم الأمين العام بمتابعة تنفيذ القرارات التى يصدرها المجلس الأعلى والمجلس الوزارى والهيئات التابعة لهما ، كما يقوم بتعيين موظفى الأمانة العامة ، ويحضر اجتماعات المجلس الأعلى والمجلس الوزارى ، ويقوم بإعداد مشروع ميزانية الأمانة العامة ، ويمثل الأمين العام

مجلس التعاون لدى الغير فى حدود الصلاحيات المخولة له .

رابعا : هيئة تسوية المنازعات

نص النظام الأساسى لمجلس التعاون على انشاء هيئة لتسوية المنازعات وتتبع المجلس الأعلى وهو السلطة العليا للمجلس ، واوضحت المادة العاشرة من النظام الأساسى لمجلس التعاون بان المجلس الأعلى يقوم بتشكيل الهيئة فى كل حالة على حدة حسب طبيعة الخلاف ، كما وافق المجلس الأعلى على إنشاء نظام أساسى خاص لهيئة تسوية المنازعات ، وتم التوقيع عليه فى مدينة ابو ظبى بتاريخ ٢٥ مايو ١٩٨١ .

وتشجع منظمة الامم المتحدة قيام التنظيمات الدولية الاقليمية بدورها فى التسوية السلمية للمنازعات المحلية ، حيث ان العمل الاقليمى يعمق التسوية ، كما ان المصالح الاقليمية والرغبة المشتركة لتحقيق السلم والأمن المحليين - تجعل الدول المتجاورة خير ساعد لاجراء التسوية السلمية ، وبذلك ينحصر النزاع فى إطاره الاقليمى بدلا من تصعيده الى مجلس الأمن حيث صراعات الدول الكبرى مما قد يتعذر تسويته .

الطبيعة القومية لمجلس التعاون

يربط بين اعضاء مجلس التعاون تضامن طبيعى يعكس استجابة للواقع التاريخى والاجتماعى والثقافى والاقتصادى والسياسى لدول المنطقة ، وتؤمن هذه الدول بالمصير المشترك ووحدة الهدف التى تجمع بين شعب هذه المنطقة .

وبذلك تتضح الخاصية المميزة لمجلس التعاون فى دعم قومية منطقة الخليج العربية التى هى جزء من الأمة العربية ،

وهذا يدعم الوحدة العربية الحقيقية بين المجموعات المتجانسة التى تعمل فى إطار جامعة الدول العربية ونامل أن تزداد هذه الروابط الاقليمية توثقا داخل إطار المنطقة العربية مثل وحدة وادى النيل ، ووحدة المغرب العربى الكبير .

ولقد حث ميثاق جامعة الدول العربية على تشجيع التعاون الاقليمى ، ومن جهة اخرى فقد أوضح النظام الأساسى لمجلس التعاون بان المجلس انشىء تمشيا مع ميثاق جامعة الدول العربية .

وتسعى الدول الاعضاء فى مجلس التعاون الى العمل على تدعيم قدرة الاجهزة العاملة فى المجلس وعلى تحقيق الارادة الذاتية لمجلس التعاون حتى يستطيع تحقيق اهدافه التى نص عليها

النظام الأساسى للمجلس ، وعلى اتخاذ التوصيات الاتفاقية التى توافق عليها الدول الاعضاء ، وتلتزم بها بمحض ارادتها واقتناعها بان التضامن والوحدة الخليجية طريق الرخاء لشعب المنطقة .

المساحة وعدد السكان والعاصمة في دول مجلس التعاون

- الإمارات العربية المتحدة : مساحتها ٧٧٫٧٠٠ كيلومتر مربع ، وعدد سكانها حسب احصاء ١٩٨٠ مليون و ٤٠ الف و ٣٧٥ نسمة ، وعاصمتها مدينة ابو ظبى .
- دولة البحرين : مساحتها ٦٦٢ كيلومتر مربع ، وعدد سكانها ٣٥٠ الف و ٧٩٨ نسمة حسب تعداد عام ١٩٨١ ، وعاصمتها مدينة المنامة .
- المملكة العربية السعودية : مساحتها ٢٫٢٤٠٫٠٠٠ كيلومتر مربع ، وعدد سكانها ٨ مليون نسمة ، وعاصمتها مدينة الرياض .
- سلطنة عمان : مساحتها ٣٠٠ الف كيلومتر مربع ، وعدد سكانها مليون ونصف مليون نسمة ، وعاصمتها مسقط .
- دولة قطر : مساحتها ١١٫٤٣٧ كيلومتر مربع ، وتعداد سكانها ٢٤٤٥٢٤ نسمة ، وعاصمتها مدينة الدوحة .
- دولة الكويت : مساحتها ١٧٫٨١٨ كيلومتر ، وتعداد السكان ١٫٦٦٨٫٣٧٨ نسمة (حسب تقدير عام ١٩٨٣ ، وعاصمتها مدينة الكويت .







ماذا قال أمين عام الجامعة العربية عن مجلس التعاون؟

الشاذلي القليبي

● إنه حدث تاريخى عظيم ، لانه سيمكن دول الخليج من تنسيق جهودها وتنظيم اعمالها فى كل الميادين الهامة الجوهرية خاصة فى ميادين الأمن والتنمية .

● إن انضمام قوى وطاقات دول الخليج بعضها لبعض سوف يكسب مجموعة مجلس التعاون وزنا خاصا فى داخل الوطن العربى لحل المشكلات العربية الى جانب وزنه الخاص فى الساحات الدولية .

● إن كل الدول العربية تبارك إقامة مجلس التعاون لدول الخليج العربية وترى فيه خطوة متقدمة نحو تأمين التعاون وتضافر الجهود لهذه المنطقة من الوطن العربي .

● إن الامة تنظر بعين الارتياح الى جهودكم الهادفة الى تحقيق الامن لخير الامة العربية .

● إن مؤتمرات القمة اكدت ان الهجمات الشرسة التى يتعرض لها العالم العربى لا يمكن التصدي لها إلا بوحدة الكلمة ، ودول الخليج قادرة على الاضطلاع بنفسها لحماية نفسها .

● إن قراراتكم ستكون تعبيراً مسئولا عن إرادة هذه الدول فى السلام والأمن والعدل انطلاقا من مصالحها الخاصة ووعيها بالتفاعل مع المجتمع الدولى .

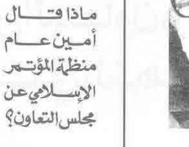
● إن دول الخليج اقامت البرهان على ان الدول العربية قائمة دوما للرد على اى عدوان او تهديد تقوم به اسرائيل ضد الامة العربية .

● إن التحديات القائمة التى تواجه الامة العربية ليست كلها اتية من خارج وطننا العربى ، وان اشدها خطرا تلك التى نعانيها من خلافاتنا وانقسامنا .

● إن حضارة الاسلام انطلقت من هذه الأرض الطاهرة منذ ١٤ قرنا ، حيث كانت بداية لعهد تحقق فيه الامن لشعب الجزيرة العربية ، وحباه الله الرخاء .

● إن حربنا ضد العدو كانت دوما متشابكة فى مجالات السياسة والاعلام والتنمية الاقتصادية والتكنولوجية الى جانب المجال العسكرى .

الشاذلى القليبى
امين عام جامعة الدول العربية



ماذا قال أمين عام منظمة المؤتمر الإسلامي عن مجلس التعاون؟

الحبيب الشطي

● إن منظمة المؤتمر الاسلامى ترى فى قيام مجلس التعاون لدول الخليج العربية ، عنصراً جديداً وهاماً ، سيكون سنداً قوياً للأمة الإسلامية فى مواجهتها للتحديات التى تبرز فى طريقها .

● إننا نرى فى مجلس التعاون لدول الخليج املا كبيرا فى مجال التطلع الى الوحدة يتحقق ، وبنيانا جديداً راسخ الاركان يقوم فى كيان العروبة والاسلام على البر والهدى والتضامن .

● إن قيام مجلس التعاون جاء تكريسا صادقا للعمل بروح بلاغ مكة المكرمة ذلك الميثاق الذى وضع اسسا متينة للتعاون بين الدول الاسلامية وسطر لها سبيل التضامن .

● لقد اعطت دول مجلس التعاون مثلا حيا ونموذجا رائعا فى مجال التقدم بمختلف علاقاتها الثنائية والجماعية والترابط الوحدوى وهذا ما سيمكنها بعون الله من التحرك ككيان واحد له سياسة متناسقة ويعمل لتحقيق اهداف موجهة ، ممايهيىءلها أن تكون عربيا وعلى الصعيدين الاسلامى والدولى ذات تاثير هام . كما يتيح لها كقوة بارزة ان تحقق المناعة والاستقرار للمنطقة وتقف فى وجه ما قد يواجهها من تحديات او يحف بها من اخطار .

● ما من ريب فى ان المسلمين قاطبة سيكونون قادرين على إدراك ما يتطلعون اليه ، وعلى تحقيق وحدتهم الكبرى ، إذا توفقوا الى نوع من الترابط على نحو ما وفق اليه اشقاؤنا اعضاء مجلس التعاون لدول الخليج العربية .

● لا يسعنى اليوم إذ ارحب بقيام هذا المجلس إلا ان اؤكد على إرادة منظمة المؤتمر الاسلامى فى التعاون لبلوغ اهدافنا المشتركة من اجل عزة الاسلام والعروبة .

● لقد جاء قيام هذا المجلس رداً صريحاً على كل التحديات ، وفى مقدمتها تحديات العدو الصهيونى الذى يقوم اليوم بمغامرات جديدة فى منطقة الشرق الاوسط .

الحبيب الشطى
امين عام منظمة المؤتمر الاسلامى



أمين عام مجلس التعاون لدول الخليج العربية:

مجلس التعاون رافد هام يصبّ في النهر العربي

في البيان الختامى للمؤتمر الاول لدول مجلس التعاون الخليجى الذى عقد فى ابو ظبى بدولة الامارات العربية المتحدة من ٢٥ إلى ٢٦ مايو (ايار) ١٩٨١ ، قرر اصحاب الجلالة والسمو تعيين السيد عبد الله يعقوب بشارة امينا عاما لمجلس التعاون ، وتقرر كذلك ان تكون مدينة الرياض بالمملكة العربية السعودية مقرا دائما للمجلس .

وقد جاء هذا الاختيار من واقع النظام الأساسى لمجلس التعاون الخليجى الذى ينص على ان يعين المجلس الاعلى الأمين العام من مواطنى دول مجلس التعاون لمدة ثلاث سنوات قابلة للتجديد مرة واحدة .

والمعروف ان امين عام مجلس التعاون الخليجى ، عبد الله يعقوب بشارة ، من مواليد الكويت عام ١٩٣٦ ، ودرس فى القاهرة عام ١٩٥٥ وحصل على درجة الليسانس فى الآداب ، وعمل بالتدريس عقب عودته الى الكويت ، وبعد عامين من العمل فى هذا المجال التحق بجامعة اكسفورد فى بريطانيا من علم ١٩٦١ الى عام ١٩٦٣ ليواصل دراسته بها ، وفى عام ١٩٧٢ إلى عام ١٩٧٣ التحق بجامعة سانت جونز فى بريطانيا ، حيث حصل على ماجستير فى العلوم السياسية .

وقد اسندت إلى الأمين العام لمجلس التعاون الخليجي ـ خلال مشوار حياته ـ عدة مناصب من بينها السكرتير الثانى للسفارة الكويتية فى تونس بين عامى ١٩٦٣ ، ١٩٦٤ ، ومديرا لمكتب وزير خارجية الكويت وسفيرا للكويت بالارجنتين ، وسفيرا مفوضا لدى البرازيل حتى عام ١٩٧٤ ، وهذا بالاضافة إلى ان السيد عبد الله بشارة قدم اوراق اعتماده إلى الأمين العام للامم المتحدة « كورت فالدهايم » كمندوب دائم للكويت لدى المنظمة العالمية فى عام ١٩٧٩ ، ومشاركته بدور بارز فى العديد من المؤتمرات والمحافل الدولية التى من بينها مؤتمرات مجموعة دول عدم الانحياز والمجموعة الاسلامية .

ولعنا لا ننسى دوره البارز فى المؤتمرات المتعلقة بالمفاوضات العالمية التى اطلق عليها « الحوار بين الشمال والجنوب » .

وعقب اختيار السيد يعقوب بشارة لموقعه الجديد كامين عام لمجلس التعاون الخليجى ، قام بجولة فى عدد من دول مجلس التعاون الخليجى لبحث السبل الكفيلة بتدعيم مجلس التعاون بالخبرات والكفاءات الخليجية لتاسيس الأمانة العامة للمجلس . وخلال جولته هذه ادلى بتصريحات متعددة أكد فيها ان مجلس التعاون الخليجي دعامة قوية للتضامن العربى لانه يملك رصيداً سياسيا واقتصاديا ضخما ليس فى العالم العربى فحسب ولكن فى العالم كله .

وكان مما قاله إن هدف مجلس التعاون الخليجي هو نقل العمل الخليجي من الفردية إلى الجماعية لتركيز الجهود بدلا من تشتيتها وإن المجلس نبع من رغبة الخليج وبوعى من قادته ، كما انه ليس وليد يوم وليلة بل بدأ العمل والتخطيط لبنائه منذ بداية السبعينات .

وقال إن المجلس لم يفرض من القمة بل هو مطلب كل مواطن خليجى إلى جانب انه صمام امن سياسى للعمق القومى العربى الذى تشكل المنطقة جزءاً لا يتجزأ منه .

واكد ان التهديدات التى تتعرض لهما المنطقة العربية تاتى من العدو الصهيونى والعدوان والعبث الصهيونى المستمر ضد الأمة العربية بالاضافة إلى عدم التوصل إلى حل سلمى وعادل لمشكلة الشرق الأوسط .

وقال إن دول المجلس تلعب دوراً حيويا وهاما على الصعيدين العربى والدولى ، وان هذا الدور طبيعى لأن دول المجلس جزء من الأمة العربية والمجتمع الدولى .

وحول الأمانة العامة لمجلس التعاون الخليجى ، قال إنها ليست مؤسسة روتينية تقليدية ، وانما هى مؤسسة المواطن الخليجى ، وإن نجاح المواطن الخليجى يكمن فى نجاحها ، وبالتالى لابد أن يسهم المواطن الخليجى فى هذه المؤسسة وأن تمكنه ظروفه من العمل فيها ، ويجب الا يتردد تحت اى ستار وتحت اى ظروف ولأى سبب كان . فالأمانة العامة ما هى إلا رمز للعمل الخليجى الموحد .

وقد كان امين عام مجلس التعاون الخليجى خلال السنوات الماضية كتلة من الحركة والنشاط والحيوية البالغة الحد ، وقد ظهر ذلك جليا من خلال الندوات والمؤتمرات والمحاضرات والمناقشات التى عقدها اماكن عديدة وكان لها اثر هام فى

القاء الضوء على هذا الحدث التاريخي وتعريف كل مواطن بادق الامور حول مجلس التعاون الخليجي وانجازاته لتحقيق الغايات والأهداف ..

وهذه بعض كلماته حول مجلس التعاون الخليجي واهدافه وغاياته السامية :

● إن المجلس يتمتع بقوة اقتصادية وتتمتع دوله بموقع استراتيجي عام يستأثر باهتمام القوى الكبرى مما يعطى دول المجلس صوتا قويا وتاثيرا كبيرا في العلاقات بين الدول على مستوى العالم .

● إن قوة دول مجلس التعاون تنبع من الهوية المتشابهة فى النظم السياسية والاقتصادية والقيم الثقافية والاجتماعية التى يتمتع بها .

● إن هذا المجلس ليس مجلسا كونفدراليا او فيدراليا ولكنه مجلس تعاون وحينما نقول ذلك فاننا نؤمن بان قوة هذا التعاون تنبع من الانسجام الذى نسعى اليه والذى نعتقد انه موجود فى كافة المجالات .

● إن هذه المنظمة سوف تحظى باهتمام العالم لقوتها الاقتصادية وقدرتها على التاثير فى الأوضاع الاقتصادية العالمية ، وبما انه لا استقرار اقتصادى دون مشاركة الدول الصناعية كذلك لا استقرار دون مشاركة منظمتنا ، وإذا كانت التكنولوجيا هامة فى مسالة الحوار بين الشمال والجنوب فان الموارد الأولية والطاقة تعد جذرية وحيوية فى هذا الحوار ايضا .

● إننا لسنا كتلة مستقلة وإنما رافد هام يصب فى النهر العربى .. إننا قوة هامة فى



عبد الله يعقوب بشارة .. امين عام مجلس التعاون

المجرى الاساسى للسياسة العربية .. ونؤمن بان منظمتنا تقوى وتعزز جامعة الدول العربية .

● إن اهمية منظمتنا لا ترجع الى الاهمية الاقتصادية فقط ، بل الى الاهمية الروحية والاستراتيجية والسياسية كذلك .

● إن دول المجلس قد استحوذت على اهتمام العالم ، وترفض ان ينظر اليها على انها دول نفط وممرات مائية ، بل تصر على المساهمة فى إسعاد البشرية .

● إن دول الخليج تقع فى منطقة تستورد كل ما تستهلكه باستثناء النفط الذى تصدره ولا تستهلكه ، وبالتالى فان سياسة الأمن الغذائى فى دول مجلس التعاون سياسة ملحة وامر له اولويات واعتبارات خاصة لانه يمس الحياة اليومية لكل انسان ، وبدونه ربما تتلبد الاجواء سياسيا واجتماعيا ومعيشيا .

● إن السياسة الخارجية لدول المجلس تقوم على التضامن العربى لمواجهة الهجمة الصهيونية ، ولا سبيل لذلك إلا بوحدة الصف وحشد الامكانيات .

● إن الهدف الاول هو حماية الخليج وليس التصدى لاحد ، وكل ما نريده هو المحافظة على البيت الخليجى فى الداخل لينعم اهله بالطمانينة والاستقرار كى يساهموا مساهمة فعالة الى جانب القضايا العربية القومية ، وبحيث لا تؤثر فيهم اى مخاوف من احد ولا يتاثر قرارهم السياسى او الاقتصادى باعتبارات سوى الاعتبارات العربية والخليجية .

● إن مجلس التعاون اصبح الآن يشكل منطلقا ديناميكيا فى إرساء دعائم التضامن العربى ، وقوة لا يستهان بها ، وفى المنطقة نحن مقبلون على إزالة السدود الاقتصادية والتجارية . ولهذا نحن واثقون انه لا يمكن ان يكون الخليج مزدهرا وداعما اقتصاديا للعرب والعالم ومستقرا سياسيا ما لم يكن قويا ، وقوته مبنية على دعائم ثابتة ، وان يكون أمنه وقوته نابعة من قدرته الذاتية وليست مستعارة او مستاجرة أو زائرة .

● إن البنية الأمنية لدول المجلس هى اليوم افضل مما كانت عليه بالامس ، فهذه البنية قد تحققت وقويت واصبحت حقيقة الى حد انها استحوذت على التفكير الخليجى الموحد .

● إن قرار المؤتمر الخاص بتوحيد مصادر التشريع لدول المجلس على اساس الشريعة الاسلامية هو احد التوجهات العامة للمجلس وتم فى المؤتمر تعريفها وتحديدها .

أحدث كتاب عن مجلس التعاون

من الكتب الحديثة التى صدرت خلال هذا العام حول انشاء مجلس التعاون كتاب بعنوان «الاطار القانونى والسياسى لمجلس التعاون الخليجى» .. ومؤلفه هو الدكتور عبد الله الاشعل وهو استاذ للعلوم السياسية فى جامعة القاهرة .. والكتاب من ٢٩١ صفحة .. ومقسم الى ستة فصول : الفصل الأول عن مولد فكرة انشاء المجلس وتبلورها الى حقيقة وظروف قيام المجلس والصدى الاقليمى والعربى والدولى لهذا الحدث الهام ، وفى الفصل الثانى يناقش المؤلف تجارب الوحدة الخليجية فى الماضى وانعكاساتها على المستقبل موضحا ان قيام مجلس التعاون يعتبر تعزيزا للوحدة العربية وامتدادا لرغبات وحدوية طالما راودت أهل الخليج ، وفى الفصل الثالث شرح مفهوم امن الخليج منذ تاريخ الصراع بين القوى الاستعمارية على هذه المنطقة ، أما الفصل الرابع فكان عن دور مجلس التعاون كاطار كامل للتكامل الاجتماعى والاقتصادى ، وفى الفصل الخامس قدم المؤلف النظام القانونى لمجلس التعاون فى ضوء الخصائص والقواعد العامة للمنظمات الدولية ، وكان الفصل السادس عن العلاقات الدولية فى إطار مجلس التعاون .. والكتاب فى مجموعه يفتح الباب امام كل الراغبين فى الدراسات الموضوعية والجادة حول قضايا الخليج .



الدّوحَة

المدينة التي تستقبل اللقاء الرابع لقادة دول مجلس التعاون

بقلم : درويش مصطفى الفار



جانب من مدينة الدوحة اليوم ، حيث نرى مدينة تنمو وتزدهر

صورة نادرة لمدينة الدوحة من الجو يعود تاريخها الى ١٩٤٧

اصبحت مدينة الدوحة ـ بحق ـ خلال السنوات الأخيرة تتمتـــــع بالكثير من الاحتياجات العصرية ، فهنك سعى دائم لاستكمال تلك الاحتياجات سواء على صورة مصانع او كليات جامعية او فنادق او بنوك عالمية او مطار جديد وطرق متسعة حديثة وتطوير مستمر للمناطق والأسواق الشعبية ..

والدوحة فى اللغة الفصحى (العربية) ، كما يقول العلامة ابن منظور فى معجمه لسان العرب تعنى ، الشجرة العظيمـة المتسقة ، والدوح بغير هاء تعنى البيت الضخم الكبير من الشعر ، وقد سمى كل خليج قصير مستدير الساحل على شواطىء قطر باسم « الدوحة » فهناك دوحة سلوى ، ودوحة الحصين ودوحة زكريت .

وليس بين أيدينا ما يفيد يقينا متى سميت عاصمة قطر باسم الدوحة ، ولكننا نجد ان هرمان بركهاردت الرحالة سنة ١٨٠٤ م يذكر ان «الدوحة» كانت انذاك حين زارها فى يناير من ذلك العام تتكون



الجسر الجديد عند دوار الجيده وما حوله من عمران ازدهر فى سنوات قليلة .

من ثلاثة اجزاء هى «الدوحة والبدع والسلطة» ، بينما نجد ان بولجريف سنة ١٨٦٥ م يخلط فى ذكره لموقع الدوحة والبدع والسلطة بالنسبة لبعضها البعض ولعله كان يقصد بقوله ان «الدوحة» تقع شمال «البدع» اى الخليج المستدير ، الذى دفن معظمه الآن فى اعمال التنمية والتعمير الجارية ، كان يقع شمال البدع فعلا ...

ولقد جاء ذكر قطر فى كتاب المسالك والممالك لابن خرداذبة (٨٤٩ م) وكتاب معجم البلدان لياقوت (١١٧٩ ـ ١٢٢٩ م) وفى قاموس لسان العرب لابن منظور (١٢٣٢ ـ ١٣١١ م) ولكنهم جميعا لم يذكروا شيئا عن الدوحة بالذات . وقد جاء ذكر الدوحة والبدع فى اطلس فيليس الدولى (١٨٦٢ م) بحيث تقع الدوحة (جنوب) البدع ...

ولا مناص من أن يتصدى بعض الباحثين لاستقصاء تاريخ الدوحة باحيائها العديدة ، التى كانت فيما مضى ضواحى متباعدة ، واصبحت اليوم مدينة حديثة متصلة تنمو بسرعة غير عادية راسيا وافقيا ، ولابد ان يكون هذا البحث اليوم



لقطة من داخل متحف قطر الوطنى ، حيث نرى نموذجا يتمثل فى سفينة خليجية كانت تمخر عباب البحر للصيد والتجارة والغوص ، والمتحف يضم كل ما يتصل ببيئة قطر البرية والبحرية قديما وحديثا .



الحداثة في العاصمة الدوحة ، حيث نرى شارع البحر (الكورنيش)

قبل الغد ، حتى لا يصبح ذلك التاريخ مجرد كلمات في افواه الناس ، ثم يضيع الى الابد ... ونقترح كاساس لهذا البحث ، الحصول على كل ما يمكن الحصول عليه من الصور الجوية والخرائط لمنطقة الدوحة باسرها لصناعة خريطة واحدة منها جميعا على غرار الخرائط الجيولوجية بمعنى ان يقسم الزمان الى فترات ، وتلون الطرق والمنشات في كل فترة بلون معين يمثل تعاقب النمو من فترة الى التي تليها ...

وللدلالة على معدل النمو فى هذه العاصمة الفتية ناخذ مثالا واحدا .. ذلك المثال ذكره جون مورهيد عن قطر (١٩٧٧ م) ويقول فيه ، ان الدوحة لم يكن بها سنة ١٩٥٢ م سوى مدرسة واحدة بها



شارع السفارات ، جانب اخر من الدوحة الحديثة .

(٢٥٠) تلميذاً ، وفي سنة ١٩٧٧ م اصبحت المدارس ما بين ابتدائية واعدادية وثانوية تعد (١٠٨) بها ما يزيد على واحد وثلاثين الف تلميذ وطالب ، واليوم يزيد عدد المدارس في الدوحة (وغيرها من البلدان والقرى) عن مائة وخمسين مدرسة ... بالاضافة الى جامعة تخرج فيها حتى اليوم ست دفعات من الخريجين في العلوم والآداب بفروعها المختلفة ...

ولعل فى الصورة الجوية المنشــورة مع هذه النبذة القصيرة ما يغني عن الكثير من الكلام بالنسبة لنمو رقعة الدوحة بالعمران ، الذى لا ينقطع ليل نهار ، تحقيقا لفلسفة ان تبلغ مستوى المدينة المعاصرة الناضجة ، التي يتبناها حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد ال ثاني امير دولة قطر ، والذي يؤمن بالتقدم المعاصر ولكن في ظل من الحفاظ على التراث الاسلامي والتقاليد العربية ، ومن هذا المنطلق ، وتداركا لكي لا تطغى حركة العمران الحديثة الجارفة ، على كل الابنية التراثية فقد تم استنقاذ قصر الحكم الذي كان قد بناه المرحوم الشيخ عبد الله بن قاسم سنة ١٩٠١ بفريق السلطة واتخاذه اساسا لمتحف قطر الوطني ، وكان لاعادة ترميم ابنية ذلك القصر القديم كنمط من العمارة الاسلامية العربية ان منحت لدولة قطر جائزة اغا خان المعمارية سنة ١٩٨٠ اعترافا بفضلها في حفظ التراث .

وكذلك تم استنقاذ عدة بيوت من بيوت الدوحة القديمة ذات الطراز العربي الاسلامي وترميمها لتكون شاهداً للاجيال القادمة على تفاصيل المعمار واصوله قبل وسائل البناء الحديثة ... وزيادة على ذلك وتاكيداً له ، فان التوسعة التي تجري في قصر الحكم اليوم بالدوحة تتوخى النسج على منوال المعمار العربي الاسلامي بنقوشه واصالته ، مع استخدام معطيات التكنولوجيا المعاصرة في هذا المشروع .

ولا يفوتنا ان نذكر ان الدوحة ، شانها شان كل عاصمة في الوطن العربي تحتاج الى تضافر جهود السكان و(المقاولين) مع جهود المجالس البلدية والمرافق الحكومية التي تقوم بكافة الخدمات ، من حيث المحافظة على جمال وتنسيق وهدوء المدينة وتنفيذ الخطط الرامية الى النفع العام والتقدم المضطرد والازدهار ، بكل عناية واحترام للوقت ، وحفظ للجهد والمال ، وشعور بالانتماء ، حتى يشعر الانسان العربي انه يسير فعلا الى الامام ...



أوجه التعاون في جامعات دول الخليج العربية

بقلم: الدكتور محمد إبراهيم كاظم

مدير جامعة قطر

ليست الجامعات مجرد معاهد تعليمية ، فبالرغم من اوجه الشبه الكبيرة بين المدرسة والجامعة ، وبالرغم من ان الجامعة تقع فى قمة السلم التعليمى لاى مجتمع من المجتمعات ، إلا ان الجامعات تنفرد بكونها مؤسسات غير موضعية الاهداف ، غير محددة المقاصد ، بمعنى ان مقاصدها واهدافها تتطور وتتغير وتتخطى الحدود ، كما ان اهدافها ترتبط بالظروف المتغيرة المتطورة للبيئات والمجتمعات التى هى جزء منها ، فعلاقة الجامعة بالمجتمع ترتبط بصورتـــه وهي صورة متطورة ومفهوم المجتمع وهو مفهـــوم متغيـــر ، فالمجتمعات التى ترى نفسها مجتمعات صغيرة تتطور لتكتشف إنتماءاتها لمجتمعات اكبر ، وبناء على ذلك فالجامعات يمكن ان تنتمى الى مجتمع يعتبر نفسه مجرد مدينة ، ويمكن ان تتسع لادراكها انها تنتمى الى مدينة ، تنتمى الى امة ، تنتمى الى المجتمع البشرى كله فى الماضى والحاضر والمستقبل . وبديهى انه كلما تغيرت هذه المفاهيم وكلما تغيرت هذه المشاعر والانتماءات كلما تغيرت اهداف الجامعة ومقاصدها وكلما تغيرت حدودها ، وبالتالى يظهر اثر هذا التغير فى سياساتها وفى برامجها وفى ممارساتها اليومية . ولا يكفى ان تكون هذه التصورات تصورات افراد فى الجامعة او المجتمع ، إذ من الضرورة ان يرتكن هذا التغير فى المفاهيم والاهداف التى يكون لها اثر مستمر فى السياسة والبرامج والممارسات على راى عام داخل الجامعة وخارجها ، هذا الراي العام هو فى حد ذاته حصيلة تفاعل اجتماعى وحضارى بين الظروف المعاصرة والطارئة والتراث والمقومات التاريخية والحضارية لهذا المجتمع .

وبالنسبة لمنطقة الخليج فلقد مرت فى مراحل تاريخية معروفة ومتنوعة تضمنت مراحل الانغلاق الضيق وتضمنت ظروف اقتصادية محدودة وإمكانات محددة ، كما تضمنت مرحلة الثروة ومرحلة انعاش التراث الثقافى والحضارى والانتعاش الاجتماعى. الذى دفع الى ظهور مستويات من الحاجات والاحتياجات الاجتماعية والثقافية التى استدعت مستويات من التعليم ظهرت على مراحل .

ومنذ منتصف هذا القـــرن كانـــت المجتمعات الخليجية على تفاوت وتشابه مراحلها الحضارية قد وصلت الى المرحلة التى بدات فيها فى استشعار حاجتها الى مؤسسات للتعليم العالى ، تبلورت فى صيغ جامعية ، انتهت الى الجامعات الحالية فى منطقة الخليج . وعندما بدات جامعة الملك سعود فى الرياض كانت البداية لنظام تعليمى جامعى متكامل ومتنوع ، يضم شكل الجامعات الشاملة ، كمايضم شكل الجامعات المتخصصة . ومن اوضح الدلائل على هذا الاتجاه قيام جامعة المعادن والبترول بالدمام وهى جامعة حققت بمستواها الرفيع المتخصص اهدافا استراتيجية ليست للسعودية فحسب ولكن للدائرة الأوسع . كما انها استطاعت ان تبدا برنامجا بحثيا طموحا تظهر اثاره على المدي البعيد . كما قامت ايضا الجامعات المتخصصة فى الدراسات الاسلامية فى المدينة المنورة ، وجامعة الامام تتسع للطلاب العرب وغير العرب ، وليس هذا مجال لعرض كامل عن الجامعات السعودية ولكن فقط فى معرض الاستدلال على ارتباط قيام نظام جامعى بظهور حاجات مجتمعية منبثقة من وصول المجتمع الى مرحلة حضارية يحتاج فيها تقدمه ومسيرته الى الامام الى هذا النظام الجامعى ...

وبهذا المعنى يشكل هذا الموقف تحديا للجامعات السعودية بصفة خاصة ، إذ ان المتوقـــع ان تقـــوم هذه الجامعـــات باعبائها وان تتحمل مسؤلياتها فى تخريج المواطن القادر على الوفاء ومتطلبات المرحلة التاريخية ، ليس من الناحية التخصصية فحسب ، ولكن من الناحية العامة اولا ، هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى ان تنجح هذه الجامعات فى ان تكون مراكز الحضارة والفكر وهي البنية التحتية التى يتوقف على صلابتها استمرار حركة المجتمع نحو الامام مع حفاظه على اصالته ودون الوقوع فى خطر ان يصبح المجتمع مجرد شبيه للمجتمعات الاسبق فى مضمار التقدم التكنولوجى بالذات .

ثم راينا الكويت فى منتصف الستينات تقيم جامعتهـــا بداية بالتربية والعلوم

والآداب وكلية البنات لتتطور بعد ذلك الى ما هي عليه الآن .. ثم شهدنا التعليم الجامعي فى قطر عام ١٩٧٣ بكليتي للتربية إحداهما للبنين والاخرى للبنات اتسعت الآن لتشمل كليات العلوم والانسانيات والعلوم الاجتماعية والشريعة والدراسات الاسلامية والهندسة ، وهناك اهتمام فى هذه الكليات بالتربية الفنية والتربية الرياضية والخدمة الاجتماعية والاقتصاد المنزلى ودراسات الاعلام ، ومن المتوقع عندما تنتقل الى الحرم الجديد خلال الاشهر القليلة المقبلة ان تبدأ فورا كلية الاعلام وكلية الادارة والاقتصاد ، وهذا علاوة على وجود أربعـــة مراكز بحثية فى جامعة قطر وهى مركز البحـــوث التربوية ومركز البحوث العلمية والتطبيقية ومركز بحوث الانسانيات ومركز بحوث السيرة والسنة النبوية ومركز دراسات التنمية لدول الخليج ، ولقد بدات هذه المراكز مسيرتها وقدمت بشائر انتاجها فعلا .

وبدأت بعد ذلك جامعة الامارات فى العين ، وبالاضافة الى برامجها فى مدينة العين فلقد انشأت فروعا لها فى الامارات المختلفة واقامت نظاما تعليميا جامعيا فريداً ، يتعامل مع ظروف الدولة وطبيعتها الجغرافية والعامة ..

وقد بدأت البحرين تعليمها الجامعى بكلية البحرين الجامعية ، وهى فى حقيقتها ثلاث كليات : كلية العلوم ، وكلية الانسانيات ، وكلية التربية ، ومن المتوقع ان تتطور الى جامعة ذات نظام خاص يضم اليها ايضا العديد من الكليات والمعاهد القائمة بعد تطويرها مثل الكلية الصناعية وكلية الفنادق وغيرها .

ومنذ سنوات بدأت عمان بدراسة متعمقة لانشاء جامعة السلطان قابوس ، ومازالت هذه الدراسات والاستعدادات بما فيها منشآت الحرم الجامعى تتم على قدم وساق املا فى ظهور الجامعة خلال عام او عامين .

وتــوج المجتمـــع الخليجي منشـــاته الجامعية بمشروع اقليمى مشترك هو جامعة الخليج التى اتفق على ان تكون فى البحرين ، وان تبدأ بثلاث كليات هى الطب والعلوم والتربية ، وبدأت كلية الطب فعلا فى العام الماضى بالدراسات قبل الطبية التى تتم حاليا فى رحاب الكلية الجامعية فى البحرين ، وجامعة الخليج تمثل مفهوما فريداً حقا ، فهى جامعة تحقق اهدافا اقليمية ويتولى مسئولياتها وتمويلها دول الخليج ، ويشرف عليها هيئة تاسيسية ومجلس امناء يضم اعضاء من دول الخليج كلها . ومن الطبيعى انها لا تنافس ولا تكرر الجامعات القائمة . ولقد اقامت الجامعة فى شهر مايو الماضى ندوة كبرى ضمت العديد من رجال الفكر والجامعات من الخليج والعالم العـــربي وكبـــار الشخصيات الجامعية فى العالم بهدف رسم وايضاح الرؤية المستقبلية لجامعة الخليج ، ولاشك ان هذه الندوة ووثائقها ستظل مرجعا ثمينا للدراسات الجامعية والتعليم الجامعى فى منطقة الخليج .

وخلاصة القول ان منطقة الخليج لم تقم جامعاتها استكمالا للشكل ، ولا كقضايا شكلية ، ولكن لاداء وظائف بعضها محدد معروف الآن ، وبعضها يتبلور مع مرور الزمن وتوالى الاحداث .

قامت الجامعات فى دول الخليج لتؤدى وظائف ، يُحكم على نجاحها بمقدار ادائها لهذه المهام سواء المهام الخاصة للتطور الاجتماعى والثقافى والحفاظ على الاصالة العربية والاسلامية ، او على وجه التحديد مهمة اللحاق بالعصر والحفاظ على الاصل فى آن واحد ، وفى نفس الوقت مهمة اعداد المتخصصين والخريجيين فى المجالات المتنوعة والمتعددة التى تحتاجها هذه المجتمعات وهذه الدول .

ولن تستطيع هذه الجامعات ان تؤدي هذه المهام على وجهها التام دون تعاون كامل . وإذا كانت جامعة الخليج احد مظاهر هذا التعاون الخليجى ، فلقد سبق قيام الجامعة قيام مجلس التعليم العالى لدول الخليج المرتبط بمكتب التربية العربى بدول الخليج المنبثق عن مؤتمر وزارات التربية . والمهمة الاولى لهذا المجلس هو التعاون والتنسيق . هذان اللفظان يضمان عالما كاملا من الآمال والطموحات .

ولقد قطعت جامعات الخليج شوطا كبيرا فى التعاون والتكامل بينها ، لا يقف عند حد تبادل الاساتذة والطلاب وتبادل المطبوعات والنشر والتكامل البحثى ، بل يتعدى كل الحدود بمرونته وقابليته لكل فكر تكاملى وتعاونى يطرأ فى اى وقت .

وإن حصيلة اعمال هذا المجلس تمثل سجلا رائعا ، ولكن السجل الاروع هو ما سوف تشهده الايام المقبلة ، عندما تنجح جامعات الخليج فى تحقيق الآمال المعلقة عليها .

جامعات دول مجلس التعاون

● جامعة الامارات العربية المتحدة : افتتحت عام ١٩٧٧ تضم سبع كليات هى التربية ، والعلوم الادارية والسياسة ، والعلوم ، والآداب ، والزراعة ، والهندسة ، الشريعة والقانون .

● كلية البحرين الجامعية : تاسست عام ١٩٧٨ لتحل محل المعهدين العاليين للمعلمين والمعلمات ، وتمنح شهادات عالية فى عدة تخصصات .

● فى المملكة العربية السعودية : جامعة الملك سعود فى الرياض ، جامعة الملك عبد العزيز فى جدة ، جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية فى المدينة المنورة ، جامعة الملك فيصل بالدمام ، جامعة البترول والمعادن بالظهران ، جامعة ام القرى بمكة المكرمة .

● فى سلطنة عمان : يتم الآن انشاء جامعة السلطان قابوس .

● جامعة قطر ، وتضم كليات التربية ، والانسانيات والعلوم الاجتماعية ، الهندسة ، العلوم ، والشريعة والدراسات الاسلامية .

● جامعة الكويت وتضم تسع كليات هي التجارة والحقوق والآداب والعلوم والطب والهندسة والبترول والطب المساعد والتربية والشريعة .

● جامعة الخليج : مقرها البحرين .



نحو استراتيجية للتنمية في دول مجلس التعاون

"رؤية للإمكانيات"

بقلم: الدكتور علي خليفة الكواري

تتمتع كل من اقطار منطقة الخليج بعدد محدود من الامكانيات التى يمكن أن تسهل عملية تنميتها . وهذه الامكانيات يمكن مضاعفتها وخلق امكانيات محتملة اخرى تمكن المنطقة من بدء عملية التنمية واستمرارها ، اذا ما اسرعت المنطقة فى خطوات الاندماج وتكوين الكيان القابل للتنمية . وكما ان مجالات التكامل مع بقية الاقطار العربية ودفع عجلة العمل العربى بموجب استراتيجية العمل الاقتصادى العربى المشترك وغيرها من الاستراتيجيات القطاعية الاخرى سوف يؤدى دون شك الى تدعيم الامكانيات الاقليمية ، ويتيح مجالا رحباً لتكاملها مع الامكانيات العربية الاخرى المختلفة معها فى المصدر والمكملة لاوجه النقص فى مقومات الكيان الموحد للمنطقة .

وتتمثل اهم الامكانيات المتاحة او الامكانيات التى يمكن تعبئتها فى ظل الاخذ باستراتيجية التنمية والتكامل هذه فى الامكانيات التالية : تزايد الوعى بسلبيات نمط النمو الراهن ـ تزايد امكانية تخفيض صادرات المنطقة من النفط ـ تزايد التوجه نحو خلق كيان موحد قابل للتنمية ـ توفر بنية تحتية ومرافق عامة متطورة ـ توفر خبرة ريادية فى مجالات الادارة والتنظيم ـ القدرة الكبيرة على تمويل استثمارات التنمية ـ تزايد امكانية التكامل العربى المتكافىء .

● ● ●

١ ـ تزايد الوعى بسلبيات نمط النمو الراهن :

ان تزايد وعى مجتمعات المنطقة بسلبيات نمط النمو التلقائى الراهن والبحث عن نمط بديل للتنمية يمثل دون شك اهم دافع من اجل التغيير . فالحركة الراهنة باتجاه خلق الكيان الاقتصادى السياسى القابل لتحقيق التنمية الشاملة تعبر عن بروز قلق موضوعى على امن المنطقة ومسار التنمية فيها ومستقبل اجيالها القادمة ، وهذا القلق الذى بدات تتسع دائرته يساعد على وجود بدايات حوار مباشر وغير مباشر من اجل التقريب بين وجهات النظر فى المجتمع ، والانطلاق من وجود حد ادنى من الرؤية التنموية المشتركة ، بالقدر الذى يسمح للمنطقة بتهيئة نفسها من اجل توفير متطلبات بدء عملية التنمية فى اطار التكامل المؤدى الى الوحدة السياسية ، كل ذلك قبل فوات الفرصة التى اتاحها وجود النفط مع عدم وجود تمزق سياسى .

ولعل التوجه الوحدوى لابناء المنطقة ووحدة الامال والآلام بينهم باعتبار مجتمعات المنطقة شريحة عربية تتطابق فيها المعطيات التنموية وتتشابه التركيبات الاجتماعية والسياسية وتتمتع فى الوقت الحاضر نتيجة لأوضاعها الاقتصادية الخاصة باستقرار سياسى نسبى على مستوى المنطقة ، بالاضافة الى استمرار

بعض العلاقات التقليدية المتصلة بين الحاكم والمواطن تتصف بروح المراعاة والرغبة فى ايجاد القبول والوفاق السياسى بين الطرفين .. ان كل ذلك يتيح مجالا لتقارب منطلقات الارادة السياسية والارادة الاجتماعية ويسمح بوجود الحد الادنى المطلوب من ارادة التنمية والوحدة . وهذه الارادة مازالت بذرة فى ضمير المنطقة يتربص بها الاعداء ، وتحيط بها بيئة خارجية غير مشجعة ، وتعرقلها طفيلية محلية نمت على حساب عرقلة نمو المنطقة ودعمت مراكزها نتيجة لتفرق اقطارها ، وعلى الذين ينتمون بصدق للمنطقة ويثقون بقدرة اهلها على تحجيم مصالحهم الآنية الزائلة ان يجعلوا من هذه البذرة غرسة طيبة ، توفر امكانية بلورة ارادة مجتمعية من اجل تنمية المنطقة في اطار وحدتها وفاء للاجيال القادمة واداء للامانة التي تركها الاجداد في اعناقهم .

٢ ـ تزايد امكانيـــة تخفيض صادرات النفط :

ان انخفاض درجة اعتماد الدول الصناعية على النفط الخام المستورد من المنطقة يتيح فرصة لاعادة النظر فى الاعتبارات التي اثرت على انتاج النفط حتى الآن ، والانطلاق من تقرير الجدوى الاقتصادية لتصدير النفط قبل تحديد حجم الانتاج .

ومسالة تحديد انتاج النفط بعد التعرف على جدوى التصدير لم تكن امكانية عملية بالنسبة لكل من اقطار المنطقة في الماضي ، الامر الذي جعل دول المنطقة تاخذ في الحسبان عند تحديد حجم الانتاج الاعتبارات الخارجية وهي اعتبارات لم تكن دائما منسجمة مع اعتبارات وجود جدوى اقتصادية من انتاج وتصدير قدر يفوق طاقة اقتصاديات الدولة المعنية على استيعاب عائداته بشكل منتج . ولقد اصبحت هذه الامكانية متاحة بقدر اكبر مما كانت في الماضي ، نتيجة لاستراتيجية طويلة المدى تتبناها الدول الصناعية ، وتعمل منظمة الطاقة الدولية على تنفيذها بنجاح . وتتمثل هذه الاستراتيجية في تقليل الاعتماد على النفط المستورد من اقطار « منظمة الاوبك » وخاصة من الاقطار العربية التي لا تبرر طاقتها الاستيعابية المنتجة تصدير معدلات عالية من النفط .

ولقد تحقق نتيجة لهذه الاستراتيجية انخفاض في معدل طلب العالم على نفط الشرق الاوسط مما وصل بحجم انتاجه في عام ١٩٨٢ م الى ٨ر١٢ مليون برميل يوميا بعد ان كان ٩ر٢١ مليون برميل يوميا في عام ١٩٧٤ م ، هذا بالرغم من زيادة استهلاك النفط في العالم من ٤ر٥٦ مليون برميل يوميا عام ١٩٧٤ م الى ٥ر٥٨ مليون برميل يوميا عـــام ١٩٨٢ م . ومما هو جدير بالملاحظة ان دول المنطقة كانت هي الدول التي امتصت انخفاض مستوى الطلب على نفط الاوبك الذي حدث في عام ١٩٨٢ م مقارنة بعام ١٩٨١ م ، فقد انخفض انتاج المنطقة من ٥ر١٣ مليون برميل يوميا عام ١٩٨١ إلى ٦ر٩ مليون برميل يوميا عام ١٩٨٢ م اى ان التخفيض وصــل الى حوالي ٤ مليون برميل يوميا ، هذا بينما لم ينخفض مستوى انتاج دول منظمة الاوبك كمجموعة باكثر من ٥ر٣ مليون برميل (من ٥ر٢٥ الى ٠ر٢٢ مليون برميل يوميا) ، وفي ضوء هذا التغيير في الطلب العالمي على نفط الاوبك وانطلاقا من سعي بعض دول المنطقة المكتظة بالسكان الى الاحتفاظ بحصتها من التصدير ـ خطا او صوابا ـ فان المنطقة قد اتيحت لها فرصة عليها ان تمسك بها وتحولها الى امكانية تنطلق منها للسيطرة على الآثار السلبية التي خلفتها معدلات الانتاج التلقائية ، على ان يتم ذلك من خلال اخضاع مسالة انتاج النفط ، وتصديره لاعتبارات الجدوى الاقتصادية .

ومما يجدر تاكيده ان انخفاض انتاج النفط في الوقت الحاضر كان نتيجة لانخفاض الطلب العالمي على نفط الاوبك ، وهو النفط الذي تعتبره منظمة الطاقة الدولية المصدر الاخير لامدادات الطاقة وهو الذي يجب عليه ان يرتفع وينخفض حسب مدى توفر الامدادات الاخرى . وعلى المنطقة ان تعتق نفسها من هذا الوضع المجحف وغير المستقر وان لا ترضى لنفسها ان تكون المصدر الاخير لامدادات الطاقة ، والمصدر المكمل لقدرة دول الاوبك على تلبية احتياجات الدول المستهلكة . ولعل المنطقة في ظل وحدتها تكون اقدر على تحويل الانخفاض الراهن على نفطها والذي ما أشير اليه بـ « رب ضارة نافعة » الى امكانية دائمة عن طريق تغيير سياستها النفطية بشكل يجعل انتاجها وتصديرها للنفط او لمنتجاته اكثر انطلاقا من الاعتبارات الداخلية واكثر ارتباطا باعتبارات التنمية المنشودة .

٣ ـ تزايد التوجه نحو خلق كيان موحد قابل للتنمية :

ان الكيان الموحد للمنطقة والذي تطمع استراتيجية التنمية والتكامل الى الانطلاق منه يوفر كيانا قابلا للتنمية يحقق الحد الادنى من : الموارد البشرية ، وتقع تحت سيطرته منطقة جغرافية واسعة ، وسوق محلية معقولة الحجم والامكانيات .

٣ ـ١ الموارد البشرية : يبلغ عدد المواطنين في دول المنطقة ما يقارب تسعة ملايين نسمة اغلبيتهم في سن الشباب ، يتوفر لهم مستوى تعليمي وصحي وغذائي ومعيشي وسكني جيد ، وهم محتكون بالعالم الخارجي ومطلعون على ما يجري حولهم الى حد لا باس به ، توجد بينهم فئات تتفهم ضرورة احداث التغييرات اللازمة من اجل دعم عملية التنمية والاسراع بمعدلات تحقيقها ، وهذه الفئات تتمتع بدرجة من الوعي السياسي ، والتطلع الاجتماعي الحضاري يمكن مقارنتها بمستوى شعوب الشريحة الاكثر تقدما ثقافيا من بين اقطار العالم الثالث .

ووجود هذه النوعية من الموارد البشرية يخلق امكانية حقيقية للتنمية اذا ما احسن الاستفادة منها ، وتم اشراكها في اتخاذ القرار،واذا ما توفر لادارتها نظام من الحوافز الايجابية المرتكزة على الربط الوثيق بين المكافاة والجهد ، واذا ما ربط الاجر بالانتاجية الحقيقية وهيىء للمراة ان

تقوم بدورها في الاسرة والمجتمع وتم تخفيف القيود الاجتماعية عليها ، بما لا يتعارض مع روح الدين الاسلامي وتراثه الحضاري الانساني .

ولعل نظرة سريعة الى تركيب المواطنين من حيث السن والمستوى التعليمي تبين مدى الامكانية البشرية المتاحة ، فمن حيث السن يشكل من تبلغ اعمارهم ثلاثين سنة واقل نسبة تصل الى ثلاثة ارباع السكان المواطنين ، ويشكل من تبلغ اعمارهم عشرين سنة فاقل حوالي الثلثين ، اما من تصل اعمارهم الى عشر سنوات فاقل فان نسبتهم تصل الى ثلث السكان المواطنين في المنطقة . ومن حيث المستوى التعليمي فان السكان المواطنين الذين تقع اعمارهم في فئة عشر سنوات فاكثر ، يمثل الحاصلون من بينهم على الشهادة الابتدائية وما هو اعلى منها في كل من الكويت والبحرين على سبيل المثال حوالي النصف ولا يزيد عدد الاميين منهم في الكويت عن الثلث وفي البحرين عن الربع .

ولعل هذا الحجم السكاني يوفر امكانية بشرية معقولة ، اذا ما اخذنا في الاعتبار امكانية التزايد الطبيعي للسكان والتي يمكنها ان تصل بعدد المواطنين في المنطقة الى حوالي ٢٠ مليون نسمة ، كما ان توفر امكانيات التعليم لكل الراغبين فيه ووجود امكانية لتحسين نوعية التعليم ، ورفع مستوى الخدمات الصحية وغيرها من المدخلات المؤثرة على نوعية الانسان ، يمكن ان توفر نوعية جيدة من الموارد البشرية .

٣ ـ ٢ الرقعة الجغرافية : تبلغ مساحة المنطقة ٢ر٥ مليون كم مربعا تقع في منطقة متوسطة واستراتيجية من العالم تحتضن الحرمين الشريفين ويرتبط بها تراث العرب شرفها الله بانطلاق الدعوة الاسلامية من ارضها وعلى اكتاف بنيها قامت الدعوة وانطلقت الحضارة العربية الاسلامية ذات البعد الانساني والتأثير الحضاري .

وهذه الرقعة الجغرافية الواسعة ذات التراث الحضاري ، والدور البارز في التاريخ ، وذات الانتماء العربي العميق ، تقع على البحر الاحمر والخليج العربي وبحر العرب ، وتنفذ على البحر الابيض والمحيط الهندي ، تحتضن صحراء واسعة يصلح قسم كبير منها للزراعة اذا ما توفرت المياه ، ويعتبر جزء منها مراعيا طبيعية اضافة الى توفر ارض زراعية بالنسبة للفرد (٣٨ر. هكتار اذا ما اخذ عدد السكان في الاعتبار هذا اضافة الى مخزونها المتواضع من المياه الجوفية ، ومصادرها المائية المتجددة ، اذا ما رشد استخدامها فانها تكفي لزراعة اضعاف المساحة المزروعة في الوقت الحاضر ، وهذه الامكانيات الطبيعية يمكن ان يعتمد عليها في انتـــاج قدر من احتياجات الغذاء من الأسماك واللحـــوم والالبان والمنتجـــات الزراعية الاخرى ، خاصة اذا ما عولجت اسباب معدلات الاستهلاك المبالغ فيها في الوقت الحاضر .

ان الموقع الجغرافي للمنطقة (بحرها وبرها) يوفر ايضا ميزات طبيعية وجغرافية تسهل التجارة الخارجية والداخلية ، وتتيح امكانية انتاج بعض مصادر الطاقة المتجددة التي يعول عليها في المستقبل مثل الطاقة الشمسية والهايدروجين من مياه البحر .

اضافة الى ذلك فان احتواء جوف الارض الطيبة على موارد طبيعية اخرى يوفر سندا لعملية التنمية المنشودة . وتأتي الموارد الهايدركربونية المعترف بغزارتها من زيت وغاز طبيعي مصاحب على رأس تلك الموارد . ثم ان المنطقة يتوفر لها قدر لا بأس به من الموارد الطبيعية غير الفلزية الصالحة لتصنيع مواد البناء واحتياجات الانشاءات ، هذا الى جانب كمية متواضعة من الخامات الأخرى مثل خام النحاس وخام الحديد وغيرهما من المعادن ، اضافة لما يحتويه جوف البحر من مواد واحياء يمكن تصنيعها والاستفادة منها .

٣ ـ ٣ حجم السوق : ان عدد سكان المنطقة وامكانية توفر قوة شرائية كبيرة ـ بعد كل اجراءات الترشيد وثبات متوسط نصيب الفرد من الاستهلاك عند مستواه الحقيقي الحالي البالغ حوالي ستة الاف دولار ـ يسمحان بايجاد سوق ذات حجم كاف لاستيعاب انتاج صناعي يبرر انشاء اغلب الصناعات التحويلية والنشاطات السلعية والخدمية ذات الحجم الاقتصادي الكبير ، ان مستوى مجموع الناتج المحلي الاجمالي للدول الست في المنطقة في العشرين سنة القادمة بافتراض حدوث انخفاض في متوسط الدخل الحقيقي للفرد من ١٧ الف دولار عام ١٩٨١ الى حوالي ١٢ الف دولار عام ٢٠٠٠ يمكن تقديره بما يفوق الناتج المحلي للهند وبما يقارب الناتج المحلي لاستراليا .

واذا ما أمعنا النظر في احصاءات الواردات وتوقعنا مدى الحاجة المستقبلية لسلع الانتاج والاستهلاك وخدماتهما واخذنا في الاعتبار امكانية إدارة الاقتصاد وترشيد احتياجات المجتمع والحـــد من الاستيراد ومنع الاغراق التجاري ، فاننا نجد ان حجم القوة الشرائية للمنطقة ومدى تنوعها يسمحان بخلق سوق يمكنها استيعاب معظم النشاطات الانتاجية كبيرة الحجم ـ ان لم يكن كلها ـ بل ان اغلب تلك الانشطة يمكن تكرارها في اكثر من وحدة انتاج سعيا لكسر قيود الاحتكار المخل بمتطلبات كفاءة الاداء ، وتحقيقا لمستوى من تكاليف الانتاج التنافسية بالقدر الذي يكون من العدل تحصيلها لمشتري سلع الانتاج والاستهلاك ، دون ارهاقهم بالتكاليف غير الضرورية تحت شعار الاعتماد على الذات أو تبني استراتيجية احلال الصادرات .

٤ ـ وجود بنية تحتية مـــادية متطورة :

ان حكومات المنطقة قد انجزت قدرا كبيرا وهاما من مشروعات الانتاج غير المباشر المكونة لمشروعات البنية التحتية المادية . فهناك العديد من الموانيء والمطارات والطرق البرية ووسائل الاتصالات ، وهناك العديد من المباني والمعدات تتمثل في المدارس والجامعات والمستشفيات ومشروعات الاسكان ، بالاضافة الى محطات انتاج الكهرباء وتحلية مياه البحر والمناطق الصناعية المتكاملة . وهذه المنشآت بالرغم من عدم التنسيق بينها على مستوى المنطقة في الوقت الحاضر وقلة تشابكها ، وتسخيرها لخدمة احتياجات الاستهلاك اكثر من

خدمتها للانتاج ، الا انها تبقى امكانية هامة تتيح للمنطقة ان تبدأ بانشاء مشروعات الانتاج من مزارع ومصانع وغيرها من وحدات الانتاج السلعى والخدمى المباشر دون معوقات تذكر بسبب نقص وعدم كفاية مشروعات البنية الأساسية . ان البنية التحتيةالمادية الراهنة يمكن اعتبارها بنية متطورة تضاهي في بعض اوجهها ما هو متاح للاقتصاديات الصناعية المتقدمة . كما ان المنطقة ما زال بامكانها استكمال بناء ما ينقصها،واحكام توجهها لخدمة الانتاج وترشيد استخدامها على مستوى المنطقة عن طريق التخطيط والتنسيق والادارة المشتركة لقطاعات البنية الاساسية .

٥ ـ وجود خبرة ريادية في بعض مجالات الادارة وتنظيم الانتاج :

استطاعت المنطقة بفضل ظروفها الخاصة ان تؤسس عدداً من المشروعات في ميدان الانتاج السلعي والخدمي المباشر وغير المباشر ، وقد تم ذلك في فترة قصيرة نسـبياً . وبالرغم مما يؤخذ على هـذه المشروعات من ارتفاع في تكاليف الانشاء والتشغيل ، وما تركته من محدودية التاثير على الوضع العام وما صاحبها ايضا من تجارب عديدة غير ناجحة في مجالات الادارة وتاسيس المشروعات ، الا ان ذلك قد كون خبرات وقدرات يمكن الاستفادة منها في المستقبل . ان وجود بناء اساسي للادارة العامة وادارة المشروعات العامة والخاصة يتيح نقطة انطلاق متقدمة لعمل الادارة في المنطقة بعد اصلاحها . واذا ما اتيح لهذه الادارة الدعم ببرامج اصلاح وتنمية ادارية سريعة فان تحولها الى ادارة للتنمية امر ممكن ، خاصة اذا ما اخذنا في الاعتبار حداثة الادارة العصرية وعدم ترسب عيوب الادارة التقليدية السائدة في البلدان النامية ذات التاريخ الاداري الطويل . ان البيروقراطيين الجدد من الخريجين ابناء المنطقة لم تمض عليهم بعد في مراكز القيادة المدة التي يتشبعون فيها بالروتين الثقيل والسلوكيات المنحرفة الى الدرجة التي يصعب اصلاحها .

لقد تكونت في المنطقة عبر الستينات والسبعينات بعض الكوادر القادرة والمسؤولة اكتسبت ريادية وعانت في سبيل توظيفها ، ومثل هذه الخبرة الريادية يمكن الاستفادة منها في تنمية كادر من القياديين في مجال التنمية ، ولعل اهتمام الدولة والمجتمع بهـذه النواة يسمح بوجـود الكوادر اللازمة لقيادة عملية التنمية .

٦ ـ امكانية تمويل التنمية دون حاجة لشد الأحزمة على البطون :

وهنا تبرز الامكانية المميزة للمنطقة ويكمن التحدى التاريخى ، فلعله من الحالات النادرة ان يتاح لقطر تام امكانية تمويل احتياجات مشروعات التنمية واستثماراتها الراسمالية دون ضغط على الاستهلاك الجارى للمجتمع ،ودون تحميل افراده عبئا ضريبيا يقتطع من عائد انتاجه كل فرد من اجل توظيفه فى استثمارات تقطف معظم ثمراتها الاجيال القادمة ، ان كل ما تحتاجه المنطقة لايتجاوز ترشيد الاســتهلاك . ومسالة ترشيد الاستهلاك العــام والخــاص فى حد ذاتهــا مطلوبة بالدرجــة الاولى من اجل إبقاء حافز كاف للافراد يدفع بهم الى المساهمة فى عملية التنمية ، وبذل جهودهم المنتجة من اجل تحقيقها ووقف الاهدار المضر للموارد المتاحة ، وليس من اجل توفير احتياجات تمويل التنمية . ان وجود الثروة النفطية باعتبارها ثروة عامة تتمتع بميزة تحقيق ريع اقتصادى كبير يصب فى خزينة الدولة نتيجة لوجود طلب عالى كبير على النفط ، سوف يحل مسالة تمويل التنمية فى العقدين القادمين ، خاصة اذا ما اضيف الى الامكانيات التمويلية التى يتيحها تصدير النفط الامكانيات التمويلية المتاحة والمتمثلة فى الارصدة الخارجية العامة للمنطقة . ان حجم هذه الارصدة المتراكمة فى الخارج فى نهاية ١٩٨٢م يقدر بحوالى ثلاثمائة بليون دولار .. واذا ما اخذنا فى الاعتبار قضية كونها احتياطيات راسمالية يجب ان تكون محجوزة للاستثمار طويل المدى لايجوز استخدام معظمها من اجل تمويل العجز المصطنع فى الميزانيات العامة ، فان هذا الحجم من التمويل يسمح بتاسيس ما يقارب ثلاثة الآف شركة ومؤسسة عامة (متوسط راس المال ١٠٠ مليون دولار) من مشروعات الانتاج المباشر فى مجال الصناعة والزراعة والثروة الحيوانية وفى قطاع الخدمات المالية وغيرها من فروع الخدمات الاقتصادية . وهذه القدرة التمويلية تصبح قدرة مضاعفة اذا ما اضيف لها القدرة التمويلية الراهنة للقطاع الخاص ، فى حالة اذا ما ضيقت عليه فرص الربح السريع فى نشاطات المضاربة وغيرها من سبل الكسب السهل ، ووجهت جهوده البناءة نحو المساهمة فى عملية التنمية .

ان المنطقة نتيجة لقدرتها التمويلية الراهنــة والمتوقعة بامكانهــا ان تمول كل ما يثبت ان له جدوى من الناحية الاقتصادية من مشروعات القطاع العام والخاص والمشترك ، سواء ما يكون منها محليا او اقليميا او عربيا ، اضافة لما هو مرتبط بخدمة المشروعات السابقة ودعمها . ان ذلك كله يتيح امكانية تمويل هائلة تحسد عليه المنطقة وتلام على عدم تحقيق الاستفادة القصوى منه .

٧ ـ تزايد امكانية التكامل العربى المتكافىء :

يتيح العمل العربى المشترك افاقا واسعة لتنمية المنطقة وامن كيانها الموحد . ان الوطن العربى يشكل العمق الاستراتيجى للمنطقة حيث لايمكن فصل عملية التنمية ومتطلبات الأمن الشامل لاى من اقطاره عن تنمية المنطقة وامنها الشامل ومما لاشك فيه ان امكانيات التكامل العربى تتعاظم عندما يكون للمنطقة كيان موحد يعمل بموجب استراتيجية للتنمية واضحة المعالم محددة الاولويات . إن المنطقة فى هذه الحالة تتجه نحو التكامل العربى وهى محددة الاهداف قادرة على التعامل المتكافىء الذى يعبر عن مصلحة جميع الاطراف . والمنطقة فى وضعها الجديد يمكنها منذ البداية ان تكون متجهة الى مجالات التعاون واوجه التكامل التى تساعدها فى التغلب على محددات الطاقة



نحو استراتيجية للتنمية في دول مجلس التعاون
"رؤية للإمكانيات"

الاستيعابية المنتجة لديها . ويمكن للمنطقة فى هذه الحالة أن تركز على مداخل التكامل التى تسمح بتعاظم امكانيات التنمية الداخلية ، وتتيح مجالات امنه لتوظيف احتياطياتها الاستثمارية وتبادل عناصر الانتاج واحتياجاته بما يعود على جميع الاطراف بفوائد متكافئة مضمونة التدفق ، نتيجة لما يوفره استمرارها من مصالح حقيقية دائمة متبادلة يحرص الجميع على ضمانها . هذا اضافة الى ان دور الكيان الموحد فى استراتيجيات ومجالات العمل العربى المشترك الاخرى يمكن ان يؤدى الى تطويره بما يسمح للمنطقة ان تكون شريكا كاملا عليه واجبات متكافئة مع واجبات الأطراف الاخرى وله حق فى المنافع التى يخلقها العمل العربى المشترك ، الامر الذى سوف يغير النظرة الى العمل العربى المشترك ويبعده عن مفهوم العون ، ويحرره من تفشى النظرة القطرية التى تنظر الى حقوقها من منطلق قومى بينما تؤدى واجباتها من منطلق المصلحة القطرية الآنية الضيقة . ان العمل العربى المشترك يتيح امكانيات حقيقية ، على المنطقة ان تستفيد منها عن طريق ضمان حق النجاح لأوجه نشاطات العمل العربى ، وابعاد ادارة المشروعات العربية المشتركة فى جميع المجالات عن طغيان الاعتبارات الآنية ومخاطر المجالات السياسية التى تحول العمل العربى المشترك الى نشاط من نشاطات العلاقات العامة على حساب دوره التنموى واهميته الاستراتيجية لجميع الاقطار العربية دون استثناء .

د . على خليفة الكوارى

هـــامـــش

● اجمالى المساحة المزروعة ٤٧٥ الف هكتار تبلغ المروية منها ١٤٧ الف هكتار .

قطــــر

شعر: محمد مروان جميل مراد
الكويت

« أروعُ اللحنِ لوحةٌ ... صاغها الشعرُ ، وابتكرْ
جَمَعتْ أعذبَ الرؤى ... غزلَتْ شيِّقَ الصُّوَرْ
حمَلَتْني لعالمٍ ... لم يَدُرْ قطُّ فى الفكَرْ
فهنا العِطرُ سكبهُ ... ذابَ فى ناضرِ الزَّهَرْ
وهنا النور جدولٌ ... شفَّ كالحلم وانهمَرْ
والعصافيرُ جوقةٌ ... تتناجى على الشَّجَرْ
وأنا تحت أيكةٍ ... شاردُ اللبِ والنظرْ
أنهلُ الضوءَ والشَّذَى ... ألثمُ العشبَ والمطَرْ
وأغنى مولَّهًا ... فرحُ الكونِ لي وتَرْ
هذه جنةُ الهوى ... حلم العمر .. ذى «قَطَرْ»

● ● ●

« قطرُ » العُرب شادَها ... ساعدُ العزْمِ والظَّفَرْ
هتف المجدُ باسمِها ... إذ رأى وجهَها الأغر
جَعَلَ الصدرَ صرحَها ... ولها العزُّ قد نَذَرْ
الميامينُ أهلُها ... درعُها ساعةَ الخطَرْ
رفعوا ثوق هامها ... علَمَ الحق فانتصَرْ
وأضاءوا دروبَها ... فسمَا الفكرُ وازدهَرْ
جعلوها منارةً ... للمروءاتِ والكبر
فارفع الكف ضارعا ... سائلا خالقَ البشَرْ :
رب صُنها على المدى ... « قَطَرٌ » .. درة الدرَرْ . »

القضية الفلسطينية في البيانات الختامية لدول مجلس التعاون

من البيان الختامى للدورة الأولى

● اعلن أصحاب الجلالة والسمو بان ضمان الاستقرار فى الخليج مرتبط بتحقيق السلام فى الشرق الأوسط الأمر الذى يؤكد على ضرورة حل قضية فلسطين حلا عادلا يؤمن الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني بما فيه حقه فى العودة إلى وطنه وإقامة دولته المستقلة ويؤمن الانسحاب الاسرائيلى من جميع الأراضى العربية المحتلة وفى طليعتها القدس الشريف .

وبحث أصحاب الجلالة والسمو الوضع الخطير الناتج عن تصاعد العدوان الصهيونى على الأمة العربية وناقشوا بروح من المسؤلية القومية تمادى إسرائيل فى انتهاك سيادة واستقلال لبنان الشقيق والقصف الوحشى للمدن والقرى اللبنانية والمخيمات الفلسطينية وحرب الابادة التى تقوم بها ضد الفلسطينيين واعتداءاتها على قوات الردع العربية وتهديداتها لسوريا الشقيقة واكدوا وقوفهم إلى جانب سوريا ومساندتهم الكاملة لها وناشدوا جميع الأطراف فى لبنان بضرورة نبذ الخلافات وإيقاف الدم المتدفق على الأرض اللبنانية وبدء مفاوضات الوفاق فى إطار الشرعية اللبنانية .

من البيان الختامى للدورة الثانية

● بحث المجلس كذلك الوضع فى منطقة الشرق الأوسط . واكد مجددا تاييده المطلق لنضال الشعب الفلسطيني من اجل حقه غير القابل للتصرف فى تقرير مصيره بنفسه وانشاء دولته المستقلة على أرضه تحت قيادة منظمة التحرير الفلسطينية .

وجدد المجلس ايمانه بانه لا سبيل لتحقيق سلام عادل فى الشرق الاوسط الا بانسحاب اسرائيل من جميع الاراضى العربية المحتلة بما فيها القدس الشريف وازالة المستعمرات الاسرائيلية التى تقام على الأراضى العربية .

واستعرض المجلس ردود الفعل العربية والدولية حول مبادىء السلام التى اعلنتها المملكة العربية السعودية بشان الحل العادل والشامل للقضية الفلسطينية . وقرر المجلس الطلب من المملكة العربية السعودية ادراجها على جدول اعمال مؤتمر القمة العربى الثانى عشر المقرر عقده فى المغرب بهدف بلورة موقف عربى موحد حول القضية الفلسطينية .

من البيان الختامى للدورة الثالثة

● تدارس المجلس التطورات المتعلقة بالنزاع العربى الاسرائيلي وفى هذا الصدد اكد المجلس تاييده للقرارات والبيانات التى اتخذها مؤتمر القمة العربى الثانى عشر الذى عقد فى مدينة فاس بالمغرب . واستعرض نتائج الاتصالات الأولى التى قامت بها اللجنة السباعية المنبثقة عن مؤتمر فاس برئاسة جلالة الملك الحسن الثانى ملك المملكة المغربية .

واعرب عن تاييده لكل المساعى التى تحقق الأهداف العربية . كما حددها مؤتمر فاس وجدد إيمانه بأنه لا سبيل لتحقيق سلام عادل ودائم فى منطقة الشرق الأوسط إلا بانسحاب اسرائيل من جميع الاراضى العربية المحتلة ، بما فيها القدس الشريف وازالة جميع المستعمرات الصهيونية التى اقيمت وتقام على الاراضى العربية المحتلة وقيام الدولة الفلسطينية على ترابها الوطني بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعى الوحيد لشعب فلسطين .

كما اكد تاييده التام للبنان فى المحافظة على سلامته وسيادته واستقلاله ووحدة اراضيه . ويطالب بالانسحاب الاسرائيلى الفورى وغير المشروط من جميع الأراضى اللبنانية .

تنشر الدوحة على هاتين الصفحتين مقطعاً من القصيدة الجديدة الطويلة « انشودة الخليج » للشاعر القطرى الكبير مبارك بن سيف آل ثاني ، وسوف تكون هذه القصيدة ـ كاملة ـ فى كتاب بين ايدى القراء خلال ايام ، وقد جاءت القصيدة عملا فنيا كبيراً متكاملا يعبر عن صدق الاحساس ، وعمق الرؤية لتاريخ الخليج وكفاح الانسان العربى على شواطئه ، ولسوف تحتل هذه القصيدة او الملحمة مكانها البارز فى ادب الخليج المعاصر بما تحقق لها من قوة البناء وجمال التعبير وأصالة التجربة .

« الدوحة »

أنشودة الخليج



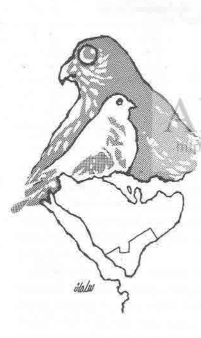
شعر:
مبارك بن سيف آل ثاني

لَكَ ياخَليجُ تَحيَّةٌ وَوَلاءُ
هِيَ ذي القُلوبُ ونَهْجُها القُدَماءُ
في الحُبِّ في الأَخْلاقِ في شِيَمِ الذُّرَى
في العَهْدِ ، إنّا لِلعُهودِ وفَاءُ
في سِيرَةٍ هي كالشِّهابِ بَريقُها
ضَاءَتْ بِشَطِّكَ سِيرَةٌ سَمْحَاءُ
وَأَتَى بَنُوكَ اليومَ بَعْدَ فِراقِهِمْ
فَسَبِيلُهُمْ بَعْدَ الفِراقِ إِخَاءُ
يَبْنُونَ مَجْدَكَ وَحْدَةً عَرَبيَّةً
فَهُمُ إِلى سَبْقِ العَطَاءِ ظِمَاءُ

وَهُمُ إلى لَمِّ الشَّتَاتِ سَوَابِقٌ
وَهُمُ إلى هَذي الأُلَى رُفَقَاءُ
يَحْدُوهُمُ خَيْرُ الخَليجِ وَأَمْنُهُ
إنّ الإِخَاءَ تَعَاوُنٌ وَبِنَاءُ

يا قَادَةَ الشَّطِّ الرَّحِيبِ هُدِيتُمُ
مَهْمَا تَرَامَتْ بَيْنَكُمْ آراءُ
كُونُوا المنَائِرَ لِلْعُلا وعِمَادَهُ
فَبِوَحْدَةٍ تُسْتَمْلَكُ الْعَلْيَاءُ
هَذا خَلِيجُكُمُ يَقُولُ مُنَادِيًا
يَرْجُو الوِفَاقَ، فَهَلْ لَهُ أَصْدَاءُ؟
حَاطَتْ بِهِ الأَطْمَاعُ تَرْتَقِبُ الْخُطَى
كَسَفِينَةٍ حَاطَتْ بِهَا الأَنْوَاءُ
سِيرُوا بِنَا قُدُمًا، فَنَحْنُ مَوَاكِبٌ
لَكُمُ مِنَ الشَّعْبِ الوَفِيِّ وَلاءُ

يا مَجْلِسًا فيه رأيْتُ أَمَانِيًا
الصِّدْقُ فِيهِ وَاضِحٌ وَضَّاءُ
هَا أَنْتَ بَذْرٌ تُرْتَجَى ثَمَراتُهُ
فالوَارِفَاتُ عَطَاؤُهَا أَفْيَاءُ
ها أَنْتَ وَادِي الخِصْبِ مَادَامَتْ بِهِ
أَيْدٍ تُرَاعِيهِ لَهُ أُمَنَاءُ
ها أَنْتَ بَيْتٌ للصَّدِيقِ مُشَرَّعٌ
ها أنْتَ حِصْنٌ دُونَهُ الأَعْدَاءُ



دُمْ - ياخَلِيجُ - فَإِنَّ مَجْدَكَ غَايَةٌ
وَبِحِكْمَةٍ تُسْتَجْمَعُ الأَجْزَاءُ
دُمْ - ياخَلِيجُ - فَإِنَّ عِزَّكَ نَهْجُنَا
والمخْلِصُونَ عُقُولُهُمْ إِيحَاءُ
دُمْ - ياخَلِيجُ - فإِنَّ أَمْسَكَ مَجْدُنَا
والعَابِرَاتُ ضِيَاؤُهُنَّ سَنَاءُ
دُمْ - ياخَلِيجُ - مَوَاكِبًا وَمَسِيرَةً
وَبَشَائِرُ الأَفْرَاحِ فِيكَ غِنَاءُ
إنَّا بَنَيْنَا في رُبَاكَ حَضَارَةً
هِيَ لِلْعُلا رَمْزٌ لَهُ وَوَفَاءُ

الخصوصية الخليجية والمداخل المناسبة لتحقيق التكامل الاقتصادي



تأليف: الدكتور مصطفى عبد العزيز مرسي
عرض وتقديم: عصام شريح

بين أيدينا كتاب أصدرته وزارة الخارجية بدولة قطر ، وهو بعنوان « مجلس التعاون لدول الخليج العربية ـ الخصوصية الخليجية والمداخل المناسبة لتحقيق التكامل الاقتصادي » ، والكتاب من تاليف « دكتور مصطفى عبد العزيز مرسي » ، الذى عمل كخبير (معار) بوزارة خارجية دولة قطر لمدة سبع سنوات ، ويعمل خالياً مستشاراً بوزارة الخارجيـة المصريـــة .

والكتاب بحق ، من افضل الدراسات المنشورة حول موضوع التكامل الاقتصادي لدول مجلس التعاون الخليجي حيث حاول المؤلف بنجاح وتوفيق ملحوظين من وضع مسالة التكامل الاقتصادي لدول الخليج العربية الست ، فى اطار علمي مدروس ومحدد ، ومن وضع المعايير المناسبة للمشروعات المشتركة فى اطار عملية التكامل الاقتصادي ، بما يلائم الخصوصية الخليجية ، وهو إن استشهد ببعض هذه المعايير من منظمات اقتصادية ـ سياسية أجنبية كالسوق الاوروبية المشتركة ، او التجمع المعروف باسم « مجموعة الاندين » لدول امريكا الوسطى الخمس (نيكاراجوا والسلفادور وكوستاريكا وجواتيمالا وهندوراس) ، إلا انه حذر من مغبة التقليد الاعمى ، أو استخدام تلك المعايير والتجارب بحرفيتها ، لأن ما يصلح منها لمنطقة ما ، لايعني بالضرورة انه يصلح لمنطقة اخرى .

دولة قطر
وزارة الخارجية

مجلس التعاون لدول الخليج العربية
الخصوصية الخليجية
والمداخل المناسبة لتحقيق التكامل الاقتصادي

دكتور مصطفى عبد العزيز مرسي

الطبعـــة الأولى

الدوحة ـ ١٩٨٢ م

غلاف الكتاب

والآن .. لننتقل من التلميح الى التفصيل ، ولنتعرف ـ بايجاز مكثف ـ على اهم الأفكار التى حواها كتاب الدكتور مصطفى عبد العزيز مرسي .

في الباب الأول من الكتاب ، يركز المؤلف على مسالة انتماء دول مجلس التعاون الخليجي الست الى مجموعة العالم الثالث او الدول النامية ، وهو ينقد بذلك وبشدة ، الآراء التى تحاول الترويج لفكرة تصنيف هذه الدول ضمن ما يسمونه بمجموعة « العالم الرابع » . والمروجون لهذه الفكرة ينطلقون من فرضيات غير واقعية ، تقول إن دول مجلس التعاون تحيا في ظل وضع غير عادي ، فهي دول نامية لا تنطبق عليها القواعد المعروفة بالنسبة للتنمية في بلدان العالم الثالث ، دون إدخال تعديلات جوهرية على هذه القواعد ، ويضيف هؤلاء ، إن بعض هذه البلدان العربية النفطية تتمتع بدخل عال جداً ، يتحقق معظمه في شكل نقدي لقاء ثروة غير متجددة ، واستناداً الى هذه المقولة ، فان اصحاب هذا الراي يرون تصنيف دول الخليج العربية ضمن مايسمونه بـ « العالم الرابع » ، حيث أن مجتمع الخليج العربي لا ينتمي الى التعميمات القائمة والمعترف بها في تصنيف المجتمعات الى متخلفة او اخرى نامية من جهة ، ومتطورة او اخرى متقدمة من جهة ثانية ، خاصة وان هذا المجتمع يجمع بين نقيضين هما : الدخل القومي ومعيار الدخل الفردى بصورة مطلقة الذى يضعه في مصاف الدول المتقدمة ، ثم تخلف الهياكل الاقتصادية الاساسية او الظروف الاجتماعية والحضارية المتشابكة التى تضع مجتمع الخليج العربي في سلم الدول النامية او المتخلفة .

ويدحض المؤلف هذه المزاعم التى تحاول تصنيف دول مجلس التعاون الخليجي ضمن ما يطلق عليه اسم مجموعة « دول العالم الرابع » ، ويقول فى هذا المجال : « .. إنه إذا كانت عائدات النفط قد أعطت هذه الدول قدرة نسبية على إدخال بعض التغيير على جوانب التخلف ، وجعلها اقل حدة ، ومكنتها من تحقيق تقدم نسبي فى بعض المجالات ، ودفعت بها الى مستوى مرتفع من الاستهلاك دون المرور بمراحل التنمية الاقتصادية الطبيعية ، او معايشة ظواهرها ، إلا انه علينا الا ننبهر بالشكل ، وننسى الجوهر تحت تاثير شعور الاغتباط بالنفس ، فالدول الخليجية العربية مازال تعتبر بمؤشراتها الاقتصادية والاجتماعية، ضمن مجموعة دول العالم الثالث ، ومفهوم التنمية هو اكثر شمولا وعمقا من المفهوم المادي المقاس بمتوسط الدخل ، كما ان الثراء المؤقت او العارض لا يعني تقدماً » .

وانطلاقا من هذا الواقع ، يدعو المؤلف الى تركيز دول مجلس التعاون بثبات على برامج التنمية التكاملية فعلا فيما بينها ، لتحقيق اعلى مردود اقتصادي واجتماعي ، بالاستخدام الرشيد لعائدات النفط ، في تطوير انماط بديلة للانتاج والتبادل والاستهلاك ، وتحويل مصادر الثروة الناضبة الى مصادر ثابتة ومتجددة ، تجنب هذه الدول مخاطر تحول اقتصادياتها الى مجرد اقتصاديات ريعية لمجتمعات استهلاكية .

بين التكامل الاقليمي والتكامل القومي

ويحذر المؤلف من وهم توافر الثروة المتداولة ، والخضوع تحت تاثير هذا الوهم إلى فكرة مخربة مؤداها ان دول الخليج الست ليست بحاجة الى التكامل فيما بينها ، وحتى فى حال قبول فكرة التكامل الاقتصادي على الصعيد الاقليمي فان هذا التكامل ليس مطلوباً من هذه الدول على صعيد الوطن العربي ككل ، بل ان هذا التكامل يتعارض مع فكرة التكامل القومي

وفي الواقع فان الذين يروجون لمثل هذه الفكرة هم إما قصيرو النظر غالبا ، او غير صادقي النوايا احيانا ، ولعل الشيء الذى يثلج الصدر هنا ، ان « اتفاقية انشاء مجلس التعاون لدول الخليج العربية » لم تاخذ اطلاقاً بالمعنى الضيق « لمفهوم التعاون » فيما بينها ، او فيما بينها وبين بقية الدول العربية خارج اطار منطقة الخليج ، فقد جاءت نصوص الاتفاقية الاقتصادية الموحدة التى وقعتها الدول الست الاعضاء في مجلس التعاون خلال قمة الرياض (تشرين الثاني ـ نوفمبر ١٩٨١) لتحسم الاجتهاد فى التفسير والتاويل (على حد تعبير المؤلف) ، فمطالعة نصوص الاتفاقية الموحدة لدول مجلس التعاون توضح أن من بين اهداف انشاء مجلس التعاون ، الوصول الى جعل الدول الست بمثابة سوق مشتركة يتم فيها « إعفاء جميع المنتجات الزراعية والحيوانية والصناعية ومنتجات الثروات الطبيعية ذات المنشا الوطني من الرسوم الجمركية والرسوم ذات الأثر المماثل ، فضلا عن مواجهة العالم الخارجي بسياسة وحائط جمركي موحد » .

يضاف إلى ما تقدم ان الاتفاقية نصت على ضرورة « اتفاق الدول الاعضاء على القواعد التنفيذية الكفيلة بمعاملة مواطني دول مجلس التعاون في اية دولة من هذه الدول ، نفس معاملة مواطنيهم دون تفريق او تمييز بالنسبة لحرية العمال والانتقال والاقامة وحق التملك والارث والايصاء وحرية ممارسة النشاط الاقتصادي وحرية انتقال رؤوس الاموال » . كما ان طموح الاتفاق يمتد الى العمل على « تحقيق التنسيق والتجانس بين خطط دول مجلس التعاون الانمائية بهدف الوصول الى التكامل الاقتصادي فيما بينها » .

اما بالنسبة للتكامل الاقتصادي العربي الشامل مستقبلا ، فهو لا يتناقض ـ كما يقول المؤلف ـ مع التطلعات الاقليمية للتكامل الاقتصادي ، إذا توفرت المقومات الضرورية لهذا التكامل العربي على الصعيد القومي ، وهناك امثلة حية امامنا للتوفيق بين الولاءين الاقليمي والقومي ، ويقدم لنا الدكتور مرسي مثلا على ذلك بانتماء كل من بلجيكا وهولندا ولوكسمبرج الى التجمع الاقتصادي الثلاثي المعروف بـ « البنولكس » ، مع انتماء هذه الدول وفي نفس الوقت لعضوية السوق الأوربية المشتركة .

وتاكيداً على الاتجاه القومي لدول مجلس التعاون ، فان بيان وزراء الخارجية الصادر في الرياض بتاريخ ٤/٢/١٩٨١ ، قد اكد على ان إقامة هذا المجلس ، يعتبر جزءاً لا يتجزأ من التكامل العربي الشامل ،

الخصوصية الخليجية والمداخل المناسبة لتحقيق التكامل الاقتصادي

وليس بديلا عنه ، وإنما هو احد المداخل إليه ، وقد اكد هذه الرؤيا الاستراتيجية ، الأمين العام لمجلس التعاون الخليجى السيد عبد الله يعقوب بشارة بقوله : «... إننا جزء لا يتجزأ من العالم العربى ، لأن قوتنا لا معنى لها على الاطلاق إذا فصلنا انفسنا عن باقى الأمة العربية» .

وفى هذا الباب من الكتاب – الباب الثانى – يشير المؤلف الى مسالة مهمة فعلا ، وهى ان التكامل الاقتصادى الخليجى يهيىء القاعدة المادية الاساسية لتكامل امنى خليجي مشترك ، ذلك ان وجود مصالح اقتصادية متبادلة ومتشابكة فيما بين دول مجلس التعاون «تدفع بشكل علمى ومصلحى ملموس نحو إرساء سياسة أمن ودفاع مشتركة نابعة من المنطقة ، بحيث تكون اكثر قدرة على حماية المصالح المشتركة ومواجهة محاولات تدخل الدول الأجنبية تحت شعار زائف هو ملء الفراغ فى منطقة الخليج» .

الخصوصية الخليجية

اشرنا فيما سبق ، الى ان من الخطا البالغ استعارة نموذج او اسلوب ما لتحقيق التكامل الاقتصادى وتطبيقه بحرفيته فى منطقة لم يوضع لها اصلا ، وذلك لسبب بسيط هو الخصوصية التى تتمتع بها كل منطقة من مناطق العالم من حيث الهيئة ومن حيث الديمغرافيا ، وعلى ذلك فان لكل منطقة اقليمية ظروفها وخصوصيتها التى تحكم اختيار الاسلوب والمداخل المناسبة لعلاقاتها التكاملية ، على أن ذلك لا يعنى عدم الاسترشاد بتجارب واساليب التكامل المطبقة فى الدول الصناعية ، بل إن ذلك جائز ومطلوب احيانا ، ولكن بحذر شديد وبالابتعاد عن الاقتباس الحرفى والتطبيق النظرى الاعمى ، لأن فشل التجربة سوف ينعكس على شكل إحباط نفسى وزعزعة القناعة بجدوى مشروعات التكامل . وانطلاقا من هذه الرؤيا يقول الدكتور مرسي : «إن اسلوب التبادل التجارى وتلقائية عوامل السوق المتبعة فى السوق الاوروبية المشتركة لتحريك وتوجيه التكامل ، لا يكفيان كبداية فى حالة مجلس التعاون نظرا لضعف أو عدم وجود قطاعات انتاجية لخلق تيارات التبادل التجارى الخليجى ، لذا فان الية تحرير التبادل التجارى يجب ان تعتبر خطوة لاحقة ، وليست الخطوة الاولى فى عملية التكامل الاقتصادى الخليجى ، كما ان الية السوق لا تكفى وحدها لاحداث هذا التكامل ، بل لابد من تدخل الدول الخليجية ، انبثاقا من دورها الاقتصادى الرئيسى ، لدفع وتنشيط الية التكامل عن طريق المشروعات المشتركة وهذا لا يعنى بطبيعة الحال إهمال دور القطاع الخاص فى الاسهام بدوره فى التكامل الخليجى ، والاستفادة من الحوافز الفردية فى إحداث التشابك فى الانتاج الخليجى» .

إذن .. فالمطلوب من دول مجلس التعاون ان تخضع اى اسلوب او نمط للتكامل الاقتصادى مقتبس من الخارج ، لخصوصيتها الاقليمية وبيئتها الجغرافية والبشرية ، بما يتمشى ويتفاعل مع هذه الخصوصية وهذه البيئة . ويفضل هنا تخطى اسلوب تقليد الأنماط القانونية او التنظيمية المعمول بها فى المنظمات او التجمعات الاقتصادية الاجنبية كمجموعة السوق الاوروبية المشتركة ، ومجموعة «الانديز» لدول اميركا الوسطى .. وغيرها ، واللجوء بدلا من ذلك الى تطوير صيغة اكثر تلاؤما مع الشخصية والبيئة الخليجيتين ، وينصح المؤلف فى هذا المجال ، بالاسترشاد باسلوب المشروعات المشتركة التى انشئت فى إطار منظمة الاقطار العربية المصدرة للبترول (اوابيك) والاخذ بالدروس المستفادة منها ، فضلا عن وجود عدد من المنظمات الاقليمية المتخصصة ، وفى مقدمتها منظمة الخليج للاستشارات الصناعية التى يمكن ان تسهم بخبراتها العلمية والعملية فى بلورة نماذج واساليب تشكل إطار النظام القانونى للمشروعات الخليجية المشتركة ، على ان يتم ربط هذه المشروعات باستراتيجية اقتصادية خليجية موحدة ، هدفها إعادة بناء الهيكل الاقتصادى لدول الخليج العربية من ناحية ، وربطها باستراتيجية العمل الاقتصادى العربى المشترك من ناحية اخرى .

ويحذر المؤلف من الاستناد بشكل احادى الجانب الى اعتبارات «السوق» – او ما يسمى بـ «الاربحية» – اى نظرية النفقات النسبية المطبقة فى بعض تجمعات الدول الصناعية ، حتى ولو ادى ذلك فى البداية الى زيادة حجم كلفة مشروعات التكامل ، إذ لابد عند تخطيط عملية التكامل الاقتصادى لدول الخليج العربية ، من اخذ هذه المسالة فى الاعتبار ، واحتسابها عبئا لابد من تحمله ليعطى على المدى البعيد عائدا مجزيا يتمثل فى تحقيق مزيد من الاستقلال الاقتصادى ، وإقامة هيكل اقتصادى متنوع ومتوازن التكوين ، يشبع الحاجات الاساسية لشعوب المنطقة .

اما بالنسبة لتهيئة كافة الظروف المناسبة لنجاح تجربة التكامل الاقتصادى بين الدول الست ، فقد اقترح الدكتور مرسي «نظاما قانونيا متكاملا يهيىء إطارا منسقا تعمل من خلاله المشروعات الخليجية المشتركة ، وتمارس بمقتضاه نشاطها فى جميع الدول الاعضاء بمجلس التعاون وفق قواعد قانونية وتعامل وامتيازات موحدة تحقق لها الاستقرار والاستقلال القانونى والفاعلية والدعم» ... ويتلخص هذا النظام القانونى الذى يقترحه المؤلف فى البنود الثلاثة التالية :

١ – اسلوب توحيد القوانين : وهذا الاسلوب يقوم على تبنى دول الخليج العربية الاعضاء بمجلس التعاون قانونا موحدا يتضمن منح معاملة وطنية واحدة للمشروعات المشتركة للتكامل .

٢ – اسلوب وضع المشروعات القائمة فى إطار جديد : ويتلخص هذا الاسلوب فى اكتساب المشاريع القائمة فى إقليم ما ، إطارا جديدا يسمح لها بحرية العمل ، ومد وتوسيع نشاطها الى بقية الدول الاعضاء فى مجلس التعاون . على ان ذلك يقتضى بالضرورة وضع نظام جديد للشركات التجارية متعددة الجنسية ، بحيث تخضع هذه الشركات إما للقوانين المحلية لكل دولة عضو ، او لنظام قانونى إقليمى يتم التوصل اليه بالاتفاق فيما بين الدول الاعضاء ، كما ان هذا الاسلوب يتطلب وضع تشريع مستقل للتحكيم من اجل ضمان وحدة الاجتهاد والتفسير القانونى وفض المنازعات .

٣ – اسلوب منح صفة الوضع الخاص

للمشروعات المشتركة : وفقا لهذا الاسلوب لابد من وضع إطار مسبق ينظم إقامة المشروعات الاقتصادية المشتركة ، وتبعا لذلك فان الدول الاعضاء فى المجلس يتوجب عليها الاتفاق على حدة لكل حالة من او مشروع ، بحيث يتم منح صفة «الوضع الخاص» لمشروعات معينة يتم انشاؤها على اراضي احدى دول مجلس التعاون ، ويتم اختيار هذه المشروعات وفقا لمعايير معينة ، كالمجال الذى ستمارس فيه الشركة صاحبة المشروع نشاطها ، ونسبة مشاركة كل دولة فى راس المال وعدد هذه الدول ، ومدى خضوعها لقيود شراء المواد الخام اللازمة للانتاج ، وقيام هذه الشركة بتسويق انتاجها فى المنطقة (منطقة الخليج) ،ومدى إعفاء المنتجات من الرسوم والضرائب ، او خضوعها لتعرفة موحدة ، ومدى حرية هذه الشركة فى ممارسة نشاطها فى اسواق الدول الاعضاء ، كما لو كانت سوقا محلية موحدة .. الخ .

عوامل ايجابية

من المعروف ان التكامل الاقتصادى ليس عملية عفوية ، بل هو عملية معقدة تتطلب جهوداً متواصلة عبر مراحل زمنية متتالية للتوفيق بين عوامل التباعد والتقارب داخل التجمع الاقتصادى الاقليمى المعنى ، ولهذا فان توفر الحد الأدنى من عوامل التقارب والتوافـــق الاجتمـــاعي والاقتصـــادي والسياسى يوفر بدوره قاعدة لنجاح عملية التكامل الاقتصادى ، وبالنسبة لدول الخليج العربية الاعضاء فى مجلس التعاون ، فان العوامل الايجابية الموحدة او المقربة كثيرة والحمد لله ، مما يدفع عملية التكامل الاقتصادى فيما بين هذه الدول الى الأمام ، مادامت النوايا لاحراز النجاح متوافرة ، ومادام الطموح والشعور الوطنى والقومى هو الأرضية التى تنطلق منها هذه النوايا . ويمكن الاشارة الى هذه العوامل الايجابية بايجاز ، بالتجانس بين شعوب المنطقة ، وتشابه العوامل البيئية والمناخية والجغرافية الى حد التطابق احيانا كثيرة ، فشعوب المنطقة عربية تجمعها رابطة الدم والقربى اضافة الى روابط الدين واللغة والتاريخ المشترك ، كما ان أرض دول الخليج هى ارض واحدة اصلا ، إذ ليس بين الدولة والاخرى اية تضاريس أرضية تمنع التفاعل الحياتى او تحد منه بين شعوبها ، كالجبال الشاهقة والبحار او الصحارى القاحلة او الأنهار الكبيرة ، كما ان الانظمة السياسية لدول مجلس التعاون الست هى انظمة متقاربة او متشابهة فى اسسها الفلسفية والمذهبية وهذه العوامل مضافة الى التقارب فى فلسفة النظلم الاقتصادى لكل دولة منها ، تعتبر عوامل مساعدة على إنجاح التكامل الاقتصادى المنشود . لكن المؤلف يشير الى نقطة هامة جداً هنا ، وهى ان عملية التكامل لا يمكن لها ان تؤتي ثمارها إلا بتوفير عامل الثقة المتبادلة بين دول مجلس التعاون ، ذلك ان جهود التكامل لا تفرز نتائجها الطيبة لكافة الأطراف ، إلا بعد انقضاء فترة زمنية ، فاذا لم يتوفر الحد الادنى المطلوب فى هذا المجال ، فان عملية التكامل الاقتصادى تكون محفوفة بالاخطار ولذلك يطالب المؤلف بان تنطلق عملية التكامل دفعة واحدة ، وفى جميع المجالات من سياسية واقتصادية وثقافية .. الخ ، وذلك بسبب الطبيعة المعقدة والمركبة لعملية التوحيد الاقتصادي ، وبسبب التفاعل المتبادل بين جوانبها وعواملها المتعددة .

لذا فان عملية التكامل الاقتصادى بين دول مجلس التعاون الخليجى ، يجب ان تكتسب بالضرورة بعداً استراتيجيا ، حيث ان هذه الدول لا تشكل وحدة جغرافية وتاريخية متجانسة ومتصلة فحسب ، بل إن لها موقعا محدداً فى خريطة الصراعات السياسية والاقتصادية الدولية المعاصرة ، فهى تشترك فى مواجهة مجموعة من المخاطر والاعتبارات السياسية والامنية تضيف بالضرورة بعداً سياسياً واستراتيجياً لا غنى عنه لأية عملية تعاون او تكامل اقتصادي بين دول الخليج العربية ، على حد تعبير الدكتور محمود عبد الفضيل .

تقييم عام .. ونقد

لقد جاء كتاب « مجلس التعاون لدول الخليج العربية ـ الخصوصية الخليجية والمداخـــل المناسـبة لتحقيـق التكامـل الاقتصادى » للدكتور مصطفى عبد العزيز مرسي ، والذى تولت وزارة خارجية دولة قطر نشره وتقديمه الى القاريء العربي ، ليضيف جديداً الى المكتبة الخليجية بشكل خاص والمكتبة العربية بشكل عام ، فهذه الدراسة الموضوعية والجادة حاولت استشراف افاق المستقبل بالنسبة للتعاون والتكامل الاقتصادي بين دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية ، وقد تمكن الباحث من رسم اطار محدد احيانا ، وعام احيانا للتكامل الاقتصادي الخليجي ، وإذا كان قد اصاب الى حد بعيد في وضع صورة للتنسيق بين الدول الست في المجال الاقتصادي ، فانه اكتفى بالتلميح والاشارة الى مسالة التنسيق الامني والدفاعي ، علما بان هذه المسالة شديدة الاهمية بالنسبة للتكامل الاقتصادي ، لارتباط عملية التكامـــل والازدهـــار الاقتصـــادي بتنسيق السياسات الامنية والدفاعية بما يعزز الكيان الاقتصادي لدول الخليج ، ويحميه من العواصف الطارئة ، وكنا نتمنى لو ان الدكتور مرسي توسع في هذه المسالة ، ولعل هذا التمني يجد قبولا لدى الباحث ويتحقق فى الطبعات التالية من الكتاب ، او في دراسة جديدة تفرد لهذه الغاية .

اما النقد الرئيسي الذى يوجه للكتاب ، فهو الأخطاء اللغوية العديدة ، والفادحة احيانا ، التى وقع فيها الكاتب ، وكان من الأجدر في رأينا عرض مسودة الكتاب على اختصاصي في اللغة العربية قبل دفعه الى المطبعة ، وهذا ما نامله من المؤلف في الطبعة الثانية . لكن هذه المسالة ـ على الرغم من اهميتها ـ فانها لا تبخس الكتاب قيمته وحقه فى استيفاء المادة العلمية والمنهج العلمي الموضوعي في البحث ، وهذا ما يدفعنا الى القول إن كتاب الدكتور مصطـفى عبـد العزيـز مرسي حـــول الخصوصية الخليجية للتكامل الاقتصادي بين دول مجلس التعاون يستحق التقدير والقراءة المتانية .



الواقع الاقتصادي في دول مجلس التعاون خلال عام

اللجان والهيئات

عقدت اللجان المختلفة المتفرعة عن المجلس سلسلة من الاجتماعات لمناقشة المشاريع الاقتصادية التكاملية المختلفة ، وتحديد التوصيات بشانها ، وذلك خلال فترة اقصاها سنة واحدة ، تمتد ما بين ٢٥ أيار (مايو) ١٩٨٢ ، إلى ٢٥ أيار (مايو) ١٩٨٣ . أما هذه اللجان فهي :

١ ــ لجنة التعاون الصناعي : وتضم في عضويتها وزراء الصناعة في دول مجلس التعاون .

٢ ــ لجنة المسؤولين عن شركات الصناعات الأساسية ، وتتكون من كبار المسؤولين عن شركات الصناعات الأساسية بدول المجلس .

٣ ــ لجنة تبادل المعلومات . وهى لجنة فنية تشكلت بناء على قرار صادر عن لجنة التعاون الصناعي .

٤ ــ لجنة المسؤولين عن التسويق فى شركات الصناعات الأساسية : وهى لجنة فنية منبثقة عن لجنة المسؤولين عن شركات الصناعات الأساسية .

٥ ــ لجنة المسؤولين عن التدريب فى شركات الصناعات الأساسية : وهى أيضا احدى اللجان المنبثقة عن لجنة المسؤولين عن شركات الصناعات الأساسية .

٦ ــ لجنة المسؤولين عن صناعة الأسمنت بدول المجلس . وقد تكونت هذه اللجنة بناء على دعوة من المسؤولين عن شركات الصناعات الأساسية بدول مجلس التعاون .

٧ ــ لجنة المسؤولين عن صناعة الحديد والصلب بين المملكة العربية السعودية ودولة قطر : وهى تضم المسئولين عن هذه الصناعة فى الدولتين .

٨ ــ لجنة المسؤولين عن صناعة الحديد والصلب بدول مجلس التعاون : وهى تضم جميع المسؤولين بدول المجلس الست عن مجال هذه الصناعة .

٩ ــ فريق عمل صناعة الالمنيوم فى شركة « البا » و « دوبال » : ويتكون هذا الفريق من المسؤولين عن شركة « البا » بالبحرين » وشركة « دوبال » بدبي .

١٠ ــ لجنة المسؤولين عن صناعة الالمنيوم بدول المجلس : وتضم فى عضويتها المسؤولين عن صناعة الالمنيوم فى جميع دول المجلس .

١١ ــ فريق العمل الفني : ويضم الفنيين والمختصين فى مجالي التكنولوجيا والصيانة وقطع الغيار .

الانجازات

وتتحدث « الورقة الاقتصادية عن الانجازات التى حققتها اللجان والهيئات المختلفة المتفرعة عن مجلس التعاون لدول الخليج العربية ، فى مجالات الصناعة ، والطاقة (البترول) ، والتعاون المالي والاقتصادي ، وما تم تنفيذه بالنسبة لموضوعى الاتفاقية الاقتصادية الموحدة والجمارك ، ثم فى مجال الاستثمار المشترك ، ومجال البنوك المركزية والمؤسسات النقدية ، ومجال التعاون التجارى ، ثم الزراعة والمياه والثروتين السمكية والحيوانية ، ثم مجال الاسكان ، والمجال البلدى ، والنقل والمواصلات ، والكهرباء ، ومجال التعاون بين دواوين المراقبة والمحاسبة ، ومجال التعاون العلمي والتكنولوجى ، ثم اخيراً مجال التكامل والتنمية .

المنجزات الصناعية

وبالنسبة للمنجزات والتوصيات فى الحقل الصناعي ، تشير « الورقة الاقتصادية » الى تحويل الهيئة العربية السعودية للمواصفات والمقاييس ، الى هيئة خليجية تسمى « هيئة المواصفات والمقاييس لدول مجلس التعاون » ، ثم القرار الذى اتخذه وزراء الصناعة ، بشان نماذج الاتفاقيات الخاصة بعقود التكنولوجيا وهى : اتفاقية الترخيص ــ

اتفاقية الهندسة الاساسية ــ الاتفاقية التفصيلية ــ اتفاقية الانشاء والتركيبات ــ اتفاقية الشراء ، وتعتبر هذه الاتفاقيات الحد الأدنى للتعاقد على انشاء المشاريع الصناعية الأساسية بدول المجلس ، كما وافقت لجنة التعاون الصناعى ، على نموذج اتفاقية التدريب المشتركة الموحدة ، بين شركات الصناعات الأساسية بدول مجلس التعاون الست ، كما وافقت نفس اللجنة على منح الدول الاعضاء حق الأولوية بالنسبة لاستيراد الأسمنت الفائض لدى أي منها ، باستخدام الأسمنت الخليجي ، وقد قامت الأمانة العامة لمجلس التعاون باعداد زيارة لوفد من المسؤولين عن التدريب فى دولة الامارات العربية المتحدة ، الى كل من مراكز ومعاهد التدريب فى المملكة العربية السعودية ودولة

البحرين ، وذلك تنفيذاً لقرارات لجنة التعاون الصناعي بهذا الشان ، كما وافقت اللجنة على تشكيل لجنة للحديد والصلب تضم جميع دول المجلس ، وقد وافق المسؤولون عن شركات الصناعة الاساسية على تشكيل فريق عمل لصناعة الالمنيوم تتمثل فيه دول المجلس الست ويشترك فيه ممثلون عن مختلف مراحل هذه الصناعة .

وبالنسبة للدراسات التي انجزت او تلك التي ما تزال في مرحلة التنفيذ في المجال الصناعي اشارت « الورقة الاقتصادية » ، بين امور اخرى الى قرار لوزراء الصناعة ، كلفوا الامانة العامة بموجبه باعداد بيانات بالمنتجات المطلوب دعمها وحمايتها واعداد الدراسات اللازمة لها ، كما كلف المدراء العاملون للجمارك الامانة العامة باعداد قوائم تتضمن اسماء المصـــــانع فى دول المجلس الســـت ، مرفقة بمعلومـات كاملة عن هـــذه المصـــانع ، وذلك بهدف اخراج دليل صناعي لاستخدامه من قبل سلطات الجمارك ، وقد قامت الامانة العامة بالتعاون مع بيوت الخبرة في دول المجلس ، باعداد هذه الدراسات الصناعية .

كما أن الامانة العامة تقوم حاليا باجراء مسح شامل للمواد الخام ونصف المصنعة في دول مجلس التعاون بغرض استغلالها وتطويرها .. وذلك بالتعاون مع منظمة الامم المتحدة للانماء الصناعي (اليونيدو) ، وبالاضافة الى ذلك فان الامانة العامة تقوم بتكليف من لجنة التعاون الصناعي ، بدراسة امكانية انشاء صناعات مشتركة في مجالات العقاقير الدوائية ، ومواد البناء والمواد المستخدمة في قطاع الكهرباء .

المنجزات في مجال الطاقة

لا يخفى ما للبترول من أهمية فائقة فى حياة دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية ، باعتباره المورد الرئيسي الذى تعتمد عليه هذه الدول ، لذلك كان النفط احد المجالات الرئيسية التى قامت الامانة العامة بالتنسيق بشانها بين دول المجلس ، الامر الذى ادى الى عقد العـــديد من الاجتماعات الوزارية ، واجتماعات اللجان المنبثقة عنها فى المجال النفطي ، وقد اسفرت هذه الاجتماعات عن وضع اهداف ملموسة وقيام تنسيق اوثق بين دول مجلس التعاون فى هذا الاطار ، وتشير « الورقة » الى المنجزات التى تحققت فى المجال النفطى ، واهمها : التسويق ، حيث تم خلال الاجتماعـات الوزارية او اجتماعات اللجان ، الاتفاق على تنسيق بعض الأمور الخاصة بمجالات التسويق ، واعداد بعض الدراسات فى مجال الأسعار ، وتوقعات العرض والطلب فى العالم على المدى البعيد بالنسبة للنفط ، كما تم الاتفاق على تبادل المعلومات والاستفادة من تجارب بعض الدول فى شتى المجالات المتعلقة بالاستكشاف والانتاج النفطى ، كتدعيم توظيف المواطنين فى شركة الاستكشاف والانتاج ، وكاتفاقيات الامتياز والتعاقد مع الشركات الاستشارية ، وكيفية تقييم انواع الخدمات المقدمة من هذه الشركات . وفى اطار التدريب وتنمية القوى العاملة المحلية اتجهت الجهود الى وضع الحوافز المادية والمعنوية ، لاحلال المواطنين فى الدول الست مكان المتعاقدين الاجانب ، اضافة الى تطوير مراكز التدريب ، وعقد ندوات متخصصة فى مجال تنمية الموارد البشرية فى القطاع البترولى .

واشارت « الورقة » ايضا الى « مشروع مصفاة عمان » الذى تشارك فيه جميع دول المجلس ، والذى يقدر ان يكتمل فى غضون سنوات قليلة ، كما اشارت الى دراستين يجرى اعدادهما حاليا لاقامة مشروع لصناعة الزيوت الاساسية ، وللتعاون فى مجال تكرير النفط .

اما بالنسبة للغاز ، فان امام الدورة الخليجية الرابعة ، توصية اعدها وكلاء وزارات الكهرباء بدول مجلس التعاون ، تقضي بانشـاء شبكة انابيب للغاز تربط ما بين الحقول الغازية في بعض الدول الاعضاء ، وما بين مراكز استهلاكه في المنشات الصناعية في بقية دول المجلس ، والامانة العامة في طور القيام بدراسة اقتصادية دقيقة لمشروع شبكة انابيب الغاز المقترح .

وتشير « الورقة » ، ايضا الى توجه دول المجلس الست الى انتهاج سياسة مشتركة لتطوير الطاقة الاخرى : الشمسية والنووية ، اضافة الى تشجيع البحوث لاغراض انتاج الكهرباء وتحلية مياه البحر .

المنجزات على الصعيدين المالي والاقتصـــــادي

توضح « ورقة العمل » في هذا المجال ، الى اقرار لجنة التعاون المالي والاقتصادي وضع بيانات مقارنة عن الرسوم الجمركية المطبقة في مختلف دول المجلس للاستفادة منها ، وتوضح ايضا ان اللجنة المذكورة وافقت على انشاء « مؤسسة الخليج العربي الاستثماري » كماوافقت على سلسلة من الاجراءات الآلية الى تسهيل العبور في المجالات الصناعية والزراعية والثروة الحيوانية والسمكية والمقاولات ، كخطوة اولية ، واشارت «الورقة» الى موافقة اللجنة المذكورة على تشكيل لجنة متخصصة من محافظي المؤسسات النقدية والبنوك المركزية ، على ان تعقد هذه اللجنة اجتماعاتها في اطار الأمانة العامة .

وبالنسبة لما تم تنفيذه من الاتفاقيـــة الاقتصادية الموحدة والجمارك ، اوضحت « الورقة » انه اضافة إلى موضوعى العبور (الترانزيت) ، وحرية ممارسة النشـــاط الاقتصادى لمواطنى دول مجلس التعاون على جميع اراضى هذه الدول ، فانه تم كذلك اعفاء المنتجات الزراعية والحيوانية والصناعية ، ومنتجات الثروات الطبيعية ، من الرسوم الجمركية ، والرسوم ذات الأثر المماثل ، كما تم إضفاء صفة وسائل النقل الوطنية على وسائط النقل العائدة لمواطنى اى من دول المجلس الســــت ومنحت التسهيلات اللازمة للبواخر والســـفن والقوارب المملوكة لأى من الدول الاعضاء ، وتقرر معاملتها كمثيلاتها الوطنية ، سواء لدى رسوها فى موانىء الدول الست ، او مرورها فيها .

اما على صعيد الجمارك ، فقد قامت الامانة العامة ، باعداد وتوزيع قوائم تتضمن الجهات الرسمية المختصة باصدار شهادات المنشا للمنتجات الوطنية : (الصناعية والزراعية والحيوانيـــــة ومنتجات الثروة الطبيعية) ، على الجهات المختصة بالدول الأعضاء ، كما اعدت

الامانة العامة ، بيان (منافست) العبور (الترانزيت) ، وبيان (منافست) التصدير واللذين كان المدراء العامون للجمارك قد طلبوا من الامانة العامة اعدادهما ، وقد تم ارسالهما الى الجهات المختصة فى الدول الاعضاء .

كما وزعت الامانة العامة قوائم بالبضائع الممنوع والمقيد دخولها الى كل دولة من الدول الاعضاء وفقا لانظمتها المحلية ، وتم عبر الامانة العامة تبـادل نماذج تواقيع موظفى الجمرك المسؤولين عن التوقيع على شهادات الابراء ، وكذلك الاختام الجمركية الرسمية .

وفى الاطار الجمركي ، اوصت لجنة المدراء العاملين فى الجمارك ، بالسماح باستيراد وتصدير المنتجات الوطنية من والى الدول الاعضاء ، دونما حاجة الى أي اجراءات باستثناء تقديم شهادات المنشا وبيان (منافست) التصدير ،حسبما نصت على ذلك الاتفاقية الاقتصادية الموحدة لدول المجلس .

الانجازات على الصعيد التجاري

اشارت « ورقة العمل » الى عدة قرارات اتخذها وزراء التجارة بدول مجلس التعاون ابرزها ، تشكيل لجان متخصصة للقيام بالتفاوض بشكل جماعى مع مصدرى السلع الرئيسية الى دول المجلس الست ، ثم تشكيل لجنة من المسؤولين عن برامج الأمن الغذائى الاستراتيجى بدول المجلس ، بهدف اقتراح السياسات اللازمة لتنسيق سياسات تكوين المخزون الغـــذائى الاستراتيجى ، والتنسيق بين البرامج الموضوعة ، والاتفاق على حد ادنى لهذا المخزون ، ووضع نظلم لتبادل المخزون فى الحالات الطارئة . وكان بين اهم التوصيات التى اتخذتها هذه اللجنة ، انشاء هيئة مركزية مستقلة للمخزون الغذائى من ممثلين عن الدول الاعضاء ، تقوم بادارة المخزون .

كما تقرر القيام بنشاطات واسعة فى مجال المعارض المحلية المتبادلة ، او المشاركة فى المعارض الاقليمية والدولية بصفة مشتركة .

المنجزات على صعيد الزراعـــة والميـاه

اعدت الامانة العامة بتكليف من وزراء الزراعة والمياه بدول مجلس التعاون ، مشروع سياسة زراعية مشتركة لـدول المجلس تنطلق من التنمية الذاتية وزيادة الانتاج وتشجيع المشاريع المشـــتركة بمساهمة القطاع الخاص ، وسيتم عرض هذا المشروع على الدول الاعضاء قريبا . كما اقر الوزراء تكوين لجنة دائمة للمياه واستعمالات الاراضي ، لوضع التشريعات المائية الموحدة ، واقتراح افضل السبل لاستخدامات المياه للزراعة وللحافظة عليها واقروا كذلك تشكيل لجنة من المختصين لتوحيد تشريعات الحجر الزراعى والبيطرى ، وتشكيل لجنة اخرى لاعداد خطة متكاملة للانتاج الحيوانى ، وهناك ورقة عمل عن المخزون السمكي بدول المجلس امام لجنة الثروة السمكية .

مجال الإسـكان

اما فى مجال الاسكان ، فان وزراء الاسكان بدول مجلس التعاون قد اقروا عدة اجراءات ترمي إلى تحسين نوعيـــة الابنية ، وفرض رقابة على مواد التشييد واعمال المقاولات ، وبين هذه الاجراءات : توحيد المواصفات القياسية لقطاع التشييد ومواد البناء ـ اعطاء الاولوية فى مشاريع الاسكان لمواد البناء المتوفرة والمصنعة فى دول المجلس متى كانت تتفق مع المواصفات الموضوعة ـ تشجيع المشـــاركة بين المؤسسات العاملة فى مجال المقاولات بدول المجلس ، وكذلك المكاتب الهندسية ، وذلك لتحقيق الاندماج الاقتصادى وتحسين مستويات الأداء ـ العمل على توحيد اسلوب تصنيف المقاولين وشروط تقييمهم فى دول المجلس .

النقل والمواصلات

شكل وزراء النقل والمواصلات بـــدول مجلس التعـــاون لجنة دائمة تسـمى « اللجنة الاستشارية لشؤون النقل البرى والبحرى » وتضـــم وكلاء الـــوزارات ، وستعمل هذه اللجنة على اعداد دراسات وافية حول عدد من الموضوعات اهمها : دراسة جدوى ربط دول للجلس بخط حديدى ـ العمل على تطوير وتحسين شبكة الطرق البرية القائمة حاليا ـ العمل على توحيد المواصفات القياسية المتعلقة بالطرق ـ تعميق التعاون بين دول المجلس لمكافحة التلوث ـ ايجاد الحلول الكفيلة بالقضاء على القرصنة .

وبالنسبة للموانىء ، فقد قرر المسؤولون عن الموانىء ، توحيد مواقف دول المجلس فى المؤتمرات الملاحية وشركات التامين ، وكذلك توحيد المواقف وتبادل المعلومات فى المؤتمرات والندوات واجتماعات المنظمات الاقليمية والدولية .

الكهربـــاء

فى مجال الكهرباء تقول « ورقة العمل » ان وكلاء وزارات الكهرباء شكلوا عدة لجان لرفع وتحسين الخدمة فى مجال الكهرباء بدول المجلس ، وهذه اللجان هى : لجنة الربط ـ لجنة ترشيد الاستهلاك الكهربائى ـ لجنة تحديد المعلومات التى ينبغى تبادلها ـ لجنة وضع مواصفات للمواد والمعدات الكهربائية والمائية ـ لجنـــة التدريب . وقد أوصى الوكلاء بدراسة افضل السبل الكفيلة لتوفير الوقود النظيف لمحطات توليد الطاقة .

وتشير الورقة اخيرا الى ، تنظيم وتنمية التعاون بين دواوين المراقبة والمحاسـبة ، وتدعيم وتوطيد الصلات فيما بينها فى شتى المجالات .

كما تشير الى تشكيل « لجنة التعاون العلمي والتكنولوجى » ، التى اتخذت عدة توصيات بشان توحيد وتنسيق المواقف لدول مجلس التعاون فى اجتماعات المنظمات والهيئات الاقليمية والدولية الخاصة بالشؤون العلمية والتكنولوجية ، وبشان قيام مراكز التكنولوجيا ومعاهد البحوث بدول المجلس ، بتبادل خطط وبرامج البحوث التى تعدها او تنوى القيام بها ، اضافة تبادل نتائج تطبيق هذه البحوث ، كما ان اللجنة تدرس جدوى انشاء مؤسسة للعلوم والتقنية لدول مجلس التعاون .

عذاب السؤال

شعر: يوسف رزوقة
تونس

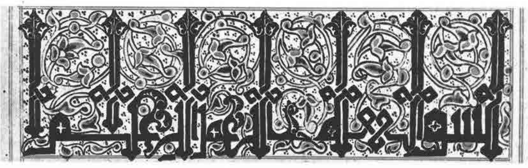


حينَ افتحُ زَوْبعَتي ، تنْحَني نخلتانْ
فادخلُ مملكةَ الفتيةِ الشَّرسينْ
واحفرُ بالإلحِ اللولبيِّ كتابَ الجليدْ
فتطلعَ للفرَجِ الأزليِّ يدانْ
ويركضُ في جسد الأقحوانِ دمٌ ..
هذه لغةُ الوردِ حينَ تؤدّي صلاةَ الشّذا
تتكثّفُ في ساحَةِ القلبِ : نافورةٌ للظما
تتنكرُ في هيئةِ امرأةٍ
وجهها القيروانيُّ زوبعةٌ للبكاءْ .

حين افتحُ نافذتي ، تنحني زهرتانْ
تقول العصافيرُ لي : قف !
وغُصْ في معاني الصفاء ،
وكنْ لي خمائلَ ظلْ .

(بأي رحيقٍ تكبّلُ رأسَكَ ؟)
أوقفني النّفّري .. قال :
ـ قَعْ في الظلام لتبصرَ نفسَكَ (*) .
إني رايتَ المراكبَ تغرَقُ في البَحْرِ لوحا فلوحا .
فقلتُ :
ـ وإني أرى جثثَ الخلْقِ يقلبُها الموج سطْحا فسفْحا
....
(واغرقُ والنّفَري في عذابِ السُّؤالْ) .

(*) المواقف والمخاطبات : النفري .



هذه البسملة بالخط الكوفي مكتوبة على أرضية مزهرة ، من مقتنيات متحف اياصوفيا باستانبول ، ويعود تاريخها إلى سنة ١٢٩٠ م .



بسملة بالخط الكوفي على أرضية مورقة ومزهرة ، ويعود تاريخ كتابتها إلى القرن السادس عشر الميلادي

أجمل حرف في كل لغات العالم



عبقرية العرب في خطوطهم

بقلم : الغمري عقل

● «إن الكتابة العربية أسهل كتابات الدنيا وأوضحها ، فمن العبث إجهاد النفس في ابتكار طريقة جديدة لتسهيل السهل وتوضيح الواضح»

المستشرق «ريتر» أستاذ اللغات الشرقية في جامعة استانبول

● «ما رأيت للعرب شيئاً أحسن من هذا الشكل .. وما أحسدهم على شيء حسدي على جمال حروفهم»

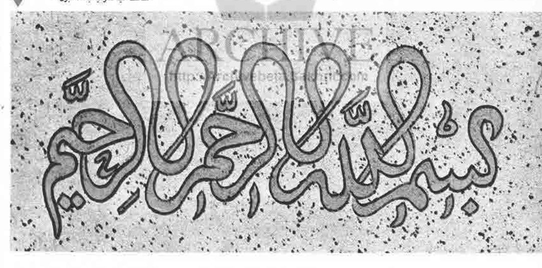
«ملك الروم» في عهد الخليفة المعتمد

بسملة من روائع خط اسمعيل الزهدى ، يعود تاريخ كتابتها إلى عام ١٠١٣ هـ .



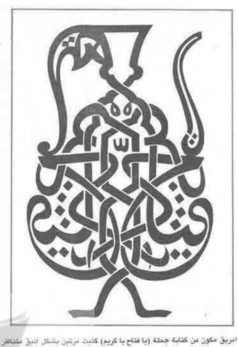


بسملة بالخط الثلث متصلة الكلمات ، يعود تاريخ كتابتها الى عام ١٣٧٨ م . وهى فى متحف ايا صوفيا باستانبول .



تعانى المكتبة العربية نقصاً شديداً فى الكتب والمراجع التى تتناول الفن العربى بالدرس ، ولهذا يعتبر صدور كتاب جديد فى هذا المضمار حدثاً عظيماً يطرب له المثقفون ويسعد به كل مهتم أو دارس أو ممارس .

وفى هذا العام أتحفنا الخطاط الكبير كامل البابا بكتابه القيم الهام « روح الخط العربى » ، الذى ترجع قيمته إلى انه دراسة جادة لفن عربى عظيم نما وترعرع فى ظل الاسلام وبلغ قمة جماله وكماله فى كنف الخلافة الاسلامية .



ابريق مكون من كتابة جملة (يا فتاح يا كريم) كتبت مرتين بشكل انيق متناظر .



لوحة بقلم الثلث للشيخ عبد العزيز الرفاعى تحوى كتابة سورة (الانشراح) بشكل دائرى .

والكتاب إلى جانب الافكار والمعلومات القيمة التى يزودنا بها عن فن الخط والخطاطين الكبار ، ضم بين صفحاته أروع اللوحات الخطية ذات المستوى الفنى الراقى والتى ظلت خالدة على مر العصور تبهر العين وتثير الخيال وتسمو بفكر الانسان ووجدانه إلى عالم من المتعة الروحية الصافية .

واهمية الكتاب ترجع لان مؤلفه ليس كاتباً فقط بل هو خطاط مبدع مارس هذا الفن محترفاً ما يقرب من خمسين عاماً قضاها فى بيروت يكتب للمجلات ودور النشر فى مختلف البلاد العربية ، كما قام بتدريس الخط فى كلية بيروت الشرعية وفى معهد الفنون الجميلة بالجامعة اللبنانية . وكان يرعى كل موهبة تظهر فى ميدان الخط حتى تخرج على يديه كثير من الخطاطين المعروفين .

والكتاب دراسة تاريخية فنية للخط العربى ، استهلها المؤلف ببحث موجز عن أصل الكتابة العربية ، استعرض فيه ما سبق من نظريات محللا لها ومناقشاً إياها .. وهذه النظريات ترجع اصل الكتابة العربية إلى الخط السرياني او الكتابة الفينيقية او الخط المصرى الهيروغليفى .. ويخلص من الاستعراض السريع لهذه النظريات إلى أن أصل الكتابة العربية هو الخط النبطى الذى كان يكتب به عرب الانباط وكانوا يسكنون شمال الجزيرة العربية . وقد اثبتت النقوش الاثرية التى اكتشفت حديثاً شبها كبيرا بين الخط النبطى والكتابة العربية !

تاريخ الخط

وقد عرف العرب الأوائل نوعين من الخط هما : الخط الكوفى نسبة إلى الكوفة التى كان منتشرا بها ، وخط التحرير وهو الخط البسيط السهل الذى كانت تكتب به الرسائل وعقود البيع والشراء وكل ما يقتضى السرعة فى الكتابة من امور الحياة اليومية .

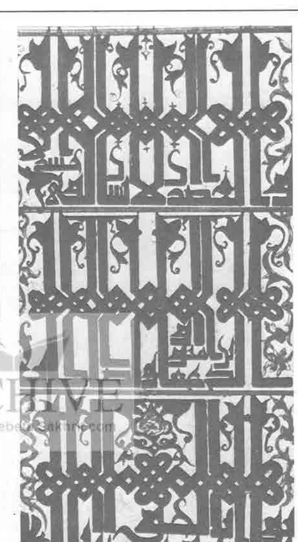
أما الخط الكوفى فقد كان هو السائد فى كتابة اللوحات وشواهد القبور وينقش على الجدران ، وظل الأمر كذلك طيلة ستة قرون ، ثم حل الخط النسخى محله .

وبالاطلاع على بعض الشواهد والآثار الخطية القديمة نحس مدى التطور الذى لحق بالخط الكوفى على مدى العصور .

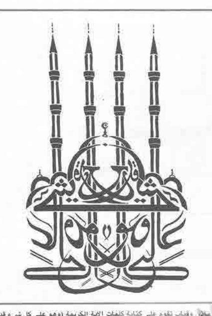
كان العرب يكتبون الخط الكوفى بدون شكل أو تنقيط ، مكتفين بقدرتهم على القراءة الصحيحة دون الحاجة إلى ذلك ، ثم تغيرت الأحوال بدخول كثير من الاعاجم فى الدين الاسلامى ، وتفشى اللحن والتصحيف فى قراءة القرآن ، وبدت الحاجة ملحة لوضع ضوابط للقراءة والكتابة . فوضع « ابو الأسود الأولى » قواعد الشكل بوضع النقطة بلون مخالف للون الكتابة الأصلية ، فالنقطة فوق الحرف ترمز للفتحة وتحته للكسرة وأمامه للضمة وترك الحرف الساكن بدون تنقيط . ثم جاء تلاميذ ابى الأسود من بعده فوضعوا النقط للحروف بنفس مداد الكتابة الاصلية لأن النقط من اصل الكلمة .

وقد تطور الخط الكوفى بعد ذلك وتعددت أشكاله فمنه المربع الهندسى والمورق ذو الزخارف النباتية والكوفى المجدل والكوفى المترابط المعقد .

وظل الخط الكوفى سائداً تكتب به المصاحف واللوحات وينقش على الجدران حتى وضع ابن مقلة الوزير قواعد الخط النسخى فاستحسنه العرب لجماله وسهولة كتابته ، وقد تولى ابن مقلة الوزارة ثلاث مرات ولكنه اشتهر بكتابة الخط وطغت هذه الشهرة على شهرته كوزير ، وكان إلمامه بالهندسة عاملا هاماً فى قدرته



«سورة العصر» .. من روائع الخط الكوفى



مآذن وقباب تقوم على كتابة كلمات الآية الكريمة (وهو على كل شيء قدير) وقد كتبت بخط الثلث وبشكل متناظر .

على تطوير فن الخط ووضع قواعده .

وقد جاء فى صبح الأعشى : « ثم انتهت جودة الخط وتحريره على رأس الثلاثمائة إلى الوزير أبى على ابن مقلة ، وهو الذى هندس الحروف وأجاد تحريرها ، وعنه انتشر الخط فى مشارق الأرض ومغاربها » .

والخط النسخى يعتبر صورة لينة للخط الكوفى الجاف . وقد جمع أهل المغرب بينهما فى كتاباتهم ، وتبدو هذه الظاهرة جلية واضحة فى كتابة المصاحف المغربية

ومن الرواد الأوائل الذين وضعوا قواعد الخط وضبطوا موازينه ابن البواب وياقوت المستعصي ، وقد استنبطا من خط النسخ أنواعاً عديدة من الخطوط لكل منها سماته الخاصة ومميزاته الفنية وفتحا الباب واسعاً أمام من جاء بعدهم من الخطاطين الملهمين الأفذاذ لينطلقوا بهذا الفن الجليل إلى آفاق رحبة من القيم الجمالية والوصول به إلى قمة الكمال والجمال .

الانطلاقة الأولى

انطلق المسلمون الأوائل يفتحون البلاد والأمصار وينشرون الدين الاسلامى فى كل بقاع الأرض ومعهم لغتهم العربية التى استطاعت أن تمحو كثيراً من من اللغات وتحل محلها وتصبح هى اللغة التى يستخدمها أهل البلاد الأصليون . وقد استطاعت بعض اللغات الصمود والاستمرار ، ولكن الخط العربى أصبح الخط الذى تكتب به هذه اللغات ، فكتب به الايرانيون لغتهم الفارسية كما كتب به السلاجقة والعثمانيون لغتهم التركية .

وقد أهتم الايرانيون بكتابة الخط العربى وبلغ من حبهم له أنهم اخترعوا خطاً خاصاً بهم يسمى « التعليق » ثم جاء الخطاط الفارسى الموهوب «مير علي» فطور التعليق بادخال شيء من النسخ عليه وسماه « النستعليق » وقد تفننوا فى كتابته وأصبح خطهم المميز الذى نسميه



كوفى مشكول على طريقة ابى الأسود الدؤلي



بسملة مكتوبة بخط الثلث على ارضية زخرفية كتبها الخطاط على البسطامى عام ١٤٥٥ م فى السلطنة العثمانية .

« الفارسى » نسبة إليهم .

اما الخطاطون الأتراك فقد برعوا فى كتابة الخط العربى وركزوا جهودهم فى إجادة خطى النسخ والثلث . وبلغ الخط العربى فى عهد العثمانيين ذروة الكمال والجمال . وخلف لنا الخطاطون الأتراك آثارا خطية بالغة الروعة ، تدل على مدى تفوقهم وتربعهم على عرش هذا الفن ، واحتل الخطاط مكانة بارزة فى بلاد السلاطين العثمانيين ، وبلغ من شدة ولعهم بالخط ان بعض سلاطينهم تعلموا فن الخط على يد أساتذته الكبار وكان منهم خطاطون متفوقون كالسلطان محمود خان الذى تتلمذ على الخطاط مصطفى راقم ، والسلطان عبد الحميد الثانى الذى تتلمذ على يد الخطاط عزت ونال منه « إجازة » شهادة .

واخترع العثمانيون خطوطا جديدة هى الديوانى والديوانى الجلى والرقعة ، وخط الرقعة نظرا لبساطته واختزاله وسهولة كتابته أصبح الخط المتداول الذى يكتب به كل الناس ويستخدم فى كتابة الرسائل والمعاملات اليومية فى كل الأقطار العربية .

وانواع الخطوط المعروفة لدينا الآن ستة . هى : الكوفى والثلث والنسخ



انية من الخزف محلاة بالخط العربى

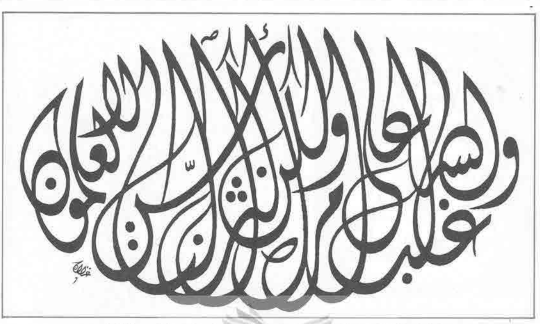
غلاف كتاب روح الخط العربى

لوحة بشكل مزهرية تضم الآية الكريمة (يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا)

والفارسي والرقعة والديوانى ، يضاف إليها نوعان اخران هما الديوانى الجلى وهو نفس الخط الديوانى مضافاً إليه الشكل ، وخط الاجازة وهو مزيج من خطي الثلث والنسخ ، وسمى كذلك لأن الأساتذة الخطاطين كانوا يكتبون به « الاجازة » اى الشهادة لتلاميذهم حتى يكون لهم حق ممارسة الكتابة .

وللأسف فان الشباب المتحمس للجديد لم يبدع أو يبتكر خطا جديداً يضاف إلى الخطوط القديمة . وكل ما يحدث الأن هو اجتهادات ليست لها قواعد أو ضوابط ، وإنما تخضع لذوق الكاتب ومقدرته الفنية وكل خطاط يكتبها بطريقته ، ولم ترق أى من هذه المحاولات إلى الدرجة التى تجعلها خطا جديداً قائما بذاته له سماته وقواعده الخاصة بحيث يستطيع الخطاطون جميعا أن يكتبوه بنفس الطريقة اى نفس المقاييس والنسب وإن تفاوتت المستويات الفنية كما حدث بالنسبة للخطوط المعروفة التى ابتدعها الخطاطون الاوائل

ولكن ما هو السر وراء اتجاه الفنان المسلم إلى الخط العربى يخترع منه اشكالا متعددة ويستمر فى تطويره واتقانه وإجادته حتى يصل إلى هذه الدرجة من الكمال ؟



لوحة تضم الآية الكريمة (والله غالب على امره ولكن اكثر الناس لا يعلمون) من خط المرحوم غزلان



آية بقلم الثلث (إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) بخط احمد كامل سنة ١٣٥٦ م .

السر يكمن فى بعض احكام الاسلام التى تتعلق بتحريم الصور والتماثيل فانصرف المسلمون عن تزيين بيوتهم ومساجدهم باللوحات المصورة فاتجه الفنان المسلم إلى الخط العربى يفرغ فيه طاقاته الابداعية ويتخذ منه مادته للتصوير والتشكيل مستغلا إمكانيات الحرف العربى من رشاقة وانسياب لعمل لوحات غاية فى الجمال والروعة . هذه اللوحات الجميلة كانت تحمل إلى جانب جمال المظهر ومتعة العين سمو المعنى وروعة الحكمة وترتفع بالانسان إلى اعلى درجات المتعـــة الروحية .

وقد طوع الفنان المسلم بعض الجمل والآيات واستخدمها فى تصوير أشكال كثيرة كالنبات والحيوان والآلات . فالبسملة يمكن أن تكون على شكل طائر ، وجملة « لا إله إلا الله » تؤلف منظرا مكونا من قباب ومآذن .

وقد اكتسب الخط العربى مكانة لارتباطه بالقرآن فابدع الخطاطون وتفننوا فى كتابة المصاحف وزخرفتها وكتابة الآيات القرآنية ، وعنوا عناية خاصة بكتابة « البسملة » بسم الله الرحمن الرحيم فى صور رائعة متعددة . وكان حافزهم الأول فى هذا الابداع هو إيمانهم ، فهى آية من آيات القرآن تستفتح بها كل سورة من سوره ثم إن لها تأثيرا مباشرا فى سلوك المسلم اليومى فهو يرددها فى كل مناسبة وعندما يباشر اعماله او يتناول طعامه وشرابه . ويكتبها فى مطلع كتبه ورسائله وعقود بيعه وشرائه ، فهو يستبشر بها ويتفاءل ، وقد جاء فى الحديث الشريف « كل عمـــل لا يبدأ ببسم الله فهو ابتر » اى مقطوع الخير والبركة .

فن الخط

وكتابة الخط من الفنون الصعبة التى تحتاج إلى دراسة طويلة وممارسة دائمة واهتمام بالغ ، ويحتاج الخطاط لكى يحافظ على مستواه الفنى إلى ممارسة الكتابة كل يوم لا يكاد يتوقف يوما واحدا . ومما يروى



لوحة تضم الاية الكريمة (رب اشرح لي صدري ويسر لي امري) كتبها المؤلف بقلم الثلث عام ١٤٠٢ م .



لوحة بقلم الثلث كتبها الشيخ عبد العزيز الرفاعي ، تتضمن الاية الكريمة (والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم)

هذا الشكل يتضمن كتابة الاية الكريمة (قل كل يعمل على شاكلته فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا) وقد كتبها الخطاط محمد شفيق .

عن الحافظ عثمان الخطاط التركي المعروف باستاذيته والذي كتب المصحف عدة مرات « لو عرضت على الخطوط المختلفة التي اكتبها في بحر الأسبوع لعرفت من بينها خطوط يوم السبت لأنها تكون أقل مرونة من خطوط بقية الأسبوع بسبب توقفي عن الكتابة يوم الجمعة » .

وإذا تاملنا اللوحة الخطية ودرسناها نجدها تحمل إلى جانب جمال الخط سمات اساسية هي : التناظر والانسجام وإحكام ترتيب الكلمات والتركيب وحسن التوزيع .

وقد استمر الخط عصـــــورا طـويلة يستخدم في كتابة اللوحات الفنية التي تزين البيوت والمساجد وينقش على الجدران . حتى جاء العصر الحديث بما يحمل من نهضة صناعية وتجارية استدعت بالضرورة الوانا من الدعاية والاعلان ، فانفتح بذلك مجال تجاري كبير للخط والرسم في كتابة اللافتات للمصانع والشركات والمحلات التجارية ، والاعلان عن نشاط هذه المؤسسات والشركـــــات وعن منتجاتها المختلفة ، ووجد الخطاطون فرصة للتجديد والابتكار وابتداع اشكال جديدة من الخطوط تكون اكثر مطاوعة واقدر على التعبير والابهار ولفت الانظار .

ولما كان الرجوع الى المنبع الاصلي والاغتراف منه واظهاره في ثوب جديد هو موضة هذا العصر ، فقد لجأ الخطاطون إلى تراثهم الأصيل من الخطوط الكوفية الجميلة ينهلون منه ويختارون انسب الأشكال للأعمال التجارية والاعلانية وكتابة اغلفة الكتب والمجلات ولم يجدوا انسب من الخط الكوفي الهندسي المبسط الذي اصبح سائدا في اغلب اعمالهم لبساطته وسهولة قراءته وكتابته ، فهو يرسم بالمسطرة والمثلث ولا يحتاج في كتابته الى مهارة فائقة كبقية الخطوط ، بل ان من يجيد استعمال الأدوات الهندسية ويملك حسا جماليا يستطيع كتابة الخط الكوفي المبسط دون حاجة الى خطاط .

الغمري عقل



مطلوب من كل الآباء أن يقرأوا هذا المقال :

مستقبل الأطفال
في يد العرائس والأراجوز والشطرنج !

بقلم : نادية يوسف

للعب فى حياة الصغير قيمة كبيرة .. فهو يدخل الخصب والتنوع فى حياته عامة .. وينفس عن توتره الجسمى والانفعالى .. كما يمكن أن يتعلم منه شيئاً جديداً عن نفسه أولا ، وعن العالم المحيط به .. بالاضافة الى أن اللعب يعتبر مفتاحاً هاماً للكبار يمكن من خلاله مساعدة الطفل على اكتشاف القدرات الكامنة فيه أو اجتياز أزمة أو بوادر اضطراب نفسى فى شخصيته .. ويعد اللعب فى حياة الطفل مرحلة هامة يمكن بعدها أن يبلغ مستوى من النضج العقلى والانفعالى .. تماماً كما يحدث فى الحيوانات الراقية .. حيث يكون اللعب فيها وسيلة للتعلم .. فالحملان تناطح فى لعبها وهى فى ذلك تبدو كما لو كانت تقوم بالتمرين على العمل الجدى فى المستقبل .. والقطط تطارد بعضها أثناء اللعب وتقوم بحركات تشبه تلك التى تقوم بها فى المستقبل لاصطياد فريستها .. وامهات البجع تزج بفراخها قهراً الى الماء لأول مرة لتلعب ثم تتعلم العوم .. والأسود أيضاً تروض أشبالها وتدربهم على اقتناص



الحمل من المراعى القريبة .. وفرخ النسر ايضا يلعب بتحريك عضلات جناحيه داخل العش .. ثم يدفع الى خارج العش تحت اشراف ابويه .. اللذين يشجعانه على الطيران بطيئا بالقرب منهمـــــا .. حتى لا يتسرب اليه الياس .. وتارة يحـركان اجنحتهما ليقلدهما الصغير .. واذا وجدا ان صغيرهما على وشك السقوط مال احدهما بجسمه تحت جسم هذا الصغير ودعمه وقاية لــه من شر الفشل والسقوط ..

واللعب بالنسبة للطفل ليس لعباً .. وانما هو عمل جدى هام بالنسبة له .. لأنه الميدان الوحيد الذى يعبر فيه عن نفسه بحرية .. ويتفاعل مع غيره من الأطفال .. ويتصرف معهم ويختبر قوته ..

والطفل فى كل مراحل عمره .. يعتمـد غالباً على اللعب كوسيلة للتعلم .. وهو من افضل الطرق التى يكتشف بها الطفل الحياة ويكتشف خبرات جديدة عن نفسه وعن غيره من الأطفال .. فيبدأ فى تعديل سلوكه عن طريق المحاولة والخطا اكثر من استغلاله لبصيرته .. وذلك لعدم نمو ادراكه الى الدرجة التى تمكنه من فهم العلاقات الوظيفية بين الأشياء فى بيئته .. وكذلك لعجزه اللغوى وعدم قدرته على تكوين المعانى .. فمثلا قد يلجا الطفل فى لحظة اذا ما وجد صندوقا مغلقا إلى محاولات حتى يستطيع فتح باب الصندوق .. فاذا نجح فى ذلك وشعر بقدرته على الخروج قد يحاول فتح صندوق اخر او يغلق نفس الصندوق ليحاول فتحه من جديد .. ولكن هذه المرة يضع يده مباشرة على المكان الذى يفتح منه الصندوق ويحاول استعماله .. وقد يكرر ذلك عدة مرات حتى يتعلم فتح الصندوق ..

والطفل الرضيع .. على الرغم من اعتماده على والديه لفترة طويلة .. الا انه يتعلم من لعبه معهم ، والمثيرات التى يتعرض لها من خلالهم .. تعديل سلوكه وبالتالى الى تعلم انماط معينة من السلوك .. وهذه العملية تعتبر بداية التطبيـــع الاجتماعى .. لأن الطفل يشعر بالرضا اذا اشبعت حاجاته اثناء اللعب .. وبالضيق اذا أحبطت هذه الحاجات ..

ولكل مرحلة من مراحل عمر الطفل لعبها والعابها الخاصة .. ولكل نوع من انواع اللعب وظيفة فى عمليات النمو النفسى للطفل .. ولهذا كانت دراسة اللعب من اهم ما يشغل علماء التربية .. فعن طريقه يمكن أن تفهم الاحتياجات النفسية للطفل .. وعندما تفهم هـــذه الحاجـــات فانهم يستطيعون تعليمه أو علاجه ..

ومن حسن الحظ .. انه قد تغير موقف الآباء من اللعب فى السنوات الأخيرة .. مدركين بذلك أهمية اللعب للاطفال .. وان حرمان الطفل من اللعب لا يؤدى الى قتل النزعة الى اللعب وانماء روح الجد بل ربما يؤدى الى سعى حثيث نحوه .. كما يؤدى ايضا الى شغف دائم واشتياق شديد اليه .. وقد يؤدى الى اضطرابات سلوكية شديدة عند الطفل .. فالاطفال سوف يلعبون رضينا ام لم نرض .. فاللعب امر طبيعى عندهم .. والأفضل لنا ان يلعب الطفل تحت اشرافنا بدلا من ان يلعب بعيداً عن اعيننا وبغير اشراف الكبار فى الأسرة .

شروط اللعب المنظم

عند اختيارنا للعب الطفل والعابه لابد وأن يتم ذلك حسب شروط محددة منها ان يؤدى اللعب الى نشاط جسم الطفل .. واثارة فكره .. اتاحة الفرصة امام الطفل للعب مع غيره من الأطفال والكبار ايضا لتنمية ميله الى التعارف .. توفير فرص اللعب الابتكارى .. اتاحة الفرصة امام الطفل ليفعل ما يريد فى حدود المعقـــول – وباختياره الخاص – توفير مكان مناسب يمكن للطفل ان يلعب فيه امناً مع غيره او بمفرده داخل البيت او خارجه ..

ولكن مع ذلك فيجب ان يترك الاطفال لكى يظهروا مع لعبهم قدرة كبيرة على الابتكار والابداع .. ويظهروا كثيرا من الذكاء فى



رسم الخطط لانواع من النشاط ينفذونها بانفسهم .. ولا يتدخل الكبار الا اذا احتاجوا للتوجيه او المساعدة لتنظيم اللعب فقط .. واكتشاف نواحي القوة والضعف فيهم وايضا في اكتشاف المواهب والميول التي تعينهم على الاندماج في المجتمع الحديث بكل تعقيداته - تعليم الطفل على حسن التصرف وايجاد الحلول المناسبة لمشكلاته .. اتاحة انواع من اللعب ذات هدف تساعده على ان يتعلم شيئا جديدا .. تيسير انواع كثيرة مختلفة من المواد والاهتمامات للطفل كي يفاضل بينها .. تدريب الطفل على احترام اللعب سواء كان لعبه أو لعب غيره ..

أنواع اللعب

من اللعب المستحسنة للرضيع العرائس والشخاشيخ - كرات المطاط او البلاستيك - الاجراس. وينبغي ان تكون لعبة سهلة التنظيف .. لا يدخل في تركيبها اي طلاء لانه يحتوي على الرصاص كما يجب الا تكون ذات حواف حادة او اطراف مدببة ..

والطفل الاكبر سنا .. الذي يبلغ من العمر عاما الى ثلاثة اعوام .. يريد اشياء يمكنه ان يكون بها شيئا جديدا .. ويشعر بسعادة كبيرة وهو يصنع اشياء تتسم بالابتكار حين يلعب ببضع أوان أو بصندوق من الورق المقوى .. اكثر مما يفعل اذا اعطى لعبا ميكانيكية غالية الثمن .. وقد يلعب وحده بعض الوقت ولكنه يريد من حين لآخر شخصا آخر يلعب معه الكرة او يقذفها او يصغى اليه وهو يقلد حركة القراءة .. ويتلخص دور الكبار هنا في ان يكونوا قريبين من الطفل .. بغير تدخل الا اذا بدت عليه امارات التعب والضيق .. والأطفال في هذا السن ايضا .. يستمتعون بجر الكراسي كالقطارات أو الصعود فوقها للقيام بدور السائق .. أو تمثيل دور الأب والأم ونسج القصص الحية حولها .. ولكن هناك أوقات لابد من اصطحاب الصغير الى اماكن خالية حيث اللعب أكثر حرية .. وخصوصا في الأطفال الذين يعانون ضيق المساكن .. وفي هذه المرحلة ايضا تكون الفرصة مناسبة للأب أو الأم لكي يقدما له كتبا مصورة جميلة تساعده على تعلم الالوان والأشياء واشكالها ووظائفها .. واكثر ما يستمتع به اللعب البسيطة التي تنمي قدرته على التخيل والابتكار . وعادة يبدأ الطفل في هذه السن تعلم عادة اللعب مع الأطفال الآخرين .. واذا كان في الأسرة اطفال اخرون فان الطفل يصل الى هذه المرحلة اسرع مما يصل اليها اذا كان يقضي كل وقته مع الكبار .. ويتعلم الصغير قواعد اللعب الجماعي عن طريق المحاولة والخطأ والقدرة على التقليد .. وايضا بترقبه امكانية العقوبة التي يفرضها عليه الأطفال المشتركين معه في اللعب اذا اخل بقوانين اللعب الجماعي ..

مستقبل الأطفال في يد العرائس والأراجوز والشطرنج!



واللعب الجماعي يسهل قيام علاقات اجتماعية ناضجة .. وهو مالا يتوفر عادة في اللعب الانفرادي .. لأن اللعب الجماعي يتيح للطفل فرصة التصرف على سجيته دون تكلف بالاضافة الى تقبل واحترام قوانين الجماعة الصغيرة .. والطفل يصل إلى حالة من التوازن بين الأخذ والعطاء بين الاعتماد على النفس والاعتماد على الغير كما يقول « هوبز » .. وذلك بفضل تعرفه على سلوك الأطفال الآخرين في الجماعة وتقليده لتصرفاتهم .. اذن فالجماعة هنا تنمي وعي الطفل وادراكه بما تسوغه المجموعة من نشاط واعمال .. فيبدأ الطفل في تعديل سلوكه على ضوء استجابات الأطفال الآخرين في الجماعة . كما يمنح اللعب الجماعي فرصة للطفل لكي يتعلم من الآخرين طريقة استخدام مختلف المواد للاشتراك في مجالات انشطة متنوعة ومن ثم تزداد حصيلة الطفل من المعلومات والمعارف .. كذلك ينمي اللعب الجماعي روح التنافس بين الأطفال .. وهو شعور يجب تنميته بين الزملاء حتى يؤدي الى تقليل التنافس بين الاخوة في المنازل ..

ومن الضروري ان يشعر الطفل في هذه السن الصغيرة .. ان لعبه ملك له وحده .. وان من حقه ان يقرر بنفسه اي اللعب يريد ان يشرك الآخرين فيها .. وبالتدريج .. سوف يدرك قيمة المشاركة والتعاون .. ومن ثم يسهل عليه التخلي عن الأنانية .. واشراك الأطفال الآخرين في العابه الخاصة ..

وتلجأ كثير من الدول الأوربية وبعض المدارس هنا في مصر الى استخدام المسرح والتمثيل لتنمية الجوانب المرغوب فيها لدى الطفل .. بالاضافة الى تقديم المناهج ممسرحة داخل الفصول الدراسية وبواسطة تلاميذ كل فرقة .. والجدير بالذكر ان هذا الأسلوب التربوي لا يحتاج الى اي امكانيات سوى الى المربي المدرب المتفهم لعالم الطفل المؤمن بدور الأجيال الجديدة في بناء مستقبل العالم .. وهناك انواع عديدة من التمثيل منها التمثيل التلقائي .. ومنها مسرح العرائس ومنها المسرح التعليمي .. ومسرحيات تقدم خصيصا للأطفال .. وكل نوع منها له قواعده واهدافه واصول ممارسته .. ولكننا نعلم التأثير العظيم الذي كان يحدثه الأراجوز على الأطفال في الأحياء الشعبية .. لأنه كان نقلة خيالية واسطورية في اذهان الأطفال في القرية ايضا .. الذين كانت تبهرهم الألوان والأصوات وتستغرقهم الحدوتة والنكتة .. عن طريق استعراض الأراجوز لحياة قريبة من حياة هؤلاء الأطفال ..

وفي كل أنواع اللعب .. يحتاج الطفل الى تشجيعه على الصبر في اكتساب مهارات اللعب .. فليس من السهل دائما أن يظل يتدرب على السباحة بطريقة معينة حتى يتقنها ويتمكن من ضبط تنفسه .. ولكن لذة المنافسة والمتعة والفوز هي التي تساعد الصبي على الاقتناع بقيمة المثابرة

أهمية المعسكرات الجماعية

وحول أهمية المعسكرات الجماعية للأطفال .. توصلت الدكتورة سهام بدر استاذه علم النفس بكلية التربية الرياضية بالاسكندرية الى نتائج تؤكد تأثير المعسكرات الجماعية على تنمية شخصية

الأطفال .. من حيث استجابتهم السريعة للتعاون والمشاركة والحب والاعتماد على النفس وحب الاستطلاع والصبر والشعور بالمسئولية .. وتنمية روح المبادأة والشجاعة والجرأة وكل الصفات الايجابية .. بعد عشرة أيام قضتها الدكتورة سهام مع اطفال معسكر نادى اسبورتنج ..

واللعب يمكن ان يكون اداة لاكتشاف ميول الطفل ومواهبه فى وقت مبكر .. كما يمكن ان يكون وسيلة لاكتساب مهارة او معرفة معينة .. فالطفل الذى يبدى رغبة فى أن يقضى أوقات فراغه فى الرسم ينبغى السماح له بان يعبر عن نفسه فى رسوماته تعبيراً حرا .. فلا ننتقد زرقة الحشيش فى رسمه الملون .. ولا كون الرجل اكبر من المنزل الذى يقف أمامه لان انطباعات الطفل عن العالم الذى يحيط به .. ومقدرته على التعبير عن هذه الانطباعات تختلفان اختلافا كبيراً عنها عند الكبار .. لذلك يجب تركه يرسم بحرية ويعبر عن احاسيسه الكامنة فى ثنايا نفسه .. وما علينا الا ان ننمى هذه الموهبة فى نفوس اطفالنا .. وان نفسح الطريق امامهم من اجل اكتمالها على اسس تربوية سليمة .. وذلك باشراف اعمال الطفل فى المعارض المحلية والعالمية وتوفير أدوات الرسوم له ..

والواقع ان انواعا متعددة من لعب الأطفال هى عبارة عن نافذة يمكن أن نطل منها على نفوسهم .. وعن طريقها نستطيع معرفة ما يريده الطفل .. والمؤثرات الاجتماعية والنفسية التى تؤثر فى تشكيل شخصيته .. فمثلا لعبة الشطرنج التى يلعبها الأطفال والصبية والكبار ايضا تمثل لونا من الوان النشاط الفكرى .. فهى تمثل حربا بين جيشين يجرى فيها كل ما يقع فى الحرب من هجوم ودفاع وخدعة ومبادرة وتكتيك وفيها هزيمة وانتصار وتعادل وهدنة وصلح .. ولكنها حرب سلمية بين فكرين .. صراع فكرى يسهم فيه الذكاء والدهاء والفن والعلم .. وقد اهتم بهذه اللعبة معظم شعوب العالم المتقدم .. فقامت فيها اندية وجمعيات كما الفوا حولها الكتب وأسست فى بعض الدول جامعات وطنية ترعى شئون الذين يلعبون الشطرنج .. وتنظم لهم المسابقات وتمنحهم الجوائز والمكافآت .. كما يوجد اتحاد دول الشطرنج فى باريس ..

اما قراءة القصص فتقوى شعور الطفل بالنظام فى الحياة وتوسع فهمه لعالمه الصغير بمن فيه من الناس .. كما تقدم للطفل القدوة ، وهى فى عصرنا الحالى اناس ناجحون بارزون فى عالم الرياضة والترفيه أو الفن او العلوم .. وربما كانت القدوة شخصية تاريخية .. وعن طريق القدوة يتعلم المثل العليا التى يبنى عليها مستقبل حياته ويصبح اكثر قدرة على العطاء .. وهنا يمكن استثمار هذه الرغبة تقليد القدوة الموجودة لدى الطفل وتنميتها بصورة تمكنه من أن يساهم مساهمة حقيقية فى الحياة من حوله .. ان الأطفال يستطيعون عمل أشياء كثيرة اذا وجدوا التشجيع المناسب .. يمكن بها ان يكتسبوا الشعور بالمسئولية .

هواية جمع الطوابع

ان كثيراً من الناس يتساءلون مثلا .. ما الذى تقدمه هواية جمع طوابع البريد مثلا لمن يمارسها بكل هذا الحب والشغف .؟ ان الطفل الذى يهوى جمع طوابع البريد لا يمارسها بدافع المتعة فقط .. ولكنها وسيلة هامة من وسائل تنمية الذوق الفنى وزيـــادة المعرفـة والرغبـة فى التنظيم والدقة والابتكار ايضا .. ويتسم ذهن الهاوى عادة بالدقة والسرعة والانتاج المثمر .. ويعتبر الفرنسيون اول من اهتم بهذه الهواية .. عندما جمع « هيربين » الفرنسى كل ما كان يصل اليه من طوابع .. وحدث ان لاقى اهتمامه ترحيبا من بعض اصدقائه فاسسوا جمعية اسموها «صديق الطوابع» ثم انتشرت هذه الهواية انتشارا سريعا ومذهلا فى العالم حتى انه لم يعد بالامكان احصاء العدد الحقيقى لهواة الطوابع الذين اصبحوا يعدون بالملايين .. وتعد هواية جمع الطوابع احدى الوسائل التى تكتسب منها الثقافة .. فالى جانب انها متعة ومعرفة وفائدة تدفعنا الى الترتيب والتبويب والتدقيق والانتباه .. والملاحظة تحث الهاوى على تتبع ما يحمله الطابع من صور وأفكار .. ومن خلاله يمكن ان يتعرف على بلادنا وما تحمله من خيرات وما تضمه من طبيعة جميلة واثار خالدة .. اننا نستطيع ان نعرف اى قطر من اقطار العالم من خلال طوابعه .. نتعرف الى جغرافيته وتاريخه وسكانه عاداتهم وتقاليدهم .. كما أن الطوابع تعكس مقدار تقدم البلد فى مجالات العلم والثقافة والرياضة والاقتصاد .. بالاضافة الى أن الطوابع تسجل بأمانة انتصارات الشـــعوب ومسيراتها التاريخية .. ومن الممكن ان تكون مرجعا لقصة الانسان فى اى مكان من العالم ..

ان لعب الطفل هو فى الواقع محاولة لتجربة الحياة .. وعن طريق اللعب يتعلم كيف ينمو خطوة خطوة متفهما العالم الذى يحيط به .. ويبدا فى معرفة وسائل تعامله مع هذا العالم .. فلعب الطفل الذى يحاول فيه ان يقوم بدور الأب او الأم يمكن ان يستغل لارساء أفكار معينة حول مفهوم الأسرة وواجب كل من الاباء والامهات .. كما يمكن أن يتدرب من خلال اللعب على كيفية التعبير عن نفسه وتنمية خياله والسيطرة على حركته وتنسيق حديثه وتنظيم آرائه .. فضلا عن معرفته كيف ينصت عندما يراد منه الانصات وكيف يتعامل مع الآخرين ويعمل معهم .. ان اللعب ينمي فى الطفل روح المشاركة والتسامح وتعديل سلوكه حتى يستطيع أن يعيش مع الآخرين .. ومن الممكن ان يقوم الكبار بتاصيل هذه القيم كلها فى الطفل اثناء اللعب .

وشخصية الطفل فى نهاية الأمر ليست الا محصلة لما تمرس به خلال اللعب والتمثيل اذا ما توافرت له الفـــرص لممارستها فى طفولته .. ومن ثم تتكون كل ما تتمتع به الشخصية من قدرات أهمها القدرة على الانهماك فى العمل والصدق فيه .. وهما معا قاعدتا القدرة على التركيز .. ثم ياتى الابداع والابتكار ..

نادية يوسف

المراجـــــع :

- السلوك الانسانى .. د. انتصار يونس ..
- الاسرة وسلوك الطفل .. د. انتصار يونس .. د. احمد العادلى ..
- كيف نربى ابناءنا .. د. عماد الدين اسماعيل ـ د. نجيب اسكندر ابراهيم ـ د. رشدى فام منصور ـ دار النهضة العربية ..
- كيف يلعب الاطفال للمتعة والتعلم .. سلسلة دراسات سيكولوجية .. تاليف جان شك جروسمان وايد اليشان ترجمة محمد عبد الحميد ابو العزم ..
- الطفل واعادة بناء الشخصية المصرية .. احد دراسات مركز الفن والحياة ..
- العلاج النفسى الجماعى للاطفال باستخدام اللعب ـ د. كاميليا عبد الفتاح .. مكتبة النهضة ١٩٧٥ ..
- الطفل المصرى فى إطار الرعاية الصحية والنفسية ـ التقرير الرابع ـ جامعة الاسكندرية .
- التخطيط لرعاية الطفولة المبكرة .. وتربيتها فى البلدان النامية ـ مكتب اليونسكو الاقليمى للتربية فى الدول العربية ١٩٨٠ .
- التحليل النفسى للاطفال .. انا فرويد .. النهضة العربية .
- اطفالنا ـ كيف نسوسهم ـ د. رشدى منصور

بقلم : جمال قطب



الفنان الامريكى نورمان روكويل .

حديث المرآة..

ربما انفرد موضوعنا اليوم بملامح معينة تميزه عما تعودنا ان نستعرضه سويا على هذه الصفحات من قبل ، فان مفهوم الفن العالمى فى اذهاننا هو تلك الاعمال المتحفية الشهيرة التى ابدعتها الأنامل الملهمة للفنانين العظام عبر قرون التاريخ .. ولكننا ندرك فى نفس الوقت ان العالمية قد تطور تعريفها ومضمونها تبعا لما استجد على العالم الحديث من متطلبات ومتغيرات وتحولات اجتماعية وسياسية ووجدانية . فلا غرو ان نرى تعريف (العالمية) ـ طبقاً لهذه الظروف المعاصرة ـ يتناسب مع ما يحظى به العمل من شهرة وذيوع . وما يتميز به صاحبه من ميزات إقليمية وعنصرية .. وقد تاتى القيمة الابداعية لهذا العمل او ذاك بعد تلك الاعتبارات وغيرها مما يحكم إيقاع الحياة فى عالم اليوم .. عالم الصراع والسيطرة والدعايات الموجهة !

اما الفن التشكيلي فمازال يحظى بكيانه المستقل ، كما انه يفرض نفسه دائما متخطيا حدود الزمان والمكان بما يزخر به من عبقريات ومواهب فذة حباها الله للبشر جميعاً على السواء ، وبذلك اصبحت العالمية فى الفن ليست ادعاء ولا احتكاراً ولا سرفا ولا ترفا ..

والعمل الملهم الاصيل يفرض مكانه ومكانته ويقدم نفسه بنفسه ، يتفاعل مع آلام الناس وآمالهم ويتاثر بهم كما يؤثر فيهم ، وكلما اتسعت قاعدته وارتفعت قمته ، ازداد فى الوجدان رسوخاً .. وبالتالى ، اصبح الفنان رائداً يدخل فى نطاق العالمية ، ويكتب فى سجل الخالدين . لان الفن الحقيقى يخاطب البصيرة بمعنوياته السامية ، وإذا كان من السهل ان تبهر الابصار .. فمن الصعب بل من العسير ان تسيطر على العواطف والبصائر !!

وفناننا اليوم ـ نورمان روكويل ـ اسم عالمى كبير ، ظل عملاقا رائعا على مدى نحو سبعين عاما من العطاء الدائب المخلص المتواصل .. وما نراه من اعماله على الصفحة المقابلة ، ليس تحفة فريدة من أروقة المتاحف رسمها احد فنانى التاريخ ، ولكننا امام (لوحة) معاصرة تحس انك تراها من حولك فى كل وقت ، بل وتخاطبها فى حوار صامت وإعجاب فطرى بعيد عن خفايا الاعجازات الفنية وتعقيداتها (التكنيكية) ومساراتها الأكاديمية الغامضة !

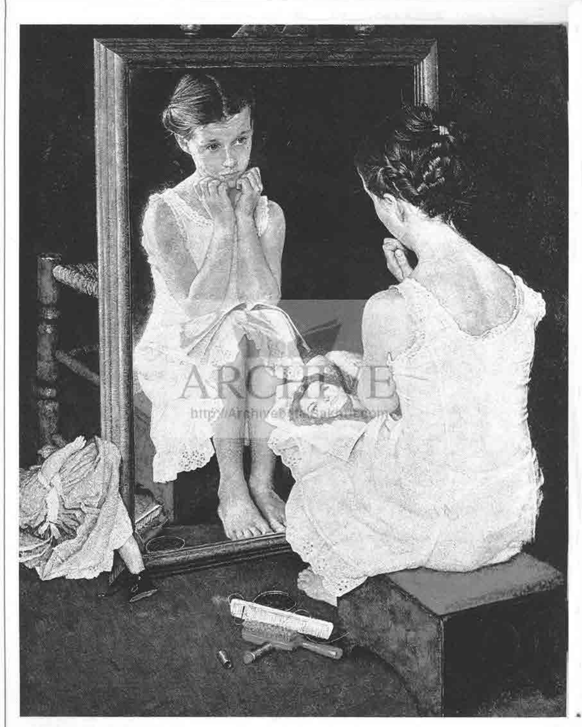
ان (روكويل) هو فنان الشعب الامريكى فى القرن العشرين بلا منازع ، يخاطبه من اوسع قنواته الاعلامية واكثرها ذيوعا ، انتهج اسلوبا سهلا ميسراً فى تسجيل خواطره ومشاهداته وآرائه ، وقد تربع على عرش هذا التخصص الفنى الجماهيرى ، الذى يعرف باسم الـ (Illustration) ويعنى بالصورة التوضيحية المطبوعة المنفذة ـ غالبا ـ باسلوب واقعى مدروس .

وكلما اكتملت فيه القواعد الفنية والكفاءة العالية ، كلما صار إبداعا يتمتع بكافة الخواص الفنية الراقية ، بل ربما وصل إلى مرتبة الفن المتحفى الرفيع كما هو الحال فى أعمال نورمان روكويل ، حيث ينفذ لوحاته مكبرة بالألوان الزيتية على اكمل ما يكون الفن الجميل .

وقد بلغ الفنان اوج تالقه فى الخمسينات والستينات ، حيث كانت لوحاته التى احتكرتها آنذاك مجلة The Saturday Evening Post ومجلة Look العالميتان ، تنفذ مكبرة كما اسلفنا لتطبع بالملايين على اغلفتها ، ثم تتناولها عدة جهات فنيه واعلامية اخرى فى نفس الوقت لتنشرها فى ملصقات ومجلدات وكتب وبطاقات وفى اغراض كثيرة اخرى . ثم ياتى دور المؤسسات المتخصصة فى طبع اللوحات المتحفية ، فتطبع من اعمال روكويل ملايين اخرى توزعها فى شتى انحاء المعمورة .

وتتميز اعمال روكويل بانها كاللقطات الواعية البارعة .. أو كالحكم والأمثال الشعبية ، سهلة المبنى عميقة المغزى والمعنى . ويرى قارئنا على الصفحة المقابلة احدى لوحاته الشهيرة ، وقد نشرت لأول مرة على غلاف مجلة (بوست) فى السادس من مارس عام ١٩٥٤ :

فتاة بين الطفولة والشباب ، تجلس امام مرآتها وقد وضعت على ركبتيها احدى المجلات الفنية ، وقذفت بعروستها التى طالما شاركتها مهدها .. واخذت تتامل المرآة فى حوار صامت مع الأطياف والاحلام والآمال الوردية .. ولسان حالها يقول : لندع دمية الطفولة جانبا .. فقد كبرت ، وربما اصبحت نجمة شهيرة كهذه التى تحتل صفحات المجلة .. إنه تامل مشوب بالتفاؤل والرضى ، فقسماتها واتساق ملامحها وجاذبيتها المبكرة .. توحى لها بهذه الثقة .. وكانها تستحثنا نحن كذلك لكى نتامل صورتها الوادعة فى مرآتها الصافية ونشاركها احلامها وآمالها المتفائلة !



حديث المرآة : للفنان العالمي نورمان روكويل

رسالة لندن من: مجدي نصيف

أعجوبة في الحياة.. أعجوبة في السينما:

٢٢ مليون جنيه
تحت أقدام أفقر زعيم فى العالم!



غاندى مع ابنتيه .. صورة تاريخية .

فيلم غاندى حصل على ثمانية جوائز أوسكار ، وتكلف انتاجه (هندى ـ بريطانى مشترك) ٢٢ مليوناً من الجنيهات . ولقد أثار عرضه جدلا واسعاً ما يزال دائراً حتى الآن . ولا يدور الجدل حول الفيلم وفنيته ومدى ما يعكس من حياة المهاتما غاندى فحسب ، لكنه يدور ايضاً حول السياسة وراء انتاجه ، خاصة وقد صاحبت انتاجه وعرضه دعاية واسعة منظمة وبارعة . وهكذا تم وضع الملايين من الجنيهات تحت أقدام الرجل الذى كان بارادته أفقر زعيم عرفته الدنيا فى العصور الحديثة .

كتاب ومعلقون ومؤرخون شاركوا فى هذا الجدل ، على أساس مناقشة الانسان خلف الفيلم ، أما السياسيون فقد ناقشوا المسالة من ناحية التوقيت . لماذا هذا الفيلم الآن ؟ هل له علاقة بالمشاكل التى تواجهها السيدة انديرا غاندى رئيسة وزراء الهند ؟ وهل له علاقة بحركات السلام فى أوربا الغربية وانتشارها ؟

يقول زارير ماساني فى مجلة « نيوستيسمان » البريطانية : « إن السيدة انديرا غاندى تركز فى دعاياتها على سلالة « نهرو ـ غاندى » الحاكمة فى محاولة منها لا نجاح خليفتها ابنها « ساجيف » فى البداية ثم « راجيف » حاليا ، معتمدة على سمعة نهرو الأب . فلقد اختفى الجيل الأول الذى لعب دوره فى استقلال الهند من « ناريان » إلى « موراجى ديساى » إلى غيرهما ..

ويعود اشتراك السيدة انديرا غاندى مع « اتنبورة » فى مشروعه لانتاج هذا الفيلم إلى عشرين سنة مضت ،

وبالتحديد عندما سطع نجم السيدة انديرا للمرة الأولى ، ولم يتم انجاز هذا المشروع عملياً ، إلا عند عودتها الى كرسى الحكم مرة ثانية عام ١٩٨٠ ، عندئذ ألقت بكل ثقلها خلف هذا الفيلم ، فازالت من امام « اتنبورة » كل العقبات البيروقراطية وعلى مسؤوليتها دفعت الحكومة الهندية مبلغ مليونين ونصف مليون دولار كمشاركة فيه .

ويستمر الكاتب فيقول : « لقد بدأ حماس السيدة انديرا للفيلم بعد ان توفى « ناريان » وريث افكار غاندى ، والعدو اللدود لانديرا غاندى . آنذاك أصبح الوقت ملائما لطرح شخصية غاندى الأسطورية بطريقة ترجح كفة رئيسة وزراء الهند وسلالتها من بعدها . وللتاكد من ذلك قامت بقراءة سيناريو الفيلم بنفسها ، ثم شاهدت الفيلم قبل أن توضع له اللمسات الأخيرة » .

● ● ●

اشتهر المهاتما غاندى بما يسمى «الكفاح السلمى» الذى لا يلجأ الى العنف ، وحل الخلافات من خلال الاقناع السلمى ، وإمكانية أن يصل صوت الفرد وسط الجماعة فى عصر الآلة ، فينتصر الصدق على الكذب ، والعدل على القهر، والخير على الشر ، فى النهاية مهما طال الزمن !

وفى هذا يختلف غاندى الذى قاد الهند بهذا المفهوم الى الاستقلال عن الامبراطورية البريطانية ، عن بعض الزعماء ، اختلافاً كبيراً . المسالة الثانية انه ليس لغاندى حزب حاكم فى الهند يحمل اسمه . لكن قيادة غاندى للحركة الوطنية الهندية ساهمت فى قرار بريطانيا بالجلاء عن الهند عام ١٩٤٧ . وبهذا خفت قبضة بريطانيا عن مستعمراتها الأخرى فى اسيا وافريقيا .

لكن «نظرية» غاندى حول العصيان المدنى السلمى مازالت تحيا حتى الآن ، بل هى الالهام لحركات الاحتجاج فى العالم اجمع ، بل لقد اشتد ساعد هذه الحركات فى أوربا الغربية بازدياد خطر الحرب الذرية ، مثل الحركات المناهضة للتسلح النووى .

إذن ما هى شخصية هذا المناضل الهندى ؟



الزعيم بين ابناء شعبه فى لقطة من فيلم غاندى

وكيف عكس الفيلم هذه الشخصية ؟

قال عنه زميل كفاحه وخلفه جواهر لال نهرو : «إن غاندى لم يهبط من القمة ، ولكنه صعد الى اعلى من بين جماهير الهند ، يتحدث لغتهم ودائما يلفت إليهم الانظار بسبب ظروفهم المريعة التى يعيشون فيها» . بينما يقول عنه اخرون انه رجل «الطبقة الوسطى» الذى يتحدث باسمها ويشفع لقضاياها .

اما فيلم «اتنبورة» فقد قدم غاندى كرجل ينتمى الى هذين العالمين . فهو بحكم تعليمه ومهنته قد تخرج كمحام فى لندن عام ١٨٩١ ، وخلال تلك الفترة لم يكن يتلقى هذا التعليم فى الغرب سوى ابناء الفئة الوسطى الهندية الصاعدة .

ورغم إحساس سياسيى هذه الفئة ـ قبل غاندى ـ بالتبعية الاستعمارية للهند وبالتمييز العنصرى الذى يمارسه ضدهم الحكام البريطانيون ، إلا انهم لم يستشفوا فى الافق اى بديل عملى عن محاولة الحصول على اصلاحات تدريجية بالقطعة من البريطانيين . ورغم أن غاندى استبدل ببذلة المحامى (الغربية) سروال الفلاح ، إلا أنه لم يترك أبداً عالم الفئة الوسطى التى تجعل الغرب قبلتها . فلقد استمر طوال حياته متاثراً بذلك العالم ، متفاعلا ضده فى نفس الوقت .

لقد اوجد لنفسه فلسفة اخلاقية استمدت إلهامها الاساسى ولغتها من تفسير خاص للهندوسية والقيم الهندية التقليدية . لذا ففى بعض الاحيان انكر من الناحية المنهجية ، العقلانية والتاريخية كما يراهما «الغرب» ، وبهذا وضع نفسه خارج صيغ تفكير الطبقة الوسطى .

ورفض بشدة البنية السياسية والمدنية للمجتمع الهندى فى ظل الاحتلال البريطانى : من المجالس التشريعية الى المدارس ذات النمط الغربى الى المحاكم التى اسسها كلها البريطانيون فى الهند . ومع هذا فان اقرب حوارييه ورفاقه ـ جواهر لال نهرو ، وفالبهبهاى باتل ، وراجندرا براساد ، وك . رجاجو بالاشارى ـ خرجوا من نفس الطبقة الوسطى مثله ، بل ومن نفس مهنة المحاماة . وبعد جلاء الانجليز عن الهند ، تولى هؤلاء مقاليد جهاز الادارة الذى تركه البريطانيون . وهكذا ، فانه بعد ثلاثين عاماً من «العصيان المدنى» والنشاط السياسى خارج الاطار البرلمانى ، كان الذى تحقق فى النهاية هو حلم الفئة الوسطى الهندية ، لدولة فى القالب الاوربى ، ذلك ان غاندى لم يتصور اى بديل عملى اخر .

الجماهير الهندية

وإذا كان غاندى جزءاً من الفئة الوسطى فانه كان بالمثل مشدوداً الى عالم الجماهير الهندية الغفيرة التى كان الغرب بالنسبة لها كيانا معتماً .

ففى البداية اختلط غاندى بهنود من جميع الطبقات فى جنوب أفريقيا ، حيث مجرد ان يكون الفرد هنديا ، فهذا فى حد ذاته يدخله ضمن الاقلية المحتقرة عنصريا . ووجد غاندى نفسه لا يشعر بالراحة بين أفراد سياسيي الطبقة الوسطى الذين وجدهم «بالمؤتمر الوطنى الهندى» عند عودته من جنوب افريقيا عام ١٩١٥ وكانت الحركة الوطنية بذلك شديدة البعد عن جماهير الهند الفقيرة ، وإن كانت تدعى تمثيلها .

وكان تحول غاندى الى الجماهير عندئذ حركة سياسية حصينة مؤسسة على تقييم واقعى لمواطن قصور الحركة السياسية القائمة . ذلك انه ادرك بذكائه ان الطبقة الوسطى الهندية بحركتها الوطنية انذاك ، لا تقدر بمفردها على إجلاء البريطانيين من الهند . لقد ادرك ان هذه الطبقة لم تكن لتستطيع تجميع قوة كافية للمعارضة المنظمة . وكان من رايه ان الحركة الجماهيرية وحدها هى التى تستطيع ان تحقق النجاح إن اتبعت اسلوب «الساتيا جراها» (العصيان المدنى السلمى) الذى كان غاندى رائده فى جنوب افريقيا .

على ان اعادة غاندى لتوجيه النضال الوطنى نبعت من اكثر من مجرد نظرة ضيقة للتكتيكات السياسية . لقد كانت معبرة بعمق شديد عن فلسفته الخاصة ومثاليات الطبقة الوسطى . فغاندى خرج من عائلة من سكان المدن الصغيرة التجارية ، حيث تتابع جده وعمه وأبوه على تولى منصب «الوزير الأول» فى إمارة بروباندار الصغيرة فى جوجارات الغربية .

الشر الأساسى

كان غاندى مقتنعا بان الحكم البريطانى فى حد ذاته لم يكن هو الشر الأساسى الذى يجب محاربته فى الهند !! ، لكن الشر الحقيقى هو مرض التهافت على التملك والتنافس الذى أصاب بريطانيا ، وتنتقل عدواه الى الهند !

لقد عبر غاندى عن وجهات نظره هذه باستفاضة فى نشرة الدعاية التى اصدرها عام ١٩٠٨ باسم «هند سواراج» ـ «الحكم الهندى الذاتى» ـ وظل متمسكا بوجهات نظره تلك حتى وفاته بعد اربعين عاما ، كتب يقول :



المهاتما غاندى الذى راى فى القرية مجتمعا بعيدا عن التاثيرات المفسده التى تتعرض لها المدينة .

● «إن السعادة حالة عقلية وليست مادية . إن الناس ليسوا دائما سعداء لانهم اغنياء ، وليسوا دائما تعساء لانهم فقراء» .

● «إن الغنى والتقدم المادى ليسا مفتاح السعادة ، لذلك اقنعنا اجدادنا بالعدول عن الكماليات والمبهجات . لقد كان يمكنهم اختراع الآلات ، ولكنهم عرفوا ان تعلقنا بها سيجعلنا عبيداً لها . لذلك اختارت الهند بعقلانية ان تتعايش مع نفس المحراث ونفس الكوخ ونفس التعليم المتوطن الذى كان قائما على مدى قرون . ولذلك لم تستسلم ـ كما حدث فى الغرب ـ لنظام من التنافس يجعل الحياة تتاكل» .

● «إن اجدادنا قد هداهم تفكيرهم الى ان المدن الكبيرة فخاخ مكبلة ، وان الناس لن يكونوا سعداء بسكناها . ذلك انه سيوجد بها عصابات من اللصوص والسرقات وتزدهر بها الرذيلة ، ولذا كان اجدادنا راضين بمعيشة القرى الصغيرة» .

لم يهتم غاندى بالتطور التاريخى ، ولا بدقة تاكيداته . إنما كان يعبر عما يؤمن به كحقيقة اخلاقية جوهرية ، حقيقة لا تقبل الجدل ، لها معان ضمنية عميقة بالنسبة لمستقبل الهند وعلاقاته بالغرب .

وكان لهذا التفكير نتيجتان لهما اهمية بالغة :

النتيجة الأولى : أنه برفض «المدنية الحديثة» كعنصر مدمر للسعادة والرضا الانسانى ، فقد كان غاندى ينادى بأن تتمسك الهند بالمثل الاخلاقية العليا التى «فقد الغرب القدرة على رؤيتها» «ولسوف يكون من الافضل له ان يعيد اكتشافها من الهند» .

لقد استمد غاندى ورفاقه من هذه الآراء الثقة بالنفس والاستقلالية التى استمدت قوتها من إحساس قديم وعميق بالكبرياء الثقافى والعنصرى . وخلق هذا إحساسا بالزعامة السياسية المستقلة

والنتيجة الثانية : لرفض «المدنية الحديثة» هو تحوله ناحية القرى ونحو الفلاحين كمنابع وخزانات غير ملوثة لذلك النظام الاخلاقى الاعلى.

ورؤية غاندى للقرية كانت مثالية ، فهى اساسا مجتمع مكتف بذاته ويعمل بتوافق من اجل تقسيم للعمل مفيد للجميع ، مجتمع متحرر من التاثيرات المفسدة التى تفرق، والتى يتبناها المجتمع الصناعى الحديث .

● ● ●

وحقيقة الامر انه كان ينادى بهذا فى وقت كان فيه الطابع الاقتصادى والاجتماعى لقرى الهند يتغير ، إذ كانت البنية الصناعية والزراعية تقوم بغزواتها مركزة على الصراع الدائر بالفعل .

ورغم ان غاندى كان يعادى الحركة الصناعية ، إلا انه كان فى نفس الوقت لا يهتم بظروف وتطلعات العمال التى كانت صغيرة العدد نسبيا انذاك ، وإن كانت اخذة فى النمو . كانت تلك الفئة فى رايه ملوثة الى الحد الذى لا يمكن تطهيرها من «شرور الحياة الحديثة» وحياة المدن الكبرى .

وفى عام ١٩١٩ ، خطب فى عمال الغزل المضربين فى «مدراس» ، طالبهم بان يتوقفوا عن الآثام وان يحلكوه فى العمل بالغزل اليدوى فى أوقات فراغهم ، فلم يلق اقتراحه قبولهم .

وكان غاندى يطالب بان يكون العمال امانة فى عنق أصحاب المصانع ، داعيا إياهم الى ان يتولوا مسئوليتهم «كامناء»

يحافظون على ثرواتهم .

ويلخص الكاتب زارير ماسانى وجهة النظر هذه فى مقال له بمجلة «ذى نيو ستيسمان» الأسبوعية البريطانية ، تحت عنوان «رجل الطبقة الوسطى» فيذكر النقاط التالية بالاضافة الى النقطة السابقة .

● رفع غاندى «معنويات» المنبوذين ، لكن اصلاحاته فى هذا المجال لم تتجاوز الرثاء لحالهم ، ورفع منزلتهم كما ينبغى ؛ لكنه رفض التماسهم لتنظيم انفسهم سياسياً ، مهملا اسباب فقرهم ونبذهم وتشردهم .. الأدهى من ذلك انه راح يمتدح نظام الطوائف الدينية الهندية كنظام مثالى لتقسيم العمل ، وهو ذات النظام الذى يحرم على المنبوذين الانتماء للمجتمع !

● فى نهاية حياته ، تحطم حلمه فى وحدة الهندوس والمسلمين فى إطار دولة واحدة ، فانتهى هذا الحلم فى الوقت الذى قاربت فيه مهمته على الاكتمال ، فشهد بام عينيه ولادة الباكستان التى تلتها الحرب الهندية ـ الباكستانية الأولى فى كشمير .

ومن حسن الحظ انه لم يشاهد تلك الحرب العنيفة التى دارت بين الهند وباكستان منذ سنوات قليلة وانتهت بقيام دولة ثالثة هى بنجلاديش ، وبذلك انقسم الجسم الواحد الذى تمناه دائما الى ثلاث دول .

تقدير المنجزات

على أنه سيكون من الخطا عدم تقدير منجزات المهاتما غاندى السياسية حق قدرها . إن القلائل من الزعماء السياسيين الذين خرجوا من الطبقة الوسطى فى العالم ، قد جددوا موقفهم مع الجماهير بذلك الشمول ، كما فعل غاندى . إن ذلك لشىء جدير بالملاحظة ، وعلى وجه الخصوص فى بلد شاسع كالهند ، وحيث الفجوة واسعة بين الطبقة الوسطى المتعلمة على النمط الغربى وبين الفلاحين بين الطوائف الهندوسية العليا وبين «الهاريجات» «المنبوذين» . لقد كانت هذه الفجوة واسعة وعميقة الى القدر الذى جعلها تظهر فى بعض الأحيان كما لو كانت غير قابلة لمد الجسور . لكن غاندى جعل من نفسه جسرا حيا بين الطبقة الوسطى والفلاحين . فعن طريق ملبسه البسيط ولغته ، وبالصور والرموز الذى استثارها ، وباستعداده للعيش والعمل بين افقر فقراء الهند واقلهم شانا ، فانه انشا اتصالا حقيقيا بين عالمين جد متناقضين . وبكونه «مهاتما» (روح عظيمة) وبتقمصه لشخصية عميقة الجذور فى الهند ، ومبجلة رغم انه لم يكن يرتدى رداء الرهبان الاصفر ، وبادائه لدور الحكيم الجوال الذى تخلى عن الثروة والممتلكات والسلطة الدنيوية ، فانه خلق صورة حية كان ملايين الهنود يمكنهم ان يتعرفوا عليها ، ولبس الفلاحين او الهندوس فقط .

لم يعبر رجال الدين الهندوس العاديين عن تلك الافكار من قبل ، لكنها جاءت من غاندى ابن الطبقة الوسطى الهندية ، وإن لم تكن النتائج قد تحققت كما كان يتوقع ، ولم يستطع غاندى ان يخلص الهند من العنف الذى ينبع من العداءات العنصرية ، وقد كان هو نفسه ضحية له .

● السياسيون يسألون: هل لهذا الفيلم علاقة بانتشار حركات السلام فى أوروبا الغربية؟

● لماذا قامت السيدة أنديرا غاندي بقراءة سيناريو الفيلم بنفسها؟

● كان حزب المؤتمر فى تشكيله يشبه حزب الوفد المصري بزعامة سعد زغلول؟

فى احيان كثيرة تعلق الفلاحون «بالمهاتما» وبرسالته السياسية الوطنية ، وفى أحيان أخرى أسندوا اليه قوى سحرية كامنة غامضة ليس لها اى اتصال بافكاره السياسية ، ولكنها كانت جزءا لا يتجزا من الميـراث والتقاليـد الفولكلورية للفلاحين .

لكن فئة اغنياء الفلاحين فى الهند كانت قد بدات فى الظهور فى الريف . كانوا يخشون التغيير الذى قد يعرض وضعهم المتميز للخطر ، ومن ناحية اخرى كانت معاناتهم من الضرائب وايجار الارض الزراعية يجعلهم يميلون لمعاداة الاستعمار البريطانى وحلفائه .

لقد كان حزب المؤتمر الهندى هو القناة السياسية لهؤلاء الفلاحين الاغنياء ، إنه هو الذى يمكنهم من الوصول الى اهوائهم السياسية المحدودة دون مخاطرة جدية ..

تركة المهاتما

كان غاندى هو اداة تاسيس «حزب المؤتمر» كائتلاف عريض لمجموعات من فئات مختلفة . لقد كان حزب المؤتمر فى تشكيله يشبه حزب الوفد المصرى بزعامة سعد زغلول .

وكانت تركة غاندى الرئيسية للهند هى حركة «عدم العنف» ..

لكن تركة غاندى من «عدم العنف» هاجرت من الهند الى اوربا الغربية ، حيث نجد فى تلك المجتمعات الفئة الوسطى تشعر بحاجتها الى التعبير عن اعتراضها على سير الأمور ، وقدرتها على ذلك بدون اللجوء الى العنف والتخيير ..

لقد سمحت المجتمعات الغربية لأقلياتها بالتعبير عن نفسها ، بل واتاحت لها فرصة للتعبير فى وسـائل الاعلام ، وهو مـا لا يتمتع به الكثير فى بلدان العالم الثالث .

هل حقق «اتنبورة» إذن كل هذه الأبعاد عند تصويره لشخصية المهاتما غاندى ؟

هل استطاع أن يجسد على الشاشة الفضية كل هذا التاريخ ؟

مجدى نصيف







منذ فتحت عينى على الدنيا لم أعرف (ش) الا وهى صاحبة الهيبة والسلطة على نساء العائلة ، والبوليس السرى الذى يعمل لحساب ابناء عمى ويقدم لهم التقارير بما يجرى فى البيت. وكان فى تلك التقارير الكثير من السم المدسوس .

وكما يحدث فى نطاق المجتمع ، حيث تكون الرقابة المستبدة والقمع والقهر سبباً فى خلق بنية تتركب من ثنائية الخضوع والتمرد معاً ، كذلك يحدث ضمن نطاق الافراد ، فالفرد الذى ينمو فى مناخ الشرطة السرية والسلطة العائلية المستبدة ينشأ بتركيب نفسى هو مزيج من تلك الثنائية : الخضوع والتمرد . فهناك دائماً صفات مكتسبة تتكون نتيجة للقهر الاجتماعى والعائلى بصفة خاصة . وكانت من ضمن العناصر التى عملت على خلق هذه البنية النفسية عندى ذات التركيب الثنائى الخضوع من جهة والتمرد من جهة اخرى .

فى السادسة عشرة من عمرها عادت (ش) الى بيت أبيها مطلقة بعد زواج فاشل دام لعدة شهور قليلة .

وفى ايام شبابها اتخذت من طريقة الشيخ عبد القادر الكيلانى ملاذاً دينياً تهرب اليه من احباطها النفسى بفعل الزواج

كان قد نزل بالبلدة رجل مصرى ضرير من أصحاب الطريقة الكيلانية استقطب بين من استقطب بعض مطلقات القرية وأراملها . وكانت الحلقات تعقد فى منزل مدير المال الذى انزله انذاك فى بيته تلمساً لنيل البركة ، وانضوى مع زوجته إلى الطريقة .

سلب الرجل عقول أولئك النسوة من «المريدات» . فكانت بركته تنشر فى المكان ـ أو هكذا كن يتخيلن ـ رائحة مسكية ترهف من حواسهن الى حد صرن معه يرين ما لا يرى ويسمعن ما لا وجود له .

واغرى الحديث عن بركات الرجل جدتى التركية «أم عزيزة» فحضرت ذات يوم احدى تلك الحلقات ، وانكرت عيناها ما رات ، واستهجنته ، وشنت على الرجل حملات شعواء ممتدة . ومنذ ذلك اليوم استحكم عداء بين «ش» وبين جدتى لأمى لم ينته إلا بموت الاثنتين فالموت وحده هو الذى يضع النهاية لكل الاشياء .

ولكن (ش) ظلت تحمل لأمى ولنا ـ باستثناء اخي احمد ـ كرهاً موروثاً .

عندما فتحت عينى عليها كانت فى الستينات من عمرها على ما اقدر ، وكنت اراها تكثر من الصلاة والصيام والتسبيح . كانت تصوم الأشهر الثلاثة رجب وشعبان ورمضان ، وتصلى صلاة قيام الليل ، كما كانت تصلى صلاة التراويح والضحى . وكنت ارى مسبحة هائلة الحجم تتكوم على مقعدها الأرضى تسمى بالالفية فقد كانت تلك المسبحة تتكون من الف حبة . يذكر اسم الله على حباتها حبة حبة . وكانت



الشاعرة فدوى طوقان



مدينة نابلس التى شهدت ميلاد الشاعرة فدوى طوقان

● كان الغناء بهجتي وفرحي، وظل تعلم العزف على العود مطمحاً يملأ تفكيري، حتى حققته بصعوبة وجهد

● من الأشياء التي لم يكن لها أثر في بيتنا .. الإيمان بالخرافات أو اتخاذ الحجب والتعاويذ كنوع من الوقاية

« ش » تضـــع علامـة بين الحبة التى وقفت عندها عن التسبيح والحبة التى تليها ، أما العلامة فهى خيط تربطه بين الحبتين ليكون هاديها الى المكان الذى وقفت عنده ،

كانت تمتلكنى فى طفولتى رغبة فى مراقبة المصلين وحركاتهم ، وكثيرا ما وقفت بباب (جامع البيك) المواجه لدارنا فى السوق القديم ارنو الى جماعة المصلين ، فارى تفاوتا فى تعابير الوجوه وفى طريقة أداء الصلاة . فهناك المسرع المتعجل الذى يبدو وكانه لا يبالى او لا يفكر بما يقوم به ، وهناك المتانى الخاشع والمندمج فيما يفعل بروحه وبقلبه .

كنت ارقب حركات اليدين وهما ترتفعان الى ما وراء الاذنين ثم تستقران فوراً على الصدر وقد وضعت الكف اليمنى على ظهر الكف اليسرى ، وتهمس الشفاه بتمتمات الصلاة ثم تبدا حركات الجسم المنتظمة . انحناء الجذع الى الامام ثم انتصاب القامة ورفع الراس الى اعلى ثم العودة الى الانحناء والركوع فالسجود ثم الركوع مرة اخرى مع وضع الراحتين على الفخذين ، ثم التشهد المصحوب برفع السبابتين ثم التحيات مع التفاتة الراس يمينا وشمالا وهكذا . وكانت مراقبة هذه الحركات تستهوينى الى حد بعيد وكنت اتمنى دائما لو اعرف لماذا يقوم بها المصلون

اما (ش) فكان اداؤها لفريضة الصلاة يحمل طابع المبالغة والتصنع . كان هناك دائما شيء مصطنع وغير حقيقى لشدة المبالغة فى أدائها للصلاة .

وكانت تعتريها احيانا حالات من الدروشة ، فتشرع تهتز هزات عنيفة وتحرك راسها بعنف يمينا وشمالا مع ترديد اسم الله ... الله ... الله .. الخ . تلفظه بعجلة وبلا توقف ، وياخذ الزبد يتراكم على طرفى فمها كلما امعنت فى حركات الدروشة .

اما اوقاتها الأخرى فكانت مكرسة لاصدار الاوامر والنواهى على نساء العائلة واستغابة عباد الله وانتقادهم بحقد ومرارة ، شان المحبطين الفاشلين فى الحياة .

وما كان اسوا ظن (ش) . ففى كثير من الحالات كانت تفسر تصرفات الآخرين تفسيرا جنسيا . ولم تكن تسمح لواحدة من بنات العائلة باقامة صداقة مع القريبات او زميلات الدراسة او بنات الجيرة ، فالشيطان فى رايها قابع هناك دائما ـ بين كل اثنين ـ وهكذا كانت تطرد من المنزل كل صديقة مدرسة او رفيقة جيرة .

وحين كنت اقوم بتقديم خدمة لها او شراء ما تحتاج اليه من السوق كنت افعل ذلك بلهفة لاكسب محبتها ورضاها عنى ، ولكنها ما كانت لتجود علي حتى بابتسامة

أو بنظرة فيها طراوة وحنو . فكانت تقف دائما كجدار يكسوه الصقيع ، لا تنبت عليه عشبة خضراء . وكنت اقارن فى نفسى بينها وبين جدتى لامى . ما ابعد الفرق ... هناك الدفء والرقة والنعومة ، اما (ش) فكانت صحراء لا شجرة فيها ولا ينبوع ماء .

كانت متكبرة ، متعالية ، تتملكها غطرسة طبقية عمياء وبلا عقل . هى ، المتدينة ، التى تؤمها النسوة الساذجات وبصحبتهن اطفالهن المرضى ، وبايديهن اباريق الماء لتتلو (ش) آيات القران على رؤوس الأطفال ولتنفث انفاسها (الطاهرة) داخل الابريق كيما تحل فى ماء البركة الشافية ، هذه السيدة المتبتلة لله وفى الله كانت لها نظرة غريبة تجاه الطبقة المسحوقة ، نظرة ممجوجة يملؤها الترفع والتعالى ... نحن فوق ، انتم تحت ... هكذا أراد الله ...

فى تلك الأيام كانت هذه النظرة مألوفة لدى الناس ، وكانت الطبقية قدرًا من صنع الله ، وحكما من احكامه لا يرد ، كنت اسمع دائما هذه الكلمة المقيتة : سيدى ، ستى ، امرك سيدى ، امرك ستى ، امرك ابن سيدى.

إن افكار البيئة تظل سارية المفعول مادام الناس يتقبلونها ولا يتمردون عليها . وإذا كنا نرفض اليوم قول ارسطو « ان العبد يشبه الحيوان » فما كان قوله هذا فى زمنه ممجوجا ولا مرفوضا ، فقد كان ارسطو منساقا مع الأفكار السائدة فى عصره ، افكار المجتمع الاثينى العبودى .

اذكر ان امراة قالت لـ (ش) فى مناسبة من مناسبات الأفراح فى البيت : شرفينا يا ستى بزيارة لنا ، اننا نزوركم دائما ولا تزورونا . وحدجتها (ش) بعينين جليديتين ثم قالت بغطرستها المعهودة : اسمعى ، دائما وأبدا تزورونا ولا نزوركم ، فما معنى الخروج اليوم على هذه القاعدة وماذا جرى للدنيا ؟ هل انقلبت الأشياء راسا على عقب ؟

وانكسفت المراة وغاص قلبى فى جوفى رحمة بها ، ومضيت اهرول الى امى احكى لها كيف كسفت (ش) تلك المراة المسكينة . كنت صغيرة ، لا ادرك معنى الانسحاق الانسانى او قسوته ، ولكنى كنت اعاف هذه المواقف غريزيا وتلقائيا فقد كنت شديدة الحساسية . ولعلى كنت بالنسبة لهذا الموقف متاثرة لا شعوريا بامى ، فقد كانت تستهجن التعالى الطبقى . وتنتقد غطرسة

● أرست أسرتنا تقليد إيفاد الأبناء إلى مدارس أجنبية

● دفعت نابلس ضريبة غالية من جمالها وعراقتها لكي تصبح مدينة عصرية!

(ش) حتى لا تصيبنا عدواها . كانت تقول لنا بكل بساطة : كلنا من خلق رب واحد ، وكلنــا مصيرنا الى التراب . ان (ش) قاسية القلب . فالانسان لا ينبغى ان يهين كرامة انسان اخر مهما كانت منزلتــه الاجتماعية ومن القسوة التى يعاقب عليها الله ايذاء شعور الفقير .

كانت امى تحدثنا بعفوية وبساطة عن ديمقراطية الموت الذى يساوى بين كل الناس ، كما علمتنا بطريقة غير مباشرة المعنى الحقيقى لكلمة (انسان) وما يحمله هذا المعنى من شمول اخوى .

وكنت استغرب بدورى كيف يمكن ان يتخذ انسان ، ناهيك بسيدة متدينة ، مثل تلك المواقف القاسية . غير اننى ادركت فيما بعد نفاق (ش) الدينى ، فما استطاع تدينها ان يشذب احاسيسها ومشاعرها الانسانية ، ولم تكن لتفقه المعنى الحقيقى للدين وانه محبة ورحمة وحسن معاملة ، فلقد كانت امية فى عقلها ومشاعرها الى جانب اميتها الأبجدية .

كانت عندها مقاييس الحلال والحرام ، واللائق وغير اللائق ، عجيبة غريبة . فقد كانت تصرخ فى وجهى اذا راتنى مرتدية ثوبا قصيرا : هيا .. شمرى عن فخذيك اكثر .. ستدخلين جهنم انت وامك التى خاطت لك هذه الملابس المشينة !

وكان هذا يشوش صــفاء طفولتى وبساطتها ، كما كان يبلبل عقلى الصغير . من اجل ثوب قصير يدخلنى الله جهنم مع أمى ؟ واتخيل الله ربا قاســيا رهيبا لا يرحم .

كنت كلما خلوت بنفسى ارفع صوتى بالغناء : (كم بعثنا مع النسيم سلاما للحبيب الجميل حيث ..) وتدخل (ش) كالزوبعة : اخرسى ، اغلقى فمك ، لم يبق الا ان تصبحى (جنكية) فى تخت « هند » و « سارينا » .. وينكسر صوتى فجاة ، وتتعلق الاغنية فى الهواء صورة ناقصة ..

كانت « هند » و « سارينا » مغنيتين محترفتين فى نابلس ، اما كلمة جنكية فكانت تطلق على المغنية المحترفة وهى مشتقة من كلمة « الجنك » الاسم الفارسى لآلة وترية تشبه السنطور .

ولو اخترقت (ش) اعماقى فى تلك الايام لوقع بصرها على امنية قابعة هناك تحمل كل تطلع الى ان اصبح يوما جنكية او راقصة .. فقد كان اسم جنكية وراقصة يرتبط بالنسبة لى باحب الأشياء الى وهو الحرية .. فالواحدة من اولئك المحترفات كانت تملك حرية لا يملكها عالمى الذى اعيش فيه ، فليس هناك من يفرض سلطته على المغنية او يقيد خطواتها . كما كان الغناء والرقص فى نظرى اجمل ما فى الوجود . فحين كانت امى تدندن بصوتها الشجى الحنون كنت اركض فاجلس الى جانبها فى اصغاء مرهف .. رايــح فين يا مسليني ـ لموا العشيرة واجمعوا الخلاني ـ اوف مشعل ـ زوروني فى السنة مرة ـ وغير هذه الاغانى التى لا ازال احبها ، وكنت سريعة الحفظ للاغنية لحنا وكلمات .

كان الغناء بهجتى وفرحى ، وظل تعلم العزف على العود مطمحا يملا تفكيرى ، حتى حققته بصعوبة وجهد . فقد كان وجود الة العود فى البيت من المحظورات . ولقد ظل العزف والغناء بالنسبة لى تعبيرا ومخرجا رمزيا لحاجاتى العاطفية المكبوتة فيما تلا من مرحلة الصبا والشباب ، فكنت اجد فى الموسيقى والغناء ـ سواء فى الاســتماع اليهما او فى ممارستهما ، تنفيسا للتوتر الذى اعانيه ، وظل هــذا الفن ، كالشعر ، وسيلة لتحقيق ذاتى واطلاق الطاقة الحبيسة فى داخلى .

ومن اشد ذكرياتى الكئيبة المرتبطــة بـ (ش) دخولها فى احد الأيام غرفتنا او (غرفة البنات) كما كان يطلق عليها ، او (البيت القبلي) ، فلقد كان لكل غرفة اسم يميزها من غيرها من غرف الدار . دخلت (ش) لتفاجا بشقيقى الكبير احمد يساعدنى فى توضيح بعض الاصــول

العروضية وبين يديه قصيدة لي ، او بالأحرى محاولة من محاولاتي الشعرية الاولية ، ووقفت (ش) صامتة فوق راسينا ثم قالت لأحمد بلهجة مرة عاتبة : حتى انت ؟ ثم اضافت : كلما طلع للبنت قرن اكسره ! ومازحها احمد بكلمة عابرة ثم انصرف اليّ والى قصيدتى من جديد .

(حتى انت ؟) .. تعبير مفجوع برجاحة عقل احمد ، الوحيد الذى كنت تؤثره من بيننا بالمحبة ، اما ابراهيم فما احبته قط ، وكان فى نظرها خارجاً على تقاليد العائلة متحرراً من قيودها الصارمة .

ومنذ ذلك اليوم ادركت انه لا جدوى هناك من محاولة اقامة جسر بينها وبيني ونفضت يدى من هذا الأمل البعيد ، وظلت (ش) بالنسبة لعالم طفولتي ومراهقتي كابوساً ترك لمسات اصابعه القاسية على حياتى لفترة طويلة .

كانت من ضمن اولئك الذين لعبـــوا دورهم فى حياتي ثم اوغلوا فى طوايا الزمن !

• • •

حين زار السائح التركي (أوليا جلبي) مدينة نابلس ، ذكر فى سجل ملاحظاته بساتينها وينابيعها العذبة الكثيرة ودورها التى تشبه القلاع لضخامتها ومتانة بنيانها كما اشار الى كثرة اطفالها .. ثم قال : « واذا سالت احداً من اهلها عن اصله ونسبه ذكر لك انه من احفاد احد الرسل او الأنبياء » .

ان ايماني بصدق تاريخ الانساب مزعزع ولا ارى كبير جدوى فى الرجوع إلى صفحات التـــاريخ للبحث عن شروش ما يسمي بشجرة العائلة لآسيما حين تكون تلك الشروش موغلة فى اعماق البادية .

وعلى اية حال فالشيء المؤكد ان العائلة التى انتمى اليها لا يرجع اصلها الى احـــد الرسل أو الانبياء ..

غير ان المعروف المتوارث منذ خمســـة قرون يشير الى ان اجداد العائلة كانوا يقيمون خيامهم فى البادية بين حمص ، وحماه ، حيث لا يزال هناك التل المعروف باسم « تل طوقان » ، وحيث لا تزال بعض بطون البدو غير المتحضرة تقيم حتى اليوم واذكر ان جماعة بدوية من طوقان تلك النواحي قدموا الى نابلس قبل حوالى اربعين عاماً للتعرف على اقربائهم وقـــد نزلوا ضيوفاً فى بيتنا لبضعة ايام ، وكان هذا (حدثاً) مثيراً جداً بالنسبة لنا بعث فى قلوبنا البهجة ، نحن الجيل الصغير .

والمعروف ، بل المؤكد ان بعض احفـــاد اجدادنا الذين نزحوا واستقروا فى نابلس قد انخرطوا بعد الفتح العثمانى فى الجيش المحترف المعـــــروف بجيش « الانكشارية » وقد عرف هذا الجيش فيما بعد باستبداده بالأمور السياسية . وكان الجد الاكبر للفرع الذى انبثقت منه اسرة ابى واحداً من رجال ذلك الجيش ، وكان هو - ابراهيم اغا الشوربجي - الذى عمر البيت الذى توارثناه جيلا بعد جيل حتى اليوم ..

البيت اثرى كبير من بيوت نابلس القديمة التى تذكرك بقصور الحريم والحرمان .. والتى هندست بحيث تتلاءم وضرورات النظام الاقطاعى . ترى فيها العقود والأقواس والباحات الواســـعة والحدائق ونوافير الماء والطوابق العليـــا والسلالم الملتوية . ويصعب على الزائر الاهتداء الى طريقه وتبين مسالكه دون دليل . فالمرء لا يعرف فى مثل هذه البيوت هل هو مفض الى غرفة الاستقبال ام الى قن الدجاج أم الى المطبخ .

فى هذا البيت ، وبين جدرانه العالية التى تحجب كل العالم الخارجى عن جماعة « الحريم » الموءودة فيه . انسحقت طفولتى وصباى وجـــزء غير قليل من شبابي .

أما الجو العائلى فيسيطر عليه الرجل كما فى كل بيت . وعلى المراة ان تنسى وجود لفظة « لا » فى اللغة الا حين شهادة (لا اله الاّ الله) فى وضوئها وصلاتها . اما (نعم) فهى اللفظة الببغاوية التى تلقنها منذ الرضاع . لتصبح فيما بعد كلمة صمغية ملتصقة على شفتيها مدى حياتها كله .

حق التعبير عن النفس محظور عليها ، الضحك والغناء من المحرمـــــات ويمكن اختلاسهما بعد ان يغادر الرجال (الارباب) الى اعمالهم ، الاستقلال الشخصي مفهوم غائب لا حضور له اطلاقا فى حياتها .

فاذا تركت المراة الان تعيش غيابها فى ذلك البيت - السجن - وعرجت على المناخ العائلى العام رايت التناقض ، حيث يلتقى التعصب الديني واللا تعصب ، وحيث يلتقي الشعور القومى والوطنى بتقليد ثقافى حرص ابى وعمى على ترسيخه فى العائلة ، وذلك بايفاد الابناء الى مدارس اجنبية لتحصيل العلم والتزود بالثقافـــة الغربية فى وقت كان « الازهر » فيه قبلة طالب العلم فى المدينة .

ومن صور التناقض فى هذا المناخ العائلى الاختلاف الشاسع بين طبائع افراد الاسرتين ، اسرة عمى واسرة ابى ، كان عمى انبساطيا منفتحا ، يتحدث الى نساء العائلة ، يضاحكنا ، يشاركنا فى العابنا الطفولية . اما ابى فكان جافـــا لا يترك لي أو لاخواتى مجالا لنتقرب اليه اكثر ، وقد ظل حضوره يبعث فى نفسى الضيق منذ طفولتى . وكنت استغرب من البشاشة التى يغدقها على بنات عمى ، ويمسكها عنا نحن بناته .

اما ابناء عمى فقد ظلوا منغلقين على انفسهم ، يرفعون بيننا وبينهم جداراً مسدوداً من البرود العاطفى والصمت المطبق ، كما كان عبوسهم وسريتهم مثار استغرابى دائماً . اما اخوتى فكانوا مرحين يملؤون الدار حيوية وضحكاً وغناء . كان كل شيء يتعلق بهم مفتوحا معلنا ، بينما اسرة عمى تغلف نفسها دوننا بتكتمها وسريتها المحكمة الاغلاق .

ومن الجدير بالذكر خلو الجو العائلى من المشاكل . كان ابى وعمى لا يسمحان اطلاقا باثارة القيل والقال والنكد العائلى . وهكذا ظل ايقاع الحياة فى البيت يبدو متناسقا متناغما ، ولكن ظاهرياً . ففى الحقيقة كان هناك ما يشبه العداء الصامت بين افراد الأسرتين ، او لاقل عدم الانسجام أو التنافر بين الطباع ، وكان تنافراً عميق الغور .

كانت المشاجرة بين الكبار شيئاً غريبا جداً على جو العائلة . وكنا حين نسمع تشاتم الجيران وعراكهم وصراخهم ، وقـــد اختلطت أصوات النساء باصوات الرجال نستنكر ذلك ، فالمشاجرة الصارخة كانت توحى لنا دائما بغوغائية المتشاجرين وكونهم من العوام .

ومن الأشياء التى لم يكن لها اثر فى البيت الايمان بالخرافات والاعتقاد بوجود الجن والعفاريت ، أو اتخاذ الحجب والتعاويذ كنوع من الوقاية ودرءا للشر والاذى . كانت هذه الامور تثير ضحكنا وتعليقاتنا الساخرة . وهكذا نشات محصنة ضد الخرافة .

على ان هناك نزعة كامنة فى نفسي للغيبيات ولو كان عقلى يرفضها . فالتشاؤم والتفاؤل من طبيعتى . واخاف من الحسد

.. كما أن الحلم السيىء ينشر غلالة من الكآبة والتوجس فى نفسى على مدى نهارى كله .

● ● ●

لعل من الطف ما قراته من اقوال الرحالة الذين زاروا نابلس فى الماضى ، حديث الشيخ مصطفى اللقيمي الحسينى فى رحلته المسماة « موانح الانس برحلتى لوادى القدس ـ ١١٤٣ هـ ـ » فبعد وصفه لجمالها الطبيعى وخيراتها ووفرة عيونها يقول « وهى معتدلة الهواء تناسب لطافة كيانها اهل الجوى » .

كلما مررت بالشوارع التى تزنر اليوم جبلي عيبال وجرزيم او تربض على اكتافهما ارتددت الى عالم الطفولة ، عالم الاستكشاف والدهشة ، وعبرت بي وجوه الماضى ، وشعرت بالحنين الى وجه مدينتى القديم والى « لطافة كيانها » .

اية ضريبة تدفعها البلدة الصغيرة العريقة لكى تصبح مدينة كبيرة تواكب سير العصر ؟! انها ضريبة غالية تدفعها من جمالها البكر ومن عراقتها الطبيعية والعمرانية .

اين اليوم الاسواق المسقوفة المبلطة ، والقناطر العتيقة ، والازقة الضيقة المشبعة برائحة التاريخ ؟ كل هذه اختفى معظمها فلم يبق الا القليل القليل .

ام أين البساتين التى كانت تغطى منطقة « راس العين » فى جبل جرزيم او تلك التى كانت تنسحب على الوادى الاخضر الممتد بين الجبلين ؟ .

وادور بنظرى باحثة عن « الكيان اللطيف » ، وعن الوجه الريان الاخضر ولكن هذين لم يبق منهما الا بعض ملامح ـ لقد غابت اشجار اللوز والجوز والخوخ والمشمش والليمون الحامض لترتفع مكانها المخازن والدور الحديثة بطوابقها العديدة ، ولتمتد الشوارع الاسفلتية مفسحة الطريق للسيارات والباصات والشاحنات .

حين اعبر بشوارع راس العين تبحث عيناى عن ممرات السيل فى الجبل ، وعن شلالات الماء المضيئة بشمس الربيع وهى تندفع من بطن الجبل بكل عربدتها ، هابطة نحو السفوح ليبتلعها جوف الارض من جديد .

فى موسم تفجر العيون ، خلال شهرى شباط واذار ، كان نساء البلد ينطلقن الى

الله كم تصبي
تكبيرة العيد
أشهى إلى قلبي
من كل تغريد

تلك العيون والشلالات متلفعات بملاءاتهن السوداء ، ومعهن سلال الكعك البلدى والمحمصات المملحة والحلوى النابلسية . وها انا الآن ، اذ ادخل فى رحاب الخيال والذكرى ، ارى الصبية زمرا ، باقدامهم الحافية وسيقانهم المكشوفة ، يخوضون فى المياه الديناميكية بين صخور الجبل ، يغسلون الخس ويتراشقون باوراقه الخضراء ، يصخبون ويتشاتمون ، وتطفو ضحكاتهم على سطح المياه المنحدرة مرافقة اوراق الخس وقشور البرتقال والليمون الحلو ، ثم تختلط كلها بصوت الهدير .

لقد انحصرت اليوم مياه الينابيع فى الخزانات ، وغابت العيون والشلالات ، واشياء كثيرة اخرى ، ووجوه صميمية وحميمية ، غابت كلها وبقيت ذكراها حية فى النفس لا تغيب .

● ● ●

اين (علياء) رفيقة الطفولة ؟

اكثر افراح طفولتي على قلة تلك الافراح ـ تقترن بذكر « علياء » بنت الجارة ام حسن .

كانت تكبرني باربع سنوات ، على الرغم من هذا الفارق الكبير في السن بالقياس الى تلك المرحلة من العمر ، فقد كنا على انسجام كامل وتفاهم ومحبة مشتركة .

كنت اتوسل الى امي لتسمح لي بمرافقة « علياء » الى راس العين . فهناك كانت تقطن خالة « علياء » في بيت منعزل ، تكتنفه وتخفيه عن الانظار بساتين واشجار تشابكت غصونها والتف بعضها بالبعض الآخر ، وكانت الغبطة تملا قلبي وعيني اذا سمحت لي امي بمصاحبة « علياء » الى منزل خالتها ، وكنت ابتهل الى الله ونحن ننطلق معا من دارنا ان تمر اللحظات الاولى بسلام فلا التقي بواحد من ابناء عمي او ابي او اخي احمد فيردني على اعقابي خائبة حزينة .

كان مشوارنا دائما بعد العصر . وكانت نفسي تتوهج امام الجمال البري المحيط وقد هيمن الصمت على المنطقة غير الماهولة .

المنعطفات الرطبة ، خرير المياه غير المنظورة ، شجيرات العليق الاحمر الكثيفة المتشابكة وما كان اشهى ثمرها ، فما زلت احس بمذاقه الحاد ، الحامض كلما استرجع خيالي ذلك الماضي البعيد .

كنت اقتفي خطوات « علياء » في الممرات الضيقة المظللة بالشجر المتشابك ، ممرات لم تكن لتتسع لسيرنا جنبا الى جنب . وكان المكان يبدو لي جزءاً من عالم آخر ، او هكذا كنت اتخيل .

كان الاحساس بالحرية والانطلاق بعيداً عن جو البيت الأثري المختنق بالمحظورات والاوامر والنواهي التي لا اول لها ولا آخر ، كان ذلك الاحساس بالحرية يملؤني بفوحان الحياة . ففي تلك اللحظات الباهرة كان يستولى علي نهم حسي لالتهام الوجود ، وتجتاحني رغبة الامتلاك ، فتمنى لو كانت تلك الاشكال الحية ، المختمرة بخميرة الحياة المتفتحة ، شيئا تحت مخدتي مع اشيائي الطفولية المخباة هناك .

ولقد نشات اواصر صداقة حميمة بيني وبين اشجار تلك المنطقة وممراتها الضيقة ومنعطفاتها الرطبة ، فعايشتها كلها بالفة وحب عميقين . معها كنت احس بالفرح الحقيقي ، وكل شيء كان يثير دهشتي ، وكل شيء كان جديداً بالنسبة لعيني وخيالي ، باعثا في اعماقي نشوة طازجة . وهكذا كانت تنطلق طفولتي بكل تلقائيتها النابضة لتعانق الدنيا البكر الجديدة حيث عالم الخضرة ينمو نمواً حراً لا تحد من حريته اية حواجز . ولقد كنت احب تلك الفوضى في نمو الأشجار اذا صح أن اسمي الحرية فوضى . وكنت احدق في الطبيعة من حولي كما يحدق الرضيع في وجه امه اذ هو يكتشفه ملمحا ملمحا يوما بعد يوم .

ومن خلال « علياء » بنت الجارة تعرفت

على وجوه اخرى كثيرة لبلدتى ، وعلى ايقاعات للحياة فيها ما كنت لاتعرف عليها من قرب لولا هذه الرفيقة المحبوبة ، والتي كانت تفيض حيوية ونشاطا وحركة .

لقد عرفتني على المباهج الموسمية والافراح الاجتماعية ، كالاعراس ، والموالد وافراح الحج ، وختم القرآن ، وميلاد الاطفال الذكور ، والختان ، وكم من مرة اصطحبتني الى بيت احد اقربائها في شهر شعبان ، فقد جرت العادة لدى العائلات النابلسية أن يستضيف كبير العائلة وعميدها افراد النساء من خالات وعمات وبنات اعمام وسواهن من القريبات ، وقد كانت هذه الاستضافة شكلا من اشكال صلة الرحم ، كما كانت في نفس الوقت مناسبة بهيجة لاولئك النسوة في ذلك الملتقى « الشعباني » ، يلبسن فيه الملابس الجديدة ويخضبن راحتهن بالحناء ، ويضعن على الجانب الأيمن من رؤوسهن اضمامات من الزهر من يأسمين وقرنفل وريحان اخضر وسوى ذلك من الزهور البيتية العطرة . وكان اكثر ما يستهويني مجلس الغناء الذي كن يعقدنه ويطلقن فيه العنــــان لاصــــواتهن الجميلة وكنت استغرب كيف يسمح لهن رجال العائلة بكل هذا الفرح .. فمثل هذه الأجواء البهيجة لم تكن مالوفة في بيتنا ولا كان مسموحاً بها . بل كانت صلة الرحم تتخذ شكلا صامتا مفرغا من الألوان والحركة ومظاهر الفرح .

وفي الربيع والصيف كان لأيام الخميس نكهة خاصة اذ تخرج النساء في العصر الى السفوح الخضراء ومعهن اصناف منوعة من الطعام والفاكهة والنقل ، وكان هذا الملتقى الاجتماعي للمرح من المحظورات على نساء العائلة ، ولقد تعرفت عليه من خلال « علياء » وخالتي الوحيدة أم عبد الله عسقلان.

كما كنت اصطحب علياء وامها الى المزارات ومقامات الأولياء والدراويش ففي هذه المقامات اعتاد ضيوف الدراويش الاحتفال وذلك بدق الطبول والصنوج ورفع الاعلام الخضراء الكبيرة . وفي مقامات الأولياء كنت أرى احيانا بعض السرج مضاءة في أطراف المقام الذي غطته ملاءة خضراء مطرزة ببعض ايات القرآن . ومن ام علياء عرفت أن بعض النساء العواقر يلجان إلي المقام متوسلات للحصول على النسل ، فيضعن السرج لتضاء هناك تقربا الى الولى أو وفاء بالنذر . وكان هذا يشعل خيالي ويضعني فى جو من الغموض الجميل ولكننى بعد عودتى الى البيت والتحدث الى امى عما رايت وسمعت ، كنت اصدم دائما بعدم تجاوبها مع اقوالى وتســفيهها كل هذه « الخزعبلات » وكانت تستعمل هذه الكلمة بالذات . وهكذا كانت تقتل خيالى وتخرجني من عالم الغموض الذى كان يستهويني دائما .

احيانا ، لدى مرورى بجامع الحنبلي فى السوق القديم وسط المدينة يفاجئنى الماضى منطلقا من خزانة الذاكرة ، وتمثل فى ساحة الوعي أمسيات السابع والعشرين من شهر رمضان ، فارى نفسي ادخل المسجد مع علياء وقد ازدحم قبل صلاة العشاء - أو بعدها ، فلست اذكر تماما - ازدحم بالنسوة اللواتى كن يهرعن اليه للتبرك بشعرات النبى (صلى الله عليه وسلم) المحفوظة فى خزانة على يمين المحراب ، لقد جلبت هذه الشعرات من الاستانة بامر من السلطان محمد رشاد . وعلى منبر الجامع تقع العين على كتابة تقول (تجدد بناء المسجد وتشرف بالشعرات المحمدية بامر من السلطان محمد رشاد خان الخامس نصره الله) .

وكم حاولت ان اشق طريقي مع علياء خلال الزحام لادنو من الخزانة وأرى الشعرات المحمدية ، ولكنى كنت احس باجسام النسوة المتراصة تكاد تسحقني ، فاشد قبضة يدى على تنورة علياء خوفا من الانفصال عنها والضياع فى الزحام .

وكان اكثر ما يثيرنى ويفرحنى مباهج الاعياد . كنت ارافقها الى ساحة الالعاب والاراجيح . ولم اكن احب لعبة الأرجوحة ، فقد كنت اضيق باحساس مثل الخدر فى نهاية الحبل الشوكى كلما دفعتنى الأرجوحة بقوة وعنف الى الامام . لذلك كنت احجم عن هذه اللعبة وافضل عليها لعبة (الدولاب) . فكنت اجلس مع علياء فى واحد من الصناديق المثبتة على دولاب خشبى ضخم يقوم على عواميد حديدية مغروسة فى الارض ، ويشرع صاحب الدولاب بتحريكه، ويبدأ الدولاب بالدوران ، ومع دورانه كانت ترتفع بنا الصناديق تارة وتهبط اخرى ، ويظل الدولاب يدور ومع كل دورة يعود الى القمة من هبط ويهبط من ارتفع ، وكانت الاثارة تكمن فى هذا الصعود والهبوط الدورى . كانت عملية الارتفاع مصحوبة لدى بخوف من السقوط المفاجىء ، اما فى عملية الهبوط فقد كنت احب احساسا بالهوى اشعر به تحت الحجاب الحاجز ، كان احساسا اشبه بدغدغة لطيفة .

كنا احيانا نغفل عن انفسنا وقد انغمرنا فى تلك المباهج ، نتنقل من مكان الى اخر ، نلعب ونشترى اللوز الاخضر والترمس والفول المملح ، وكيف لا نشبع رغباتنا المادية والجيب عامرة (بالعيدية) والقروش تثقلها .

اما الصباح الباكر لأول ايام العيد فهو من احلى ذكريات الاعياد . كنت اهرع الى السوق واقف بباب « جامع البيك » امام منزلنا فى السوق القديمة ، اراقب المصلين وقد لبسوا احسن لباسهم . وكانت تكبيرة العيد وهي تتصاعد متواجدة خاشعة فى ترتيل جماعي يملك الاحساس ، تملؤني بالحنان ، وترقق مشاعرى حتى الشفافية . ولا ازال حتى اليوم احب الاصغاء اليها صبيحة كل عيد مذاعة من محطات الاذاعات العربية . وفى مرحلتى الشعرية المبكرة نظمت للاذاعة الفلسطينية نشيدا للعيد ضمنته احساساتي الطفولية بكل عفويتها وتلقائيتها . لقد كان يلفت نظرى وقوف ابى وسواه من اعيان البلدة بجانب الفقراء والبسطاء فى أوقات صلاة العيد .

كنت احب منظر الرجال في ملابسهم الجديدة ، لاسيما منظر القنابيز اللماعة المخططة بخطوط رفيعة باهتة اللون ، وفى اثناء سيرهم كان يصدر حفيف لطيف من احتكاك اطراف القنباز بعضها ببعض كحفيف أوراق الشجر وقد لاعبها النسيم . اما الجاكيتات الأنيقة فكان الشباب يضعون فى الجيب الصغير على الصدر منديلا حريريا تتدلى اطرافه خارج الجيب فتبدو للعين كعصفور يرف جناحاه ، مع حركة السير . كما كان بعض الشباب يضعون زهرة قرنفل او زر ورد بدل المنديل .

وكانت الاثارة الكبرى بالنسبة لنا نحن الصغار حين نسمع اول طلقات المدفع معلنة بشائر العيد . هنا كانت تضــج نواحي البلدة بهتاف الصبية والبنات الصغيرات . فكانت هذه اللحظة هى ذروة الفرح الطفولى بالعيد السعيد .

بقيـــة المذكـــرات
العـــدد القـــادم





عبد العزيز السيد المصري

كيف اكتشف كوكب بلوتو؟

ترى كيف يكون البحث عن إبرة في كومة قش ؟ .. إن هذا ما عاناه الفلكيون وهم يحاولون العثور على الكوكب بلوتو ... فهو ابعد الكواكب في نظامنا الشمسي .. ويبعد عن الشمس اكثر من بعد الأرض عنها اربعين مرة ... وهو يبدو ـ لذلك ـ شاحباً جداً ، ولا يراه إلا تلسكوب ضخم ... ومع ذلك فقد تم اكتشافه فكيف حدث ذلك ؟

هناك مجموعتان من القوانين هي التي تساعد الانسان في الحصول على معلومات عن حجم الكواكب وبعدها عن الارض . قوانين كيبلر عن الحركة الكوكبية التي بينت ان مدارات الكواكب حول الشمس ليست تامة الاستدارة . وقانون نيوتن عن الجاذبية الذي ساعد الفلكيين على تقدير اوزان واحجام وكثافة الكواكب .. ويبين ذلك القانون ان كل جسمين يجذب احدهما الآخر بقوة تعتمد على كثافة كل منهما (أي كمية المواد الموجودة في كل منهما) وبعد كل منهما عن الآخر .. وكلما زادت جاذبيتهما كلما اشتد جذب كل منهما للآخر .. وكلما قرب احدهما من الآخر كلما زادت قوة الجذب .

إن هذين القانونين جعلا رجلين يلاحظان في سنة ١٨٦٤ ان هناك خاصية ما في كوكب اورانوس .. فلم يكن يتحرك في مداره كما يتحرك غيره من الكواكب المعروفة .. فمن طريقته في الدوران افترض الفلكيون وجود كوكب اخر يؤثر على حركته ..ولكن اين هذا الكوكب المجهول ؟

.. طلب احد هذين الرجلين من مرصد برلين ان يبحث عن الكوكب المجهول في جانب ما من السماء .. فعثر عليه هناك .. وسمي هذا الكوكب الجديد «نبتون» .

وفي سنة ١٩١٥ اعتقد الفلكي الامريكي «بير سيفال لويل» ان حركة اورانوس تتاثر بكوكب ما وراء نبتون المكتشف حديثا ، وشعر فلكي اخر ان حركة نبتون نفسه تتاثر بكوكب اخر وراءه .. وهكذا بدات سلسلة من البحوث المتتابعة بالتلسكوب ومراجعة وفحص الصور الفوتوغرافية للعثور على هذا الكوكب الآخر .

وفي ١٨ فبراير سنة ١٩٣٠ بينما كان الفلكي «تومبو» يفحص بعض الصور الفوتوغرافية بحثا عن هذا الكوكب المجهول عثر عليه قرب الموقع الذي اشار اليه «لويل» من قبل في سنة ١٩١٥ ، وكان هذا الكوكب هو بلوتو .. ابعد الكواكب في مجموعتنا الشمسية .

لماذا لانستطيع تجنب أمراض الشيخوخة؟

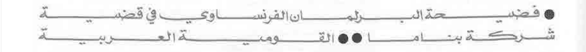


يود معظم الناس ان يعيشوا ويعمروا فى الأرض ولكن احداً منهم لا يريد ان يشيخ ويصير عجوزا واهنا وينسون ان الشيخوخة عملية حتمية تبدا مع ميلاد الانسان نفسه وتستمر طوال حياته . كلنا يعرف ماذا يحدث لرجل تتقدم به السن عاما بعد عام .. جميع وظائف بدنه الحيوية ، تاخذ فى الضعف فقوته تهن وحواسه ترتبك ، ويفقد عادة الكثير من وزنه بل ومن طوله ايضا وكثيرا ما يصاحب ذلك ظلال فى البصر وثقل فى السمع ، ويتحول لون شعره إلى رمادى ، ويتكرش جلده ويصير اقل طراوة ومرونة . وطبيعى الا تصيب تلك الاعراض جميعها الناس كلهم فى عمر واحد ، ولكن هناك تغيرات معينة لا يمكن اتقاؤها او الافلات منها وذلك لان هذه التغيرات تحدث فى انسجة البدن وفى اعضائه جميعا فمثلا خلايا انسجة الكليـة والكبـد ، والبنكرياس ، والطحال تبدا فى التلف وذلك لان الأوعية الدموية تصيبها الشيخوخة فتعجز عن تزويدها بالدم والغذاء بنفس القدرة والكفاءة السابقتين ، كما يصيب التلف الغدة الدرقية وغيرها من الغدد ايضا .

وتبدا جميع الانظمة الدورية للبدن فى التغير مع العمر ولا تعمل بنفس النشاط الذى كانت تعمل به من قبل .. فنحن لا نتنفس حتى بنفس الطريقة ، والعينان والاذنان والعظام والمفاصل والدم والجلد والشعر والاظافر والأسنان تبـدا جميعها فى الانتكاس او التلف .. وتقل العصارات الهاضمة فى جهازنا الهضمى وتفقد معدتنا وامعاؤنا بعضا من شدة عضلاتها ومتانتها وترتبك إمدادات الدم ، وهذا هو السبب فى أن كبار السن لابد لهم أن يغيروا غذاءهم .. فالتغير حيوى ولا يمكن منعه وذلك ببساطة ، لان الانسجة والغدد العجوز لا تستطيع ان تؤدى نفس العمل الذى كانت تؤديه وهى شابة ولكن ذلك لا يحدث كما ذكرنا بصورة واحدة شاملة ، فقد يكون انسان فى الستين من عمره وبعض اعضاء وانسجة بدنه تشبه الاعضاء والانسجة التى فى بدن انسان فى عمر الثمانين ، بينما البعض الآخر منها قد يكون فى حالة جيدة كتلك التى فى جسم انسان سنه اربعون عاما او ثلاثون أو ربما عشرون ، فلنتامل قول الله تعالى فى القران الكريم « الله الذى خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير » سورة الروم آية ٥٤ .

أوراق خضراء

الكلمة الحية لا تموت بل تزدهر وتزداد جمالاً مع الأيام
وهذه مختارات ثقافية حية من الصحف العربية القديمة



● فضيحة البرلمان الفرنساوي في قضية شركة بناما ●● القومية العربية

أكبر حادثة رشوة في التاريخ



فضيحة البرلمان الفرنساوي في قضية شركة بناما

بقلم : حسن الشريف

لعل قضية شركة بناما أو « فضيحة بناما » كما يطيب للفرنسيين ان يسموها ، اكبر حادثة عرفها التاريخ من حوادث الرشوة واستغلال النفوذ . وإذا كانت هذه الفضيحة قد جل امرها وذاع خبرها فلان الملايين من الذهب قد تدفقت فيها من ايدى أصحاب المال إلى جيوب نواب الشعب الفرنساوى ولان شرف غير واحد من وزراء الدولة قد غرق فى لجتها ، ولانها قضت على سمعة كثير من الزعماء البرلمانيين وكادت تقضى على سمعة الانظمة النيابية نفسها .

● ● ●

بعد ان نجح فردينان ده ليسبس فى حفر قناة السويس خطر له أن يحفر قناة فى برزخ بناما تصل المحيط الاطلنطى بالمحيط الهادى ، وتوفر على السفن المسافرة من شرق اميركا إلى غربها شقة المسير بمحاذاة شواطيء اميركا الوسطى والبرازيل والارجنتين ، لتعود فتصعد نحو جمهوريات شيلى ، وبيرو ، وخط الاستواء ، وفنزويلا ، وامريكا الوسطى حتى تصل إلى ميناء سان فرانسيسكو .

ولقد وضع ده ليسبس فى سنة ١٨٧٦ مذكرة وافية بهذه الفكرة وبوسائل تحقيقها واقترح ان تصل القناة ما بين خليج ليمون ومرفا بنما . وقدر ان يكون طولها اربعة وسبعين الف متر بحيث لا تقام عليها قناطر ولا اهوسة ولكى يتحاشى اثر الزلازل فى هذه المنطقة الخطرة قرر ان يكون عمق الخندق المحفور تسعين متراً .

وما لبث المهندسون الذين اطلعوا على هذا التصميم الهائل حتى اعلنوا استحالة تحقيقه واكدوا ان الوف الملايين التى ستنفق عليه ذاهبة هباء . ولكن شهرة ده ليسبس وإيمان الناس بعبقريته وسابقة نجاحه في فتح برزخ السويس ، كل ذلك جعل الناس لا يابهون لتحذير الخبراء والفنيين ولا يعباون باعتراضات أهل الذكر والمهندسين . ولم ير القوم فى تلك الاعتراضات غير شنشنة كالتي عرفوها من المهندسين الانجليز يوم هبوا في وجه ده ليسبس يحاولون إقناعه باستحالة وصل مياه البحر الأبيض بمياه البحر الأحمر .

وظل فردينان ده ليسبس يجاهد ويقاوم ويستانف الحملات التي كان يقوم بها لاقناع العالم بمشروع قناة السويس وترويج فكرته حتى تم له ما اراد ، وتالفت « شركة بناما » الفرنساوية ولم تهمل وسيلة من وسائل الدعاية والاعلان والترغيب ، فتدفقت عليها الأموال من كل صوب واقبل المساهمون يشترون اسهمها ، ولم يمض زمن طويل حتى تجمع لديها راس مال انست فيه الكفاية لتحقيق مشروعها .

فضيحة البرلمان الفرنساوي في قضية شركة بناما

بدات الشركة تعمل ولكنها ما لبثت حتى تجلت لها صعوبة العمل في هذه المنطقة الصخرية ورات الآلاف من العمال الاوروبيين يموتون تحت وهج الشمس في تلك الأصقاع الاستوائية . وراجعت حسابها فالفت عمليات تكوين الشركة والنشر والاعلان وجمع الأموال وشراء الآلات واستئجار العمال ودفع التعويضات والتامينات ونفقات الأجراءات التمهيدية للحفر وشق الجبال —الفت هذه العمليات قد استغرقت معظم راس المال وايقنت لأول مرة انها حيال مشروع لابد للوصول به الى نهايته من اموال هى فوق ما قدرت بكثير .

شعرت الشركة بالعسر المالى وهى بعد فى مستهل العمل فكان لا مناص لها من الاستدانة ، وفكر مديروها فى الأمر واهتدوا فى النهاية إلى وجوب إصدار سندات نصيب ذات أرباح سنوية

ولكن هذه السندات لا تكون قانونية إلا إذا وافق عليها البرلمان الفرنسى فما الوسيلة إلى موافقة هذا البرلمان ؟ هنا يبتدىء امتزاج السياسة بالمال وتبدو سيطرة المال على السياسة فى اجلى مظاهرها واقبح اشكالها .

شركة على حافة هاوية الافلاس تحاول إقناع الناس باستطاعتها تحقيق مشروع مستحيل وقد ابتلعت ملايين وملايين من اموال المكتتبين ولا تزال تطلب المزيد ، وتمعن فى إغراء الشعب للاقبال عليها ومؤازرتها ، وقد قامت الأدلة وتضافرت الآراء على انها يئست من النجاح وانها لا تبغى من التحدى والاستمرار غير ستر الفضيحة وإنقاذ ما يمكن إنقاذه من كرامة القائمين بادارتها . شركة كهذه وتلك حالها تلجا إلى نواب الامة لتستصدر منهم قراراً بالموافقة على إصدار سندات نصيب جديدة لبيعها للناس وهى تعلم ان لا طائل يرجى من وراء هذه السندات وان الأموال التى تدفع ثمنا لها لن تستثمر فى عمل منتج ولن يرد لحامليها من قيمتها شيئا . ومع ذلك بل رغم ذلك لاتعدم بعض الزعماء السياسيين يحبذون مشروعها ويدافعون عنها ويضمون إليهم عدداكبيراً من النواب ويؤيدونهم ويدحضون ما يدور حول الشركة من « الاشاعات والمفتريات » ثم يصدر قرار المجلس بالموافقة فتخرج الشركة من النضال فائزة تنثر على الناس اوراقا ملونة مبصومة وتقبض مقابلها أكواما من الذهب والفضة . وبعد ذلك يقال إن الديمقراطية افضل الانظمة لحكم الشعوب !!

استمرت الشركة تعمل او تتظاهر بانها تعمل ثم سارت حالها من سيء إلى اسوا فافلست ولحقت الملايين الجديدة باخواتها السابقة . وحاول ده ليسبس ان يؤلف شركة جديدة فاخفق ، واعلن المديرون عجزهم عن القيام بما تعهدوا به ، واعلنت الشركة عجزها عن رد ما سلبت من أموال الناس . فعينت الحكومة مصفين عملوا على تصفية الشركة بضعة شهور ثم قرروا انه لم يبق للمساهمين من ثمن للاسهم التى يحملونها شيء .

عندئذ هاجت الخواطر وهب بعض المساهمين يقاضون الشركة ويتهمون مديريها بالنصب والتبديد والاحتيال لاستلاب المال فشرعت السلطات تحقق هذه التهم وانفتح باب القضية على مصراعيه . وكان ذلك فى شهر يونيو من عام ١٨٩١ .

ولقد الفت الحكومة الفرنساوية نفسها فى موقف دقيق . فاما ان تسدل الستار على فضيحة بشعة قد تعصف بها وبالجمهورية نفسها ، وإما ان تسوق إلى المحاكمة ثم إلى السجن شيخا كفردينان ده ليسبس ينوء تحت اعباء المجد والسنين وهو فى الوقت نفسه عضو بمجمع العلماء يحمل الوشاح الاكبر من نشان فرقة الشرف وقد حقق اكبر مشروع هندسى صنعته يد الانسان إلى ذلك الحين . وكانت الحكومة تعلم من اوثق المصادر أن شركة بناما لم تعمد فى الحصول على موافقة البرلمان عند إصدار سندات النصيب إلى الطريق المشروع بل عمدت إلى الرشوة فاشترت اصوات عدد كبير من النواب والشيوخ والوزراء وزعماء الاحزاب واصحاب الصحف . فهل من مصلحة الدولة ان تذاع هذه الفضائح على مراى ومسمع من الشعب ومن اوربا بل ومن العالم باسره ؟ !

حاولت الحكومة ستر الفضيحة او تلطيف مظهرها جهد الاستطاعة . ولكن ما الذى تستطيعه الحكومة وها هى الأحزاب قد تناولت المسالة واتخذت منها سلاحاً يحارب به بعضها البعض ، وها هم الزعماء قد بداوا ينشرون التفاصيل ويذكرون الأسماء ويحتمون على الحكومة ان تثير المسالة بحذافيرها لتحدد المسئوليات وتعين المسئولين ؟

ظلت الحكومة تتباطا وتسوف وظل الذين يهمهم الأمر يلهبونها بمر النقد وقارص اللوم حتى لم يسعها فى النهاية إلا ان تذعن فعهدت باوراق القضية إلى النائب العام وكلفته إجراء التحقيق . وامضى النائب العام صيف سنة ١٨٩٢ فى مراجعة ملفات القضية ومذاكرة محتوياتها وانتهى منها إلى تقرير إحالة مديرى الشركة إلى المحاكمة وهم : فردينان ده ليسبس ، وابنه شارل ده ليسبس ، وكوتو ، وماريوس فونتان .

ولقد املت الحكومة ان تقف المسالة عند هذا الحد ولكن الصحف اخذت على عاتقها ان تخرجها من نطاق القضاء إلى دائرة السياسة . فاتهمت علناً عدداً من النواب والشيوخ بانهم استغلوا نفوذهم النيابى واتجروا بتوكيل الامة وباعوا اصواتهم وذممهم لشركة بناما بمال وفير .

وكانما أرادت الأقدار ان تزيد الحادث تعقيداً فوقعت حادثتان قلبتا وضع المسالة إلى شكل روائى كان له اسوا وقع فى النفوس .

ذلك ان احد الماليين المتهمين بالسعى بالرشوة بين مديرى الشركة والوزراء واعضاء البرلمان واصحاب الصحف ، وهو البارون ده ريناخ ، كان عما للمسيو جوزيف ريناخ مدير صحيفة « لاريبوبليك فرانسيز » . وكان خصوم هذا الصحفى ذى الكلمة النافذة والقول المسموع يحاولون أن ينالوا من سمعته من طريق التشهير بعمه . فانهالوا على العم قذفا وتجريحا واتهاما حتى ساقوه امام المحققين . وكانما احس الرجل ثقل الادلة المتراكمة عليه فانتحر وجاء انتحاره دليلا جديداً قوياً على صحة التهم المنسوبة إلى الوزراء واعضاء البرلمان .

اما الحادثة الثانية فكانت ان ماليا آخر امريكيا ينتسب إلى اصل المانى اسـمـه كورنليوس هرتس عاش فى فرنسا زمنا طويلا احكم خلاله صلات الود والصداقة بينه وبين كبار رجال الدولة وفى طليعتهم المسيو كليمنسو حتى انعمت عليه حكومة الجمهورية بوسام فرقة الشرف ، حدث ان هـذا المـالى ، بادر إذ احس نشـوب الفضيحة ، إلى مغادرة فرنسا والرحيل إلى انجلترا جاعلا بحر المانش حائلا بينه وبين خصومه ومتهميه . ومن هنالك اخذ يراسل الصحف الفرنسية فكان تارة يدافع عن نفسه واخرى يلوح بالتهم الى بعض الوزراء ورجال البرلمان ويلمح إلى وقائع وحوادث لا تدع مجالا للشك فى اسماء من يعنيهم من أصحاب المقامات .

ومن ذلك الحين صارت فضيحة بناما تشغل ميدانين : ميدان القضاء وميدان السياسة . ومن المعلوم ان كل ما يمس السياسة لابد من ان يكون له اثره فى القضاء . وقد انذر المديرون المتهمـون زملاءهم فى جريمة الرشوة انهم إذا عجز رجال السياسة عن وضع حد لهذه المسالة وإذا الجاتهم الحال إلى الوقوف فى ساحة العدالة واعوزهم الدفاع عن انفسـهم - سيعترفون بانهم امطروا الوزارة والصحافة ورجال البرلمان هذا الوابل من المال لانهم كانوا فى حاجة إلى استصدار قرار الموافقة على إصدار سندات النصيب وما كان فى استطاعتهم استصدار هذا القرار إلا بدفع ثمنه . وانهم لم يلجاوا إلى هذه الوسيلة المنكرة إلا بعد الذى انسوه من عناد البرلمانيين وإصرارهم على قبض الثمن . وانه ما كان لمديرى مشروع خطير كمشروع قناة بناما ان يقيدوا انفسهم ببعض اعتبارات لا تقف امام الضرورة الملحة ، ضرورة إنقاذ المشروع وإنقاذ رءوس اموال طائلة كان الامل كبيرا فى استثمارها على خير الوجوه وانهم عندئذ يدعون للقضاء مسالة الفصل فى اى الشريكين فى تهمة الرشوة اخف ذنبا :

هذا الذى يعطى لمثل ذلك الغرض العظيم أو ذاك الذى يأخذ لمجرد الرغبة فى الاثراء وإشباع شهوات الحياة .

وخرجت المسالة فعلا من دائرة القضاء والصحافة والاندية إلى دائرة



فرديناند ديليسبس

البرلـمـان إذ وقف النـائب ديـلاهى على منبر مجلس النواب يتهم مائة من اعضائه بانهم باعوا اصواتهم وذممهم ومصلحـة المساهمين لكورنيليوس هيرتس والبارون ده ريناخ ، ويعين المبالغ التى استولى عليها كل منهم ويجهر بان الوزير بايهو استولى وحده على مبلغ اربعمائة الف فرنك (ستة عشر الف جنيه) وان احد اعضاء اللجنـة التى كلفت فحص مشروع القانون استولى على مائتى الف فرنك (ثمانية الاف جنيه) لان اللجنة انقسمت فريقين احدهما يقبل المشروع والاخر يرفضه . فكان صوت العضو المتهم المسيو سانس لوروا هو الصوت الذى رجح فريق القبول .

ولقد استمع المجلس إلى هـذه الفضائح فى هرج ومرج إذ كان كل حزب يدافع عن نفسه ويرمى الآخرين بالتهم . ووقف جورج كليمنسو فى حدة النمر يدرا التهم المصوبة إليه ، وانبرى الوزير ريبو يحاول ان يواجه العاصفة التى تكاد تقتلعـه . وقـد جمـع انصـار الجنرال بولانجيه وخصوم الجمهورية والقائلون بتعديل الدستور جموعهم وظنوا الفرصة سانحة للقضاء على النظام الجمهورى ، فشنوا الغارة على اعدائهم هوجاء حامية لا رحمة فيها ولا هوادة ولا مراعاة لاى اعتبار .

واقترحت الحكومة إقفال باب المناقشة على ان يعين المجلس لجنة تتولى التحقيق من جديد بشرط الا تكون لها اية سلطة قضائية تفصل بها فى الموضوع . وارتاح المجلس إلى هذا الحل وتالفت اللجنة فدابت على العمل وواصلت البحث والتنقيب حتى اهتدت إلى المصرف المالى الذى كان البارون ده ريناخ يودع فيه امواله . فقرر مدير هذا المصرف ان فى حيازته تحويلات مالية «شيكات» بامضاء المرحوم البارون وان كثيرا من النواب والشيوخ قبضوا قيمتها . وقدم للجنة هـذه التحـويلات فاذا بين إمضاءات الموقعين على قبض القيمة إمضاءات المسيو البير جريفى ، وليون رينوه ، من زعماء مجلس الشيوخ والمسيو امانويل ارين . وجول روش . من زعماء مجلس النواب ، وإمضاء رئيس الوزارة السابق روفييه وإمضاء الوزير بايهو .

تلقاء هذه الأدلة الحاسمة لم يسع المجلس بناء على طلب الحكومة إلا ان يقرر رفع الحصانة البرلمانية عن جميع المتهمين تمهيدا لتقديمهم إلى المحاكمة .

وفى العاشر من شهر يناير سنة ١٨٩٣ مثل الجميع امام القضاء وترافع النائب العام فقال : « إن مديرى شركة بناما قد اضاعوا على الشعب بمعاونة نواب الشعب مليارا واربعمائة مليون من الفرنكات (ستة وخمسين مليونا من الجنيهات تقريبا) فى اكبر واضخم مشروع نصب واحتيال عرفه التاريخ ، وحكمت المحكمة على كل من المديرين بالسجن ستة اشهر وبغرامات مختلفة . اما رجال البرلمان والوزراء فقد انكروا ما عزى إليهم من التهم وصدر الحكم ببراءتهم جميعا ما عدا الوزير بايهو الذى اثر الاعتراف فتخطاه تسامح القضاء .

وهكذا ابت الأقدار على العبقـرى العظيم فرديناند ده ليسبس إلا ان يختم حياته بهذه الخاتمة السوداء . فلم يشفع له امام القضاء ذلك الأثر الخالد المجيد الذى وصل الشرق بالغرب ، ولم تشفع له القابه العلمية ولا اوسمة الشرف التى تغطى صدره ولقد عاش بعد سجنه اشهرا ثم مات مهموما محزونا .

حسن الشريف
١٩٦٦

منذ خمسين سنة يكتبون هذا الكلام

القومية العربية



بقلم إبراهيم عبد القادر المازني

كثيراً ما يسألنى الشبان الذين لم يشهدوا الثورة المصرية ـ لانهم كانوا اطفالا ـ « هل كانت حقيقة رائعة ؟ » .

فاقول : « لقد بلغت غاية الروعة ـ فى حدودها . ولم يكن فى الوسع ان تكون فوق ما كانت ، ولكنها فشلت ـ مع الأسف ـ لأنا احطنا قوميتنا بمثل سور الصين » .

ذلك انى اؤمن بما اسميه « القومية العربية » واعتقد ان من خطل السياسة وضلال الراى ان تنفرد كل واحدة من الأمم العربية بسعيها غير عابئة بشقيقاتها ، او ناظرة إليها ، ويحنقنى ويستفزنى ان أرى احداً ينظر إلى مصر كانها من أوربا وليست من الشرق . وعندى ان الجنسية الشرقية هى أساس حياتنا وتاريخنا ، وان هذه النظرة تفسد مزايانا الشرقية ـ إذا لم تفقدنا إياها ـ ولا تكسبنا مزية من مزايا الغرب ، والعلم ينقل ، وقد نقل من الشرق إلى الغرب ، ومن اليسير ان ينقل من الغرب إلى الشرق من غير ان يحاول الشرق ان يغير جلده او يخسر خصائصه .

وقد اعترض على شاب ـ ذات مرة ـ ونحن فى حديث كهذا ، فقال ، «وما الراى فى القومية ؟أليست حقيقة تاريخية تفرق بين هذه الشعوب والأمم التى تريد ان تجمعها وتربطها برباط واحد ؟ » .

فقلت له : « إن هذه القوميات العنيفة الضيقة الحدود ، حديثة من الوجهة التاريخية ، وهى ـ بحدتها الحاضرة ـ بنت العصر الحديث ، او إذا شئت ، فقل انها وليدة الحرب العظمى ، وإن كان صحيحا انها سبقت الحرب بنصف قرن تقريباً ، بل إن فكرة الامبراطورية البريطانية نفسها ليست إلا بنت القرن العشرين . ولعل اكبر مسئول عن بث هذه الفكرة هو الشاعر كبلنج . ما علينا من هذا ولنرجع إلى حديث الشرق : لقد كانت هناك وحدة وثقافة اسلاميتان دان لهما الشرق ، او ما يعنينا منه ، وظلت هذه الوحدة قائمة على الرغم من انحطاط الثقافة ، ولم يمنعها ان تظل قائمة ان ثورات شبت ، وحروبا استمرت ، فان هذه اشبه بالفتن الداخلية والحروب الاهلية ،

وقد كان العلماء والأدباء والفقهاء يرحلون من بلد إلى بلد ، ولا يحسون انهم تركوا اوطانهم وتغربوا ، ولا يشعرون انهم اجتازوا حدوداً ، وتخطوا تخوما ، تفصل بين اقطار ، وتعزل امة عن امة . ولا يزال الحال كذلك ، ولو جبتم هذا الشرق لما شعرتم انكم فى غير مصر ـ إلا من حيث التقدم المادى ـ وكانت اللغة العربية هى اللسان الذى لا يحتاجون إلى اتخاذ غيره فى حيثما يكونون هذا الشرق العظيم الذى تقسمونه اليوم امما وشعوبا وتقولون هذا مصرى وذاك فلسطيني او شامى او حجازى . وعلى ان القومية هى اللغة لا سواها . ولئكن طبيعة البلاد ما يشاء الله لن تكون ، ولتكن الاصول البعيدة المتغلغة فى القدم ما شاءات ، فما دام ان اقواما لهم لغة واحدة فهم شعب واحد . ذلك لن الانسان لا يستطيع ان يفكر ـ إلى الآن على الاقل ـ إلا بالالفاظ . هى وحدها اداة التفكير ، فلا سبيل إليه بدونها ، ومن المستحيل ـ الآن ـ ان نتمثل معنى مجردا عن الفاظ تعينه . ولكل لغة أساليبها وطرائقها ، فاساليب التفكير وطريقة التصور خاضعة للاساليب التى يتالف على مقتضاها الكلام فى اللغات المختلفة ومن هنا يتفق ويتشابه ابناء كل لغة ، ويختلفون عن ابناء كل لغة اخرى ؟ وهذا فرق ما بين الانكليزى والفرنسى ، وما بين الانكليزى والهندى ، وهذه فيما اظن ، حقيقة علمية ، ومتى كان الامر كذلك فكيف نكون إلا عربا كالعراقيين ، والسوريين ، والفلسطينيين ، والحجازيين ، واليمانيين ، مع اختلاف يسير تحدثه طبائع هذه البلاد ؟ » .

فعاد الشاب يسالنى : « واصلنا المصرى ؟ وتاريخ الفراعنة ومدنيتهم ؟ » .

فقلت له : « اكرم بهذا من اصل ! وإنها لمدنية باهرة تلك التى كانت للفراعنة ، وإن العالم كله لمدين باكثر مما يعرف لهذه الحضارة القديمة ، ولكنها بادت واندثرت ولم يبق منها إلا الاثر المدفون فى التراب . والذى لا يمكن ان يؤثر فى حياتنا الحاضرة إلا من طريق واحد ـ هو إشعارنا العزة ، وحثنا على استحقاق هذا الميراث الجليل ، كما يكون الاب كريما فيخجل الابن أن يكون كزّا لئيما وان يفعل ما ينافى كرم ابائه وطيب ارومتهم ، ولكن المدنية العربية ـ او قل الاسلامية إذا شئت ـ لم تفن ، ولم تبد ، ولم تندثر ، ولم تفقد إلا القوة ومظاهر السلطان ، وهذه تكتسب وتستفاد ، ولكنها فيما عدا ذلك ، بقيت حية وابقى ما بقى منها لغتها بكنوزها المختلفة ، فهى ـ اى المدنية العربية ـ عامل مؤثر بوجوده ـ لا بذكراه كالعامل الفرعونى . ومن الممكن هدم هذه الحواجز المفتعلة التى يقيمها الغرب ويرفع منها سدودا بيننا وبين اخواننا » .

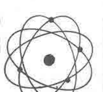
وكثير ممن احدثهم هذا الحديث يقتنعون ، ولكنهم يرون انفسهم شبابا ، ويستهولون أن يوكل إلى اسنانهم الغضة توثيق ما اوهنه تفريط الكبار او ضيق إدراكهم ، ولكنى انا اؤمن بقدرة الشباب على المعجزات ، لأن خياله انشط ، وجراته اعظم وعزيمته جديدة لم تنل منها الخطوب والخيبات ، وآماله فسيحة . وإذا كان الشاب لا يقدم ، فمن ذا عساه يفعل ؟؟

ولو ان هذه القومية العربية لم تكن إلا وهما لا سند له من حقائق الحياة والتاريخ لوجب ان نخلقها خلقا ، فما للأمم الصغيرة امل فى حياة مامونة ، وما خير مليون من الناس مثلا ؟ ماذا يسعهم فى دنيا تموج دولها بالخلق ، وكيف يدخل فى طوقهم ان يحموا حقيقتهم ويذودوا عن حوضهم ؟ إن اية دولة تتاح لها الفرصة تستطيع ان تثب عليهم وتاكلهم اكلا بلحمهم وعظمهم . ولكن مليون فلسطين إذا اضيف إليهم مليونا الشام وملايين مصر والعراق مثلا يصبحون شيئا له باس يتقى . وهذه البلاد ما انفكت زراعية على الاكثر ، وجل اعتمادها على حاصلات الارض ، والصناعة فيها ساذجة محدودة ، وضيقة النطاق والزراعة لا تغنيها الامم كما تغنيها الصناعة ، والمال عصب الحياة وسر القوة ، واخلق بهذه الاقطار العربية ان تظل صناعاتها ضئيلة ما بقيت هى مقسمة موزعة ، لانه لا يوافق الدول الغربية التى لها فيها سلطان او نفوذ ان تدع صناعاتها تنشط وتنهض ، ولا سبيل إلى نشاطها إلا إذا فتحت اسواق مصر ، لجاراتها الشرقية ، واسواق الجارات لمصر ، ومعقول ان تشترى منا دول اوربا حاصلاتنا الزراعية او ما يزيد على حاجتنا منها ، ولكن صناعتنا لا يعقل ان تجد لها اسواقا فى اوربا ، فما حاجة إلى ما نصنع بالغا ما بلغ التجويد فيه ، وإنما يتسع الميدان لصناعتنا إذا وجدت سبيلها إلى الشرق ومثل هذا يقال عن البلاد العربية الشرقية .

قد يقال ولكن هذا ليس إلا حلما ، فتقول نعم إنه الآن حلم ، لا اكثر ، ولعله لا يتراءى إلا لآحاد يعدون على الاصابع فى كل بلد ، وعسى ان تكون العقبات المعترضة والصعاب القائمة قد صرفت كثيرين عنه بعد ان دار زمنا فى نفوسهم ، ولكنه ، على كونه حلما ، ليس اعز ولا ابعد منالا مما تحلم به امم اخرى فى هذا العصر ، وبالامم حاجة إلى الاحلام ، وإلى الالحاح على نفسها بها حتى تخلد إليها وتتعلق بها ولا تعود ترى للحياة قيمة او معنى إذا لم تسع لتحقيقها ، وإلا فلاية غاية تسعى ؟؟ ماذا تطلب من الدنيا ؟ وماذا عسى ان يكون مرامها فى الحياة إذا لم تحلم بامل ؟ ايكون كل ما تبغى ان تاكل هنيئا ، وتشرب مريئا ، وتنام ملء جفونها ؟؟ وهيهات ان يتيسر لها ذلك إذا هى اقصرت وكفت عن الاحلام والتاميل وما يغريان به من السعى ، وغيرنا يحلم بنا إذا كنا نحن لا نحلم بشيء ، وحقيق بنا إذا سلمنا إلى حين ان نعود فريسة لأمة من الامم الطامعة الحالمة .

والاحلام ضرورة من ضروريات الحياة للأفراد والجماعات ، وبغيرها يمتنع السعى وتنقطع الحوافز ، وتركد الدنيا وياسن العيش ، ومن لا حلم له ، لا امل له ، ولا مستقبل فلماذا يعيش إذن ؟

١٩٣٥



تقديم : لبنى الريدي

جهاز يسهل عملية الولادة



تمكن فريق بحث فرنسي من ابتكار جهاز يسهل على المرأة عملية الولادة .

فالجسم يفرز في لحظة الولادة هرمونا يولد تقلصات في الرحم مما يساعد على نزول الجنين . ويستخدم هذا الهرمون في المستشفيات لاطلاق عملية الولادة أو لتنظيمها وهو ما يطلق عليه « الطلق الصناعي » . ولكن يتعين اعطاء هذا الهرمون بجرعات محسوبة بدقة نظرا لمفعوله القوي والسريع . فان اى زيادة تؤدى الى احداث تقلصات عنيفة للرحم مسببة الما لكل من الام والجنين .

ولذلك فان الجهاز الجديد عبارة عن مضخة ذاتية التحكم تمد الام بما تحتاجه من هذا الهرمون طبقاً لنشاط الرحم ودقات قلب الجنين . ولا يحتاج هذا الجهاز إلى ممرضة لمراقبته فهو ذاتي البرمجة والتحكم ولذلك يطلق عليه اسم القابلة الالكترونية .

وتتصل المضخة بجهاز مراقبة الجنين الموضوع الى جانب الام . وبالرغم من ان الطبيب يحدد جرعة الهرمون في بداية عمل الجهاز الا ان الاخير يستطيع بناء على تحليل رد فعل الام ان يختار ذاتيا الجرعة المناسبة التى تتيح ولادة اسهل لكل من الام والجنين ، كما ان الجهاز مزود بدوائر انذار لتنبيه الطبيب على الفور عند حدوث اى وضع غير طبيعي بالنسبة لتقلصات الرحم او لدقات قلب الجنين او عند حدوث أى خلل في المضخة ذاتها . ويقلل الجهاز ذاتيا كمية الهرمون او يوقف تدفقها تماما تبعاً لخطورة الوضع .

الكمبيوتر وأمراض القلب والتحليلات الطبية

اصبح الكمبيوتر يلعب دورا متزايد الاهمية في تشخيص العديد من الامراض . ففي مجال التحاليل الطبية ظل تحليل البول يتم بشكل يدوى حتى دخل الكمبيوتر هذا الميدان وابتكرت محطة عمل متكاملة يديرها جهاز كمبيوتر بحيث تقوم بعمليات التحليل وكتابة التقرير بالنتائج في ثلاث دقائق فقط . وبالتالى انكمش دور فني التحاليل واصبح قاصراً على وضع العينة في اناء خاص من الجهاز ، ليقوم الاخير بامرارها بين سطحين سائلين يقومان بدور الشريحة الزجاجية التقليدية بينما تلتقط كاميرا فيديو ٦٠٠ صورة للعينة في الدقيقة . ويلغى هذا العدد الكبير من الصور الحاجة الى معالجة العينة في آلة تعمل بالقوة الطاردة المركزية لتركيز جزئيات البول كما كان يحدث من قبل . ويقوم الكمبيوتر بعملية التحليل وطبع التقرير ايضا .

اما في مجال ابحاث القلب فقد استطاع الكمبيوتر ان يحول المعلومات الرقمية للقياسات الطبية المختلفة الى صور تبين القلب وهو يعمل ، وذلك دون اللجوء الى الطرق الاستكشافية المؤلمة . ولقد تمكن باحثان في جامعة جنيف احدهما عربى من تكوين فيلم ملون مدته ساعة يبين حركة كل جزء من اجزاء القلب .

جهاز لعلاج نزلات البرد



من الاعراض المزعجة لنزلات البرد وبعض ازمات الحساسية صعوبة عملية التنفس نتيجة لانسداد الانف . وكان الباحثون في مجال العلاج بالحرارة قد توصلوا الى ان بخار الماء الساخن يقتل الفيروس المسبب للبرد ويفتح قنوات التنفس الانفية المسدودة . ولكن ظلت امامهم مهمة تصميم جهاز عملي للاستخدام الشخصي لتنفيذ هذا العلاج الى ان تم مؤخراً ابتكار جهاز متنقل على شكل صندوق صغير (كما تبين الصورة) يملأ بماء مقطر بحيث يعمل على تسخينه بينما تقوم دوائر الكترونية داخلة بالاحتفاظ بدرجة حرارة الماء عند ١٠٩ فهرنهايت . ويتصل الجهاز بواسطة انبوب من المطاط برشاش الهواء الساخن المشبع ببخار الماء بحيث يمسك به المريض على بعد نصف بوصة من فتحتي الانف ويستنشق الهواء الساخن لمدة نصف ساعة على ان يكرر ذلك ثلاث مرات على امتداد اليوم . ويؤكد الباحثون ان الجهاز اثبت فاعلية في علاج اعراض البرد وانسداد الانف التى تسببها بعض امراض الحساسية .

تصوير المستندات بأشعة الليزر



تفوق اليابانيون فى صناعة الأجهزة المكتبية المتطورة من الات كاتبة واجهزة طباعة وتصوير مستندات .. الخ .وتتميز جميع هذه الأجهزة بامكانياتها المتعددة واستخدامها لأحدث التقنيات بالرغم من صغر حجمها .

واخر هذه الابتكارات جهاز ذكى لتصوير المستندات يعمل بأشعة الليزر . فهو مزود باداة اتوماتيكية خاصة تقرا بواسطة اشعة الليزر الحروف والصور وتحولها الى نبضات كهربائية بحيث يتم تكوين الصفحة بكلماتها وصورها مرة اخرى ولكن على شاشة جهاز كمبيوتر . وهو يتيح امكانية تغيير تصميم الصفحة الاصلية الموجودة على الشاشة بعدد لانهائي من الطرق . فيمكنه تكبير او تصغير الصفحة ككل او اختيار اجزاء فقط منها لاجراء عملية التكبير او التصغير عليها . كما يستطيع اعادة صياغة الكلمات وتغيير تصميم الصفحة وعند التوصل الى الشكل النهائى يقوم الجهاز بطبع ١٥ نسخة منها فى الدقيقة . ويتوقع اليابانيون طرح جهاز تصوير المستندات الجديد فى الأسواق خلال ١٨ شهراً .

اما الابتكار الثانى فهو آلة كاتبة وطابعة فى ان واحد وزنها خمسة كيلوجرامات ويمكن حملها بسهولة فى حقيبة أوراق كما تبين الصورة . وهى تعتبر افضل رفيق للكمبيوتر الشخصى فبتوصيلها بأى وحدة طرفية او كمبيوتر تطبع اتوماتيكيا كل المعلومات التى يخرجها الجهاز وتصلح للاستخدام مع جميع انواع الوحدات الطرفية . كما انها تضم ذاكرة الكترونية تتسع لألفي حرف اى ما يوازى خطابين يتم تخزينهما داخلها وطبعهما اىّ عدد من المرات .

ترموستات صوتية

ابتكر البريطانيون نظاما صوتيا للتحكم فى تشغيل اجهزة التكييف ودوائر الاضاءة فى المؤسسات العامة . ويهدف هذا النظام الى خفض استهلاك الطاقة الكهربية . وهو يعتمد على عمل ترموستات من نوع جديد يقوم بتشغيل او فصل اجهزة التكييف ودوائر الاضاءة فى المكان تبعا لوجود أشخاص فى هذا المكان او خلوه منهم . فالترموستات الجديد يتمتع بحاسة سمع مرهفة . فهو مزود بميكروفون حساس يلتقط اى اصوات فى الغرفة بحيث يعمل الترموستات كمفتاح صوتى . فعندما يرصد وجود اشخاص فى الغرفة يقوم بتشغيل اجهزة التكييف وتكون درجة التبريد او التسخين محددة مسبقا . وحين تصبح الغرفة خالية يفصل الاجهزة . والشىء نفسه ينطبق على انوار الاضاءة .

كاميرات تنصح المصور

تهتم صناعة الكاميرات بالجمهور العريض من الهواة ولذلك ابتكرت احدى الشركات اليابانية كاميرا اتوماتيكية ٣٥ ملليمتر تتمتع بكل مزايا آلات التصوير الاتوماتيكية وتزيد عليها بانها تتكلم الى المصور وتقدم له النصائح .

فالكاميرا الجديدة مزودة بدوائر الكترونية لتوليف الصوت . وتهتم هذه الدوائر بثلاث نقاط فقط من العملية التصويرية ولكنها نقاط اساسية . فاذا نسي المصور وحاول التقاط صورة دون أن يكون قد وضع الفيلم فى الكاميرا فالصوت ينبهه الى ذلك . كما تحذره الكاميرا عندما تكون الاضاءة غير كافية بان تقول له « استخدم الفلاش » اما اذا كان الاطار البؤرى أبعد من مدى الفلاش فهى تنصحه بمراجعة المسافة .

ولكن اذا وجد المصور ان الكاميرا ثرثارة فيمكنه ان يسكتها عن طريق مفتاح تشغيل دوائر توليف الصوت . وتتكلم الكاميرا الجديدة اربع لغات : الانجليزية والفرنسية والالمانية واليابانية .

عادل امام .. وفردوس عبد الحميد الزوجة التى تحملت الكثير ولم تستطع الاستمرار .. واصبح هذا الانفصال جزءا من عذابه اليومى .. لقطة من فيلم « الحريف »







هناك كلام كثير فى مصر .. عن احوال السينما المصرية .. عشرات المقالات والتعليقات والآراء خرجت فى وقت واحد تناقش المستوى الذى وصلت إليه بعض الافلام المصرية الاخيرة .. واشعل حدة النقاش ، القرار الذى اصدره وزير الثقافة ، السيد عبد الحميد رضوان بمنع عرض فيلمى « درب الهوى » و « خمسة باب » .. وسحب الفيلمين من السوق بعد أن استمر عرض احدهما ما يقرب من اربعة اسابيع ، والفيلم الآخر دخل اسبوعه الثالث ..

واعتبر هذا القرار من وزير الثقافة .. السابقة الأولى فى تاريخ السينما المصرية .. وتوالت بعده ردود افعال متناقضة .. البعض يؤيد هذا القرار ويطلب باستخدام المنع لكل الافلام المماثلة بحجة انها تسيء لسمعة مصر .. اما البعض الآخر فقد حذر من استخدام هذه السلطة ، وتضخم قوة الرقابة مما قد ينتج عنه حالة من الخوف والذعر قد تطيح فى وجهها بالافلام الجريئة والجادة مثلما تطيح بالافلام التجارية الهابطة .. ويرد اصحاب هذا الراى منطقهم بانه ليس هناك فيلم يسيء الى شعب .. بل هناك فيلم يسيء الى صانعيه او يسيء الى فن السينما !

● ندوات مهرجان الاسكندرية

وشاءت الظروف ان يعقد بالاسكندرية فى اوائل شهر سبتمبر الماضى .. مهرجان الاسكندرية السينمائى الثالث الذى تنظمه الجمعية المصرية لكتاب ونقاد السينما .. وانتقلت المناقشات الساخنـــة الى الاسكندرية من خلال الندوات اليومية التى صاحبت المهرجان .. حيث تجمع عدد كبير من النقاد والمخرجين والمنتجين وكتاب السيناريو مع جمهور غفير من عشاق السينما ومتذوقيها .. وسجلت هذه الندوات ظاهرة جديدة فى الحياة الفنية بمصر .. من حيث جراة الحوار وحيوية الآراء والدخول فى كل التفاصيل الدقيقة المتعلقة بصناعة السينما المصرية وحرية التعبير والفكر .

محمود ياسين فى لقطة النهاية .. يواجه اتهام النيابة وصدمة خطيبته التى فجعت فيه .. لعبت الدور نجوى ابراهيم


محمود عبد العزيز وسعيد صالح فى لقطة من فيلم : السادة المرتشون



كانت الندوات اليومية ، تبدأ حسب العرف المتبع فى هذا المهرجان . بمناقشة الافلام التى عرضت فى اليوم السابق .. ولكن سرعان ما تتحول دفة المناقشة الى مسار السينما المصرية ككل .. حتى استقر الراى على تخصيص يوم كامل لمناقشة صناعة السينما المصرية ..وامتد اليوم الى يومين وشاركت رئيسة التليفزيون المصرى ، السيدة سامية صادق ، فى هذا النقاش الخاص عن مسئولية التليفزيون فى تدعيم السينما الجادة .. سواء بالمشاركة فى انتاج الافلام .. او ان يتولى التليفزيون بنفسه انتاج الافلام السينمائية وعرضها فى السوق التجارى .. ثم عرضها بعد ذلك على شاشة التليفزيون .



السينما المصرية.. الصراخ والحقيقة!



نجاح الموجى .. الجار المثقل بالمشاكل والهموم التى جعلته يتورط فى جريمة قتل .. وعادل امام هنا يحاول ان يخدعه حتى يسلمه للشرطة :

● بحثاً عن الجذور

والحقيقة التى يجب ان تقال .. إن جذور ازمة السينما المصرية ممتدة الى عدة سنوات مضت .. وأى متأمل مدقق ، يستطيع ان يضع اصابعه على بضع نقاط محددة .

● اولا .. ان الشوائب التى اثرت على السينما المصرية .. جاءت كنتيجة لفتح الباب على مصراعيه ، امام كل تاجر مغامر يريد ان يستثمر امواله ، ويجنى الارباح فى أسرع وقت .. مما ادى الى ظهور طبقة جديدة من المنتجين السينمائيين ، لا علاقة لهم اصلا بفن السينما وهؤلاء المنتجون الدخـلاء اسـتغلوا ظروف الانفتـاح الاقتصادى فى سنوات السبعينات بمصر .. واستخدموا اموالهم فى انتاج افلام تداعب غرائز الجمهور الجديد للسينما .. والذى يتكون اغلبه من فئات الحرفيين ، وصغار العمال ، وصبية الورش الذين زاد دخلهم الشهرى بقفزات هائلة .. واصبح هذا الجمهور يذهب الى السينما ليغسل ارهاق العمل اليومى .. وتحدد مزاجه فى الافلام الكوميدية والافلام التى لا تحمل اى قدر من الفكر والتأمل .

وساد هذا المزاج فى الاغنية وشرائط الكاسيت المتعددة والتى تتلاعب بالكلمات الدارجة .. وانتقل هذا المزاج ليؤثر بسرعة على المسرح التجارى .. وجاءت شركات الفيديو كاسيت لتستغل هذا السوق المفتوح لتسجل وتطبع مئات الالوف من النسخ ولتنتشر فى المنازل والمقاهى والنوادى الخاصة .

وهكذا تأثر المناخ الفنى كله ..

● ثانيا .. وقفت الدولة متمثلة فى جهاز وزارة الثقافة .. موقف المتفرج امام هذا الطوفان .. وتركت صناعة السـينما لاجتهادات التجار والمغامرين يشكلونها كما يشاءوا .. بلا تدخل فعلى لحماية المنتجين الجادين فى هذه المنافسة الشرسة .. فقد كان الشعار المرفوع هو حرية القطاع الخاص ..

● ثالثا .. تهاون الكثير من نجوم السينما المصرية فى مسئولياتهم ازاء جمهورهم .. وارتضى هؤلاء النجوم ان يبيعوا جهدهم وأسماءهم فى افلام لا ترتقى ابدا الى المستوى الفنى المعقول .. بل وشاركوا فى افلام رديئة بحجة ان اغلب ما يعرض عليهم من أعمال من ذات المستوى .

● رابعا .. واجهت الرقابة على الافلام موقفا غريبا .. فهى لا تستطيع ان تتدخل لمنع التصريح بعرض الافلام التجارية الهابطة المستوى .. فهذه الافلام ليس فيها ما يستحق المنع حسب اللوائح والمفاهيم الرقابية .. بينما الافلام الجادة والتى تحمل وجهات نظر تتوقف امامها الرقابة بكل الحذر والريبة .. وكان من نتيجة ذلك ان هرب كثير من صناع السينما الى السلعة السهلة .. ودخلوا مجال انتاج الافلام التجارية التقليدية .. حتى يتجنبوا صداع الرقابة !

● من يكتب الافلام .. وبكم ؟

وامام سرعة دوران راس المال فى السينما .. ولهفة المنتجين على انجاز افلامهم فى أسرع وقت لجنى الارباح واعادة استثمارها .. ظهرت مشكلة عدد كتاب السيناريو الذين يستطيعون ان يلبوا هذا الطلب المتزايد على الافلام .. فعدد كتاب السيناريو المجيدين لا يتجاوز عدد اصابع اليد الواحدة .. بينما هناك انتاج سينمائى يزيد عن ٤٥ فيلما فى العام الواحد .. بالاضافة الى تهافت شركات التليفزيون على طلب كتاب السيناريو لكتابة المسلسلات التليفزيونية !

هذا الوضع نتج عنه ظاهرة اقتباس الافلام الاجنبية واعادة تمصيرها .. بل وصل الأمر الى نقل الافلام الاجنبية بمشاهدها وحوارها الى نسخ مصرية . !!

وظل اجر كاتب السيناريو هو اقل الأجور فى ميزانية الفيلم .. ولا يكاد يتجاوز اعلى اجر لكاتب سيناريو عن خمسة الاف جنيه للفيلم .. فى نفس الوقت الذى يتقاضى فيه بعض الممثلين اجورا تصل إلى ستين الف جنيه !

وهكذا تحول كاتب السيناريو الى هامش الفيلم .. رغم انه ـ من المفروض ـ صاحب الابداع الفنى الأول !!

● لماذا ضاعت هيبة النقد ؟

ولكى تكتمل الصورة .. لابد ان نقرر ان حركة النقد السينمائى فى مصر اصيبت بالتفكك .. نتيجة الخلافات الشخصية بين

اغلب النقاد الجادين .. وايضا نتيجة دخول عدد كبير من الصحفيين الى مهنة النقد .. والتى تحولت بفضلهم الى مجرد انطباعات شخصية .. أو نوع من الكتابة المسلية .

وهكذا امتلات الصحف والمجلات بهذا النوع من الكتابات التى لا ترتقى ابدا الى مستوى النقد المتخصص ..

وتداخلت اهواء بعض هؤلاء الكتاب .. لتصنع نوعا من الزوابع الهوائية التى تثير بعض الضجيج ولكنها ابدا لا تخلق تيارا فنيا صلبا وسليما !



مباريات الكرة الشراب تحت اضواء الشوارع .. وجمهور ينتظر الاهداف .. لقطة من فيلم الحريف

● وماذا عن العشاق المناضلين !

ولكن هل الصورة قاتمة الى هذا الحد فى السينما المصرية ؟ ..

الاجابة بكل تأكيد وصدق .. لا ..

فبين الهزل والسخف السينمائى .. يظهر بين حين وآخر .. فيلم جيد يشق طريقه بنجاح وثقة .. ويؤكد ان بين السينمائيين من هم عشاق مناضلون لفن السينما .. مخلصون لمبادئهم .. وقادرون على مواجهة كل الصعاب المحيطة بهم لكى يقولوا كلمتهم .. ويعطوا بعضا من فنهم .

والأمثلة واضحة ومعروفة .. فهناك مالا يقل عن خمسة او ستة افلام جيدة ذات مستوى فنى وفكرى مرتفع .. تظهر كل عام بين مجموع الانتاج السينمائى المصرى .

اى ان نسبة الأفلام الجيدة لا تقل عن عشرة بالمائة من مجموع الانتاج المصرى ..

وهى نفس النسبة فى الانتاج السينمائى الامريكى .. والانتاج السينمائى الفرنسى .. والايطالى ..

● المشكلة أيضا .. فى ايطاليا

ولقد كان من المفاجآت المثيرة فى مهرجان الاسكندرية السينمائى ان يظهر المخرج الايطالى الشاب «بيتر ديل مونتى» فى المؤتمر الصحفى الخاص بفيلمه «البسلة الحلوة» ليقول عن السينما الايطالية اليوم .. انها تعانى من عدة مشاكل شبيهة الى حد كبير بمشاكل السينما المصرية .

فنجوم الكوميديا فى السينما الايطالية يكتسحون الأفلام .. فهم أسياد السينما الآن .. يتحكمون فى كل شىء .. حتى فى اخراج الأفلام ويفرضون طلباتهم دون اى اعتراض .. ذلك لأن الجمهور الايطالى يتسابق على افلامهم ويشجع هذا التيار .. فالجمهور لا يريد ان يرهق نفسه بالأفلام الجادة .. وإنما يبحث عن الضحك والتسلية .



المخرج محمد خان

وكان من نتيجة هذا الوضع .. انه لم يظهر نجوم جدد فى السينما الايطالية .. إلا فى مجال الكوميديا فقط .. ولم يعد هناك جيل ثان بعد ماستروياني وفيتوريو جاسمان .. وانه هو شخصيا ـ اى المخرج بيتر ديل مونتى ـ ظل يبحث طويلا عن ممثل شاب فى حدود الثلاثين من عمره .. فلم يجد .

وعلق المخرج قائلا : إن مزاج الجمهور الايطالى هو الذى غير حال السينما الايطالية .. ولم تعد السينما الايطالية لها نفس البريق او التأثير العالمى الذى كان موجودا بعد الحرب العالمية الثانية .. او فى الستينات من هذا العصر .

واختفى المنتجون الجادون من السينما الايطالية .. بعضهم هاجر وبعضهم اعتزل .. واصبحت الأفلام التى تحمل اتجاها جادا .. هى الأفلام التى تنتج بالاشتراك مع التليفزيون الايطالى ..

وردا على سؤال حول مدى استفادة السينما الايطالية من الأدب الايطالى .. اجاب المخرج بكل صراحة .. ان الادب الايطالى الحالى لا يعطى للمخرجين اى مادة صالحة للسينما .. وان المجتمع الايطالى الآن يعيش حالة من الاضطراب بحيث لا تستطيع ان تخرج باجابة محددة عن اى مشكلة .. فليس هناك ابيض واسود .. بل تتداخل المشاكل فى صورة ضبابية كثيفة .

● حكاية فيلم ايطالى جديد

وهذا المخرج الايطالى الشاب يعترف بانه عندما ضاقت به الاحوال فى السينما الايطالية . لجأ الى فرنسا ليخرج فيلمه «دعوة الى رحلة» والذى اشتركت به فرنسا رسميا فى مهرجان كان السينمائى لعام ٨٢

وآخر افلام هذا المخرج هو فيلم «البسلة الحلوة» الذى عرض فى مهرجان الاسكندرية ولاقى ترحيبا كبيرا .. لأسلوب المخرج الذى يجمع بين الواقع والخيال فى نسيج فنى مطرز بالكوميديا السوداء .. وموضوع الفيلم ينبع من موقف شديد الغرابة .. ان هناك طفلا فى الثالثة عشرة من عمره





فى المصنع الصغير للاحذية .. يقف عادل امام محاصرا بكل هزائمه .. تحيط به الماكينات .

سعيد صالح .. التاجر الذى يحاول تمرير صفقة الاغذية الفاسدة .. ومحمود يسين موظف الجمرك .. ومحاولة لاقناعه بالرشوة



يفاجا انه اصبح ابا لطفل صغير .. ويصبح على الطفل الاب ان يرعى الطفل الابن فى عالم ملىء بالقسوة والعنف .. ويفتقد الى الحب والحنان ورعاية الام ..

فالام كما يقدمها الفيلم امراة انجبت ونسيت وليدها فى زحام بحثها الملهوف عن الشهرة والمال ..

والفيلم يقدم عالم الاطفال بكل تصرفاتهم التلقائية البريئة التى تصطدم دائما بالواقع .. ويشير الفيلم فى بعض مشاهده، بذكاء شديد الى ماساة الأطفال الضائعين والتائهين فى المجتمع الايطالى .. كحقيقة تدين هذا العصر المادى .

● فيلم «الحريف»

ومن اهم الأفلام المصرية الجديدة التى عرضت فى نطاق برنامج «ليالى السينما المصرية» بمهرجان الاسكندرية .. فيلم «الحريف» للمخرج محمد خان .. وفيلم «السادة المرتشون» للمخرج علي عبد الخالق .

وفيلم «الحريف» هو اضافة جديدة لسينما المخرج محمد خان .. ذلك المخرج الفنان الذى يتميز برؤيته الخاصة للاشخاص والأماكن فى مصر .

انه يلتقط شخصياته من الذين يعيشون على هامش المجتمع .. ويتوقف امامهم بعين مدققة حساسة تسجل تاثير المكان على تصرفاتهم .. وتاثيرهم على من حولهم .. ومن خلال عشرات من التفصيلات الصغيرة المؤثرة يغزل لوحة سينمائية تفيض بالحيوية والصدق ..

وبطل فيلم الحريف .. هو عامل شاب فى مصنع صغير للاحذية ويحترف لعبة الكرة الشراب والتى تقام فى شوارع وحوارى مصر .. ومن خلال هذا العامل وهذه اللعبة نتعرف على شريحة تكاد تكون مجهولة فى المجتمع المصرى .. فلاعب الكرة الشراب رغم انه موجود دائما فى كل حارة .. إلا ان احداً لم يتوقف بالتفكير فيما وراء هذا اللاعب .. وهذه الفرق الصغيرة التى تتكون وتنتقل الى الاحتراف يتولاها بعض السماسرة .. يبيعون المباريات .. ويرحلون بالفريق من مدينة الى اخرى لمنازلة فرق اخرى ..

هذا العالم الخفى الملىء بالمفارقات .. سجله سيناريو « بشير الديك » فى براعة شديدة متنقلا بين حياة هذا اللاعب مع زوجته التى انفصل عنها .. وطفله الصغير الحائر بينهما .. وجاره الفقير الذى يعول حفنة من الابناء ويتورط فى جريمة قتل .. وحارة مصرية ضيقة مكدسة بالسكان تلتصق فيها المنازل والمشاعر ! .

وبكاميرا المصور الموهوب سعيد شيمى .. نكاد نشعر بتراب الحارة وانفاس هذا اللاعب الذى يحاول ان يتخطى هزائمه فى العمل .. والحياة الزوجية .. وفى الملاعب بين ارصفة الشوارع ..

والفيلم لا يخضع للحدوتة التقليدية فى السينما المصرية .. ومن هنا تبدو جراته ومغامرته ..

وهى مغامرة تحسب بالقطع لهذا المخرج الفنان ولمجموعة زملائه الذين شاركوا فى انتاج هذا الفيلم وفى تنفيذه . وقد لعب دور البطولة عادل امام ـ صاحب الشعبية الكبرى بالنسبة لجمهور السينما ـ ولكنه فى هذا الفيلم يخضع للمواصفات التى حددها المخرج محمد خان الذى رسم له كل تعبيراته وحركته امام الكاميرا حتى يذوب النجم فى الشخصية التى يتقمصها ..

وقدم عادل امام دوراً يعتبر من اهم

ادواره السينمائية .. ومختلفا تماما عن النموذج التقليدى الذى عرفه به جمهور السينما .. وهذا ما يؤكد على روح المغامرة والتحدى فى شخصية المخرج محمد خان .. وقد دخل عادل امام المغامرة ونجح تماما .

واصبح السؤال .. هل يتقبل جمهور السينما هذه المغامرة ..

قد تختلف الاجابة .. ولكن مما لاشك فيه ان هذا الفيلم يحقق شرف المحاولة للخروج من الشكل التقليدى للفيلم المصرى ..

● السادة المرتشون . !

يأتى هذا الفيلم للمخرج على عبد الخالق .. بعد النجاح المدوى لفيلمه السابق « العار » .. مؤكدا انه واحد من أهم مخرجى السينما المصرية الآن .. ففى داخل قالب بوليسى مثير يتعرض لظاهرة الرشوة عندما تصبح وسيلة لتحقيق بعض الطموحات الخاصة .

فالرشوة هنا .. تصادر الضمير وتلقى به جانبا .. لأن ذلك الموظف الذى يقدمه الفيلم .. لا يتقاضى رشوة لانجاز بعض الأوراق الروتينية المطلوبة منه . وإنما يتقاضى رشوة لتمرير صفقة من الأغذية الفاسدة عبر بوابات الجمرك ومعامل التحليل ..

أى أن الرشوة هنا على حساب ارواح من البشر .. وفى مقابل ان يفوز هذا الموظف بقلب حبيبته وان يؤثث لها منزلا فاخرا .

وتأتى النهاية الاخلاقية للفيلم .. عندما يحصد هذا الموظف ثمن جريمته من حياة اخوته الذين تسمموا بالاغذية الفاسدة .. وعربات الاسعاف تطلق صفاراتها .. واحد المارة فى الطريق يتساءل بدهشة «ما الذى جرى فى البلد . ؟» .

والسؤال يحمل الكثير من الدلالات .. ربما اكبر من الحجم الحقيقى للفيلم .. ذلك لأن الفيلم طغى عليه الطابع البوليسى ، ولم يتوقف كثيرا عند التحليل الاجتماعى لظاهرة الرشوة والفساد .. وايضا لم يتوقف بالتحليل النفسى لشخصية هذا الموظف ، والصراع الذى ادى به لأن يلقى بنفسه فى تيار الانحراف .

كان من الممكن أن يكون فيلم «السادة المرتشون» اكثر تعمقا .. واكثر سخونة .. ومع ذلك فهو بالصورة التى ظهر بها يعتبر نموذجا مشرفا لسينما جادة تشق طريقها بجراة وشجاعة وسط افلام الربح السريع والتى تتاجر بالمخدرات والدعارة .

فقد قدم المخرج «علي عبد الخالق» عملا على درجة عالية من الاتقان الفنى يجعلك مشدودا على مقعدك طول مدة عرض الفيلم .. ولاشك ان السيناريو المحكم الذى كتبه مصطفى محرم اعطى مجالا كبيرا للمخرج لكى يقود ادواته الفنية بحساب دقيق .. سواء مع كاميرا المصور عصام فريد .. او مع مجموعة ممثليه الذين تألق منهم محمود ياسين ومحمود عبد العزيز وسعيد صالح .

عادل امام .. لاعب الكرة الشراب مع ابنه الصغير فى الحارة التى يسكن بها .. لقطة من فيلم « الحريف »

●●

ان المشكلة الحقيقية للسينما المصرية .. تكمن فى هؤلاء الذين يتوقفون عند بعض الأفلام الرديئة .. ويصرخون فى فزع مطالبين بالوصاية وفرض الاجراءات التعسفية .. وينسى هؤلاء او يتناسوا انه مع الأفلام الرديئة هناك آخرون يصارعون من اجل فن جيد .. وان الفساد فى صناعة السينما انعكاس لفساد آخر موجود فى هيكل المجتمع ..

وان السينما كفن على مستوى العالم .. تعانى من ازمات ومشاكل طاحنة .. نسمع عنها كل يوم .. فى افلاس شركات سينمائية كبرى .. والتجارة بافلام العنف والجريمة والرعب .. وهجرة مخرجين مفكرين من بلد الى آخر بحثا عن مصدر لتمويل افلامهم .

فالأزمة ليست محلية .. بل ازمة عالمية .

والصراخ وحده لا يحل المشكلة .. وإنما يحلها الباحثون والمتخصصون .. والمخلصون .. والذين يمدون ايديهم بالحب والتشجيع لكل بادرة أمل !

«رءوف توفيق»

طفل يرعى طفل .. ويقوده .. إلى اين ؟ .. السؤال الذى يطرحه الفيلم الايطالى « البسلة الحلوة »



قضايا خليجية

اطرح الأسئلة : انها قوتك الوحيدة

بقلم : عبد القادر عقيل

الكتابة للأطفال في الخليج

عصر الكتابة الجديدة الموجهة للاطفال فى الخليج قصير جداً ، وأدب الاطفال على اية حال شكل أدبى جديد فى الأدب العربى . إلا أن جميع ما صدر من كتابات موجهة للأطفال فى الخليج لم تكن تفى ـ ولو بصورة بسيطة ـ لاحتياجات اطفال المنطقة وهذا عائد إلى ان كتب الاطفال تواجه بسلسلة من المصاعب اهمها ارتفاع تكاليف الطباعة وعدم وجود الرسامين المتخصصين فى رسوم الاطفال ، كما ان الكتاب المتصلين بادب الاطفال يعدون على الاصابع ، واهتمام هؤلاء الكتاب منصب اساساً على ادب الكبار ، وعلى هذا فانتاج ادب الاطفال يأتى فى المرتبة الأخيرة فى صناعة الكتاب الخليجى . وهذه حالة مؤسفة . فالجيل الجديد هو اشد ما يكون حاجة الى ثقافة جادة تتوجه اليه وتخاطب عقله ووجدانه .

يمكن حصر الكتابات الموجهة للاطفال (قصة ، شعر) فى الكتب القليلة التى صدرت ، وفى المجلات المتخصصة للاطفال والصفحات والزوايا المخصصة للطفل فى الصحف اليومية (تكون عادة فى صفحة الأسرة او المراة) ، وفى الأعمال المسرحية .

على صعيد الكتب المطبوعة للطفل ، قامت إدارة الثقافة والفنون بوزارة الاعلام القطرية بطباعة بعض قصص الاطفال ، وذلك بمناسبة العام الدولى للطفل (١٩٧٩) وبعدها طبعت قصتين او ثلاثا من القصص التى فازت بمسابقة قصص الاطفال ، والكتاب الاخير الذى اصدرته الوزارة كان بعنوان (قصة صياد اللؤلؤ) وهى قصة مترجمة عربتها « كلثوم امين » مع إغفال لاسم المؤلف الاصلى . فى الامارات قامت دار الثقافة للنشر والتوزيع بطباعة قصة (من سرق قلم ندى) لكاتب هذه السطور وكان ذلك فى عام ١٩٧٧ ثم سمعنا عن نية القاص محمد حسن الحربى لاصدار سلسلة كتب للاطفال ، لكن يبدو ان مصاعب كثيرة واجهت « الحربى » اعاقته فى تنفيذ هذه السلسلة . فى البحرين صدرت ثلاث قصص لابراهيم بشمى ، كما قامت إحدى الاندية الرياضية الثقافية بطباعة كتاب يحوى مجموعة قصصية للاطفال كتبها ابراهيم سند . واصدر الشاعر على الشرقاوى مؤخراً (اغانى العصافير) وهى مجموعة قصائد موجهة للاطفال طبعت بشكل انيق ومناسب جداً . فى الكويت لم نسمع عن تجارب مهمة فى الكتابة للاطفال ، عدا المشروع المهم لانشاء دار نشر متخصصة فى طباعة وتوزيع كتب الاطفال . وقد تكون حركة نشر كتب الاطفال فى السعودية اكثر نشاطا من بقية المناطق فبعد تجارب عبد الكريم الجهيمان فى اصدار سلسلة من قصص الاطفال ، المرتكزة اساسا على حكايات « الف ليلة وليلة » و « كليلة ودمنة » والحكايات الشعبية ، صدرت سلسلة « كتاب تهامة للاطفال » تضم ست قصص لاسماعيل دياب وعمار بلغيث ، ومجموعة (لكل حيوان قصة) من اعداد يعقوب محمد اسحاق صدر منها ٣٥ جزءا ، ومجموعة (حكايات كليلة ودمنة) من اعداد يعقوب اسحاق صدر منها اربع قصص اضافة الى اربع قصص اخرى تحت الطبع ، ومجموعة (التربية الاسلامية) للاستاذ اسحاق ايضا صدر منها ثلاثة عشر جزءا ، ومجموعة (حكايات للاطفال) نقلها الى العربية عزيز ضياء وصدر منها خمس قصص حتى الآن .

اما المجلات المتخصصة للطفل فى الخليج فتنحصر فى مجلة (حسن) السعودية ومجلتى (سعد) و (افتح يا سمسم) الكويتيتين ، ومجلة (ماجد) التى تصدرها مؤسسة الاتحاد للصحافة والنشر فى ابو ظبى منذ عام ١٩٧٨ ، وهى مجلة الاطفال الوحيدة فى المنطقة التى استطاعت ان تكسب ثقة الطفل الخليجى والعربى ايضا ، حتى ان عدد النسخ التى توزعها فى الوطن العربى فاقت توزيع مجلات اخرى معروفة . ومجلة (كتابى) البحرينية التى صدر منها ثلاثة اعداد وتوقفت عن الصدور نتيجة المصاعب المالية التى واجهتها . (تجدر الاشارة الى أن الشاعر السعودى طاهر زمخشرى اصدر فى ١٩٥٩/٩/١٧ أول مجلة للاطفال باسم (الروضة) توقفت عن الصدور فى ١٩٦٠/٥/٢ ، فى حين صدرت اول مجموعة خاصة بالاطفال فى الوطن العربى فى مصر عام ١٩٢٤ باسم « الأولاد ») .

وهناك ملاحق متخصصة للطفل تصدر عن مجلات مثل ملحق (العربى الصغير) الذى يصدر عن مجلة (العربى) الكويتية وملحق (البراعم) الذى يصدر عن مجلة (الاسرة) العمانية إضافة الى وجود زوايا وصفحات مخصصة للاطفال فى بعض الصحف والمجلات الخليجية .

الجانب الفعال فى الكتابة للاطفال يمكن ان يلاحظ فى المسرح ، وقد تكون الكويت أسبق واكثر دول المنطقة نشاطا فى ذلك ، وعليه يمكن ايجاد مسرحيات للاطفال تعرض بين فترة واخرى فى قطر ، والامارات ، والبحرين ، الا انه احيانا يضع المرء يده على قلبه من تجربة مسرح الأطفال فهو فاعلية مغرية بالنسبة للكثيرين ، الربح المادى فيها مضمون . فالجمهور هم الأطفال وهم يستجيبون لأى عمل يثير عندهم المتعة والبهجة ، وعلى هذا راينا بعض من لا علاقة لهم بثقافة الطفل ولا بمسرح الأطفال يقحمون انفسهم لتقديم أعمال همها الاول والأخير جنى الربح السريع حتى لو كان ذلك على حساب الطفل الذى من المفترض ان يقدم اليه عمل يوسع من مداركه ويزرع فيه القيم والمبادىء السامية .